سلسلة تاريخ الأغواط دراسات و ترجمات الاصدار الثاني

معلومات حول تاريخ الأغواط



أ . مونجان . ضابط ملازم قوة الرماة الجزائرية الأولى

ترجمة: الأستاذ كزواي الحاج العرابي

E. MANGIN

LIEUTENANT AU 1er TIRAILLEURS ALGÉRIENS

NOTES SUR L'HISTOIRE DE LAGHOUAT

ALGER

ADOLPHE JOURDAN, Libraire – ÉDITEUR

Imprimeur-libraireDE L'ACADÉMIE

, 4 Place du Gouvernement , 4

1895

السداسي الثاني 2020 . ISBN : 978 . 9931 . 806 . 04 .2   ر .

د. م. ك . الهاتف : 69 . 73 . 10 . 029



الحاج محمد كزواي والدي الشيخ عطا الله جدي عمي عرابي الجالس
عمي بكر أعتز وأفتخر.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم   إذا جمعتنا يا جرير المجامع.

مقدمة المترجم

الله تبارك وتعالى يفصل في أحوال البشر، يقول في محكم التنزيل: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ البقرة الآية: 134 التاريخ كالسماء فيه النجوم والكواكب والأقمار، وكذلك الثقوب السوداء، المؤرخ لا يقف عند الحدث، بل يقف على دلالة الحدث. نعم الديمغرافية تصنع الحدث التاريخي، من أراد أن يقرأ التاريخ، يقرأ قبل ذلك الجغرافيا، المنتصر يكتب التاريخ، الضعيف المقهور هو موضوعه، التحليل السياسي السببي يفسر الحدث ويجليه، المؤرخ قبل أن يكتب يستشرف الكون. خالق الكون تبارك وتعالى أخضع الكون لقوانين صارمة، هي نفسها المتحكمة في مسارات حياة البشر، القانون ينسب للخالق، هو واحد في ذاته، متعدد في تجلياته. الضعيف ينجذب ناحية القوي، ثابت من ثوابت السنن الكونية، اسقاط هذا القانون على حياة البشر، هو انزال تكيفه الارادة، وتحكمه الحرية، ويقوده التوجه. هناك فارق بين البوصلة والساعة، كالفارق بين المكان والزمان، لما تقرأ الكون هو علم الفلك، ولما تقرأ المجتمع هو علم العمران، كما قال ابن خلدون، لا يوجد تطابق بين القوانين يوجد التشابه، التاريخ يعيد نفسه وما تراه الآن، رآه الآباء في الماضي والعكس هو الصحيح، هي السنن الالهية الحاكمة المتحكمة، والله مقدر الأشياء، يقول تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾كتابة التاريخ المحلي هو مستوفي الشروط العلمية، لما تقف أمام النهر لتشرب وتريد أن تعرف، إن كان ماؤه عذب زلال، لا تأخذ كل النهر إلى مختبر الفحص، تكفي العينة الصغيرة، لتحكم على صفاء الماء، وعذوبته ونقاؤه، ولتعرف إن كان عذبا أو آسنا. سنة 1800 ميلادية تنشر المجلة الافريقية فصلا تحت عنوان معلومات حول تاريخ الأغواط، لفظ معلومات اضافة ديبلوماسية، ليفرق الكاتب نفسه عن المؤرخين، ثم جمعت الفصول وطبعت في كتاب واحد، ونشر سنة 1895 ميلادية أحداث الكتاب المرتبة، تنتهي بالتقريب نهاية 1869 ميلادية. الفرق هو 26 سنة هو الفرق بين النشر، وطبع الكتاب نهائيا، هو زمن طبيعي في حياة انسان. أ . مونجان هو ملازم خدم في مدينة الأغواط، يقر أنه شاهد الأغا حمزة يخرج مع قومه، كتب كتابه لسادته ومرؤوسيه، ألزم نفسه الصدق، وان تكلم كلام الصليبي المنتصر، هو لم يأتي في نفسه، أن هذا الكتاب سيقرأه جيل آخر لم يشاهد الفرنسي بل سمع به فقط. أُريد لهذا الكتاب أن لا يعرف، هكذا أراد الحلف الماسوني الصليبي، وهذا ما وقع البديل هو الكذب على الله والتاريخ، ونعت مدينة الأغواط بكل النعوت، كلمة آلمتني صغيرا وأنا أسمعها، بني الأغواط أدخلوا فرنسا مدينتهم، هو مخبر الجاسوسية صدر هكذا كلام، أنهي كلامي ببيت للشاعر العباسي السرِيّ الرّفّاء المَوصِلي:

وشمائلٌ شهِد العدو بفضلها والفضل ما شهدت به الأعداء.

الأغواط 25 فيفري 2020 ميلادية

واحة الأغواط جغرافيا تنقسم لقسمين يقسمها جبل تيزغرارين، أعظم ما نجد فيه صخرة الكلاب هي تحدد اتجاهه وبشكل واضح، هكذا هو يتجه من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي.

تمتد الواحة الشمالية في سهل رباعي صغير، هذا السهل ممتد بين جبل رأس العيون في الشمال وجبل تيزغرارين في الجنوب.

الواحة الشمالية تمتد في سهل رباعي هو صغير، مجاله الجغرافي محصور بين جبل رأس العيون في الشمال، وجبل تيزغرارين في الجنوب. هذا السهل يتكون من حقل، تربته تشكلت من طمي منساب، يعود لتدفق الوديان تدفقا طبيعيا، هو ليس بالجديد، هو يعود لحقب جيولوجية بعيدة في الزمن، يعود للحقب الأحدث في الظهور، المتعارف عليها بالحقبة الرباعية الجيولوجية، حقبة مثلت مرحلة ظهور الإنسان، يقدر علماء الجيولوجيا عمرها بحوالي أربعة ملايين سنة، نجد عند سفح الجبل رواسب من الحصى، تمتزج مع الحجارة الجيرية، كلما اقتربنا من مدينة الأغواط يقل الحصى، ويقل حجمه ويظهر أكثر الحجر الجيري، ليغطي المناطق القريبة من المدينة، ويحل مكانه الحجر الجيري. الصخور الجيرية هي بيضاء، تقترب من الصفرة، هي صخور صلدة قوية من الخارج، على عمق معين تكون الصخرة أقل صلادة وقابلة للتفتيت، الصخور الجيرية تختلط مع الطين الرمادي المفتوح، هناك كميات ليست بالقليلة للجبس تكثر في بعض المناطق، حتى تشكل مستودعا، يمكن من استخراج الجبس كمادة قابلة للاستعمال وبشكل منظم.

السهل الممتد تربته السطحية يشكلها الطين الرملي، ومع ذلك فهي متفاوتة السماكة، الأراضي الأكثر خصوبة تجدها في الناحية الشمالية للواحة، وكلما اتجهت ناحية الجنوب تقل خصوبة التربة.

العواصف الرملية الآتية من الشمال الذاهبة ناحية الشرق، تأتي محملة بالرمال، هكذا هي تغزو المناطق، وتتراكم أكثر عند سفح الجبل، الأهالي فكروا طويلا في الحد منها وإيقافها من أجل ذلك ثبتوا حواجز، هي أشجار ونباتات وضعت وضعا، وبشكل خاص عند المنحدر الجنوبي لرأس العيون. التأثير الأعظم لهذه الرمال هو تأثيرها المباشر في مسارات الوادي، العواصف الرملية تدفع بكميات متعاظمة من الرمال ناحية الوادي، وتستقر بالقاع، وبالتالي تمنع ملأه أيام التدفق والجريان، مع الزمن تتشكل طبقة رملية فوق الطبقة الصلبة. هذه الطبقات الرملية يتخللها الماء ويسكن فيها حينا من الزمن، هذا الحين ينجلي لما يأتي الوادي متدفقا يحمل ويجر ما يأتي أمامه، مما تحمل مياه الوادي

هذه الرمال المترسبة، ولا يبقى بعد الفيضان والتدفق إلا الرمل القليل، تبقى هناك طبقة رملية غير سميكة قابعة في حوض الوادي، هذه الظاهرة تحدث في كل المناطق التي تغزوها المياه، إلا أنها ظاهرة واضحة و جلية، تراها في مسارات واد مزي خاصة.

جبل تيزغرارين أو صخرة الكلاب، يظهر على شكل منشور قاعدته الكبرى واقعة على سهل الأغواط الرباعي، قمة جبل تيزغرارين تتكون من صخور تعرف بالدولوميت dolomitiques[1] هي صلدة وقوية. الجبل لا يخلو من محاجر يستخرج منها الجير، مما يجده الباحث الجيولوجي في الجبل أحافير تعود للعهد الطباشيري، مما وُجد مستحاثات صدفية des ammonites[2]، يعثر عليها الباحث على جانبي الطرف الشمال الشرقي لجبل تيزغرارين، ينضاف لهذه المستحاثات بقايا لرواسب معدنية هي مواد ملونة باللون الأسود، لوجود أكسيد المنغنيز الممتزج بالجبس، هذه الرواسب المعدنية وجودها متناوب في مناطق، تكاد تكون متوازية مع وجود مادة صفراء، بالقرب من هذه الموقع، الذي يشمل المنغنيز، نلاحظ وجود حجر كلسي في لونه، يشبه مزج القهوة بالحليب تبصر أن له عروق حمراء تزركشه، من أجل ذلك قد يتخذ المكان كمقلع لمادة الرخام.

خارج جبل تيزغرارين، تجد سلاسل جبلية أخرى، ما يمكن مشاهدته ورؤيته رؤية البصر هو جبل الميلق، وحتى نأخذ فكرة كاملة عن هذا الجبل، لا بد أن نرصد قممه الإهليجية، أحجامها متباينة وغير منسجمة، هي منتشرة هكذا في طبيعتها، بهذا الشكل مكدسة فوق بعضها البعض. جبل الميلق واقع في أكثره على أرض مستوية، هذا الاستواء والامتداد أعطى للجبل نظامه الهندسي، وتوازن قوة ارتكازه هو الحالة الجيولوجية للجبل، تتوافق مع المكون الصخري لبقية السلاسل الجبلية، التي تتكون عادة من الصخر الكلسي والجبس، وكذلك صخر الدولومي. جبل الميلق منحرف عن قاعدته بحوالي 45°، قاعدة الجبل السفلية ترتفع عليها في سمك معين طبقات لصخور طباشيرية، طبقة تمتد فيها انكسارات تتيح حركة مائية كبيرة، أعظم ما يشكل الجبل هي صخور دولوميت من نوع

---

[1] Dolomitiques الدولوميت صخور رسوبية كربونية تتكون ما نسبته 50 ٪ كربونات مزدوجة من الكالسيوم والمغنسيوم تركيبها الكيميائي CaMg (CO3) 2 .

[2] Les ammonites مستحاثات أحفوريه من فئة الرخويات الجزء المتحجر المتبقي هو الصدفة.

السكراويد، هو الرخام المطعم بالحمرة، يأتي لونه أحمرا لأنه ممزوج بأكسيد الحديد، هذا الرخام هو أكثر انتشارا عند قاعدة جبل الميلق.

قمة الجبل من الحجر الجيري، لونه متغير لا يثبت، إلا أن اللون الأبيض الرمادي المصقول هو من يكسي القمة بشكل ومرئي، مرد ذلك عوامل التعرية الطبيعية، الحرارة تحدث أثرها على الصخر الجيري، الناتج هو ملاط المُكون بأثر الحرارة، النتيجة الطبيعية لهذا التفاعل هو نشأة طبقة من الحجر الرملي المطعم بالكوارتز، هذا الحجر الجيري كما ذكرنا، يحصل ويتشكل بفعل العوامل الطبيعية المتعددة ومن أهمها الحرارة. المنتج الحاصل هو مادة دهنية تشبه الملاط الزجاجي، تستقر على قمة الجبل، لونها متغير هو أبيض رمادي، سطحها مصقول، الصقل جاءها بفعل عوامل التعرية التي تقوم بها الرياح خاصة، بالمجمل هذه الصخور تختلف أنواعها، إلا أنها صلدة وقوية، وعادة ما تدخل في عمليات البناء، يقول البناؤون المهرة أنها أحجار بناء جيدة.

جبل الميلق يكثر فيه الصوان الشفاف، تكون عبر الحقب والأزمنة الجيولوجية بأثر التغيرات المناخية هو في بدايات تكونه، كان مجرد ذرات شفافة تبرق موطنها الشواطئ، تحركت ورحلت بفعل الرياح تحملها، هي تلتئم وتجتمع لما تصدم الجبال. نجد في الضفة اليمنى لواد متليلي، تحديدا عند سفح المنحدر الجنوبي الشرقي، نجد أحجارا رملية تحتوي على طبقات من صخور المارنين de marnes crétacées[1] تشكلت في الحقب الجيولوجية الأولى، بالضبط في الحقبة الكاريسية[2] crétacées، هذه الأحجار الرملية تتواجد أحيانا ككتل صخرية كبيرة.

---

[1] La Marne من الصخور الرسوبية هو مزيج من الكالسيت (CaCO3) والطين بنسب متساوية تقريبًا تتراوح من 35 ٪ إلى 65 ٪ أكثر من 65٪ من الحجر الجيري يصنف من الحجر الجيري الطيني.

[2] Le Crétacé العصر الطباشيري أو الكريتاسي باللاتينية Cretaceous وهو الثالث والأخير من عصور حقبة الحياة الوسطى الثلاثة امتد من 145 إلى 66 مليون سنة مضت يسبقه الجوراسي ويليه الباليوجينيمن Paléogène حقبة الحياة الحديثة.

تميز الطبقة العليا من الحجر الجيري، بوجود طبقات منتظمة وشاملة من الجبس الطبقي والأبيض والسكراوي gypse saccharoïde[1]، هناك منطقة جبس يبلغ سمكها ما بين عشرة إلى خمسة عشرة متراً، تسود على كل شيء تقريبًا من الحافة الخارجية للجبل، وهي مرئية ومشاهدة تماما.
هذا الانتظام الجيولوجي لا ينفرد به جبل الميلق، النظام نفسه نجده وهو وجود طبقات الجبس هي نفسها، تكون الطبقات الخارجية لجبل الدخلة وكاف الدخلة، وما يحيط برأس العيون، تركيبتها الجيولوجية ترتد إلى الحقبة الطباشيرية أي الكاريسية.
غرب مدينة الأغواط جبل الحويطة مع جبل الجلاوج وجبل السمارة، هذه الجبال كلها تشكل ما يسمى بالحوض، المكون الجيولوجي لهذه الجبال هو نفسه مكون جبل الميلق، يتفقون معه في الحقبة الجيولوجية هي نفسها الكاريسية.
يظهر أن القاسم المشترك، بين جبل أم الدلوة وكاف متليلي وجبل الدخلة ورأس العيون، أنها تشكل نظام تضاريسي يوصف بنظام الأطباق، أين يوجد منتصف الأطباق، نرى ونشاهد شكلا غير منسجم، يشبه العدد ثمانية 8، التداخل بين الأطباق يحدث قواطع، تمكن واد مزي من التدفق والانسياب.
جبل لزرق جبل يقع شمال غرب الأغواط، هو يتكون من طبقات من الجبس، وكذلك صخور الدولوميت، التي ترتد إلى العهد الجيولوجي، المعروف بالحقبة جو روسيك jurassique[2].
مدينة الأغواط وواحتها واقعة على الضفة اليمنى لوادي مزي، هو مجرى متصل بواد الجدي الكبير مزي اسم يطلق على واد جدي، لما يمر بمناطق الأغواط، هذا الوادي العظيم يتكون من منبعين مائيين، أحدهما ينحدر من هضبة عين منصور، والآخر ينحدر من جبل رابوت. يأتيان من ناحية

---

[1] Le gypse هو المعروف بالجبس من الصخور الرسوبية يسمى كذلك حجر الجص وتتكون من كبريتات الكالسيوم المائية.

[2] Jurassique العصر الجوراسي هو عصر ونظام جيولوجي ظهر منذ أكثر من مليون سنة مضت بدأ في نهاية العصر الترياسي و انتهى في بداية العصر الطباشيري و يشغل العصر الجوراسي فترة منتصف الدهر الوسيط ويعرف باسم عصر الزواحف و يتميز بحادث انقراض العصر الطباشيري-الجوراسي الكبير.

جبل العمور، الذي يمتد ناحية الشرق، حتى يحاذي مناطق قريبة من وهران، حركة واد مزي وتدفقاته، هي موازية للبحر، وخاصة ناحية الشمال من قبل جبل العمور.
وادي مزي يتجه ناحية تاجموت، وهو يوفر مياها غزيرة، مياهه تحصر بين جبلين، هما جبل الحويطة من ناحية الجنوب، وجبل لزرق من ناحية الشمال. ثم ينفتح على مناطق واسعة تكسوها الرمال بعد ذلك، وادي مزي ينساب داخل الأرض، كتيارات مائية عير مشاهدة، ثم يعاود الظهور لما يصل منطقة الرشق. تضيق مساراته لما يحصر بين جبلين، هما أم الدلوة ناحية الجنوب، وجبل الميلق ناحية الشمال، ثم يظهر جليا متدفقا ناحية الأغواط المدينة، قبل أن يصل وادي مزي ناحية المناطق المأهولة، يتجاوز الضيق المكاني الواقع بين جبل الدخلة، وجبل رأس العيون. لينفتح من جديد وينساب بحركة مفتوحة، هي فرصة سانحة، الوادي يغذي بمياهه واحة النخل والحقول والبساتين، يصل وادي مزي جبل تيزغرارين، هنا يجد له مقطعا صخريا طبيعيا، يمكنه من المرور بداية من هذا المقطع، يأخذ الوادي اتجاها هو ناحية الغرب باتجاه الشرق، هذا المسار يمكنه من المرور ثم يتجاوز العسافية، يصل بعدها مباشرة ناحية قصر الحيران. هذا المسار الذي يبدأ عند المقطع الصخري لجبل تيزغرارين، تدفق مياهه لا يحصل إلا أيام الجريان، والتي تصل أحيانا درجة الطوفان، الأيام التي يرتفع فيها منسوب المياه وتصل حالة الفيضان، الرطوبة تجعل الأراضي أكثر خصوبة، وتنمو الأعشاب وتتغذى الأشجار، وتجد حاجتها الكافية من المياه المتحجرة، رطوبة الأرض تحد من أثر الحرارة، وتقلل من أثر أشعة الشمس المحرقة، خاصة في مواسم الجفاف.
لما يصل وادي مزي، ويلتحم مع واد الحَمّار، الوادي يعيد تسميته الأولى، وهي واد الجدي وبواصل مساره حتى يصل سيدي خالد، بهذا يكون قد تجاوز الناحية الجنوبية لمنطقة الزاب وينتهي به المطاف، عند شاطئ ملغيغ.
الرومان القدماء عرفوا وادي الجدي، وتكلموا عنه ومما قالوه: أنه أحد منابع نهر النيل العظيم، لما تكلم بلين عن وادي الجدي، ذكر ما قاله جوبا Juba[1] قال: " منبع نهر النيل من جبل أدنى واقع في موريتانيا تشكله بحيرة ماء، أراضيها رطبة تسمى ميليديس Milidès[2] ما يتبعها من أراض غير مستفادة وغير منتفع بها، تمتد في أفق خالص مترامي على أراض رملية منفتحة، هي مسافات تقطع

[1] Juba ولد يوبا الأول سنة 85 قبل الميلاد في مدينة بونة عنابة حاليا شرق الجزائر هو ابن الملك هيمسيال الثاني و بذلك يكون حفيد الملك يوغرطة.

[2] Milidès لفظ ذكره كتبة الرومان يقصدون به مناطق جبل العمور والأماكن القريبة المحاذية لها.

في أيام، ثم تظهر Mauritanie césarienne[1] عند أقوام هم Massésiliens[2] عند هؤلاء يندفع تدفق مائي عظيم تعيش حوليه حيوانات هي نفسها الموجودة في الحوض المائي الأول، هنا نشاهد حضارات بشرية على ضفافه، هذا الحوض المائي ينام على أراضي رملية، حاله هكذا مسافة عشرون يوما، حتى نصل ناحية Ethiopiens orientaux[3] على امتداد هذا الحوض المائي، يسكن الرجال ويبقى الوضع على حاله حتى نصل ناحية Nigris. هذا الحوض يفصل بين إفريقيا وl'Ethiopie هذه النواحي تسكنها أقوام عديدة، تقل فيها الحيوانات المتوحشة وغير الأليفة، تغطيها غابات ضخمة هذه الغابات تقسم l'Ethiopie يسميها السكان المحليون Astapus هذه الكلمة تعني المياه التي تخرج من المناطق المظلمة".

هذا النهر الدي تكلم عنه حوبا، ما هو إلا وادي الجدي الذي يصب في شط ملغيغ، المسافة[4] ستة وتسعون كيلومتر وستة وخمسون مترا هي نفسها المسافة التي تفصل بين منابع وادي جدي ومكان نهايته. كثير هم الكتبة الرومان، الذين سايروا مسارات وادي جدي رغبة في التعرف على مساراته، والنظر في بداياته ونهاياته، هذا أعطاهم اليقين أن نهر النيل منابعه تأتي من موريتانيا، يخبرنا يوليوس هونوريوس Julius Honorius[5]، كاتب عاش 460 بعد الميلاد، يعلمنا أن نهر النيل

---

[1] *La Maurétanie césarienne* هي مقاطعة تابعة لروما القديمة هي الجزء الشرقي من موريطانيا المغرب الآن هي تماثل نوعا ما الجزائر الوسطى دون الجنوب حدود المقاطعة من ناحية الجنوب مدينة الأغواط على الخريطة الرومانية القديمة واقعة غرب افريقيا الرومانية راجع الخرائط القديمة.

[2] ***Massésiliens*** لفظ ذكرة الكتبة الرومان من الشعوب الليبية *libyque* التي سكنت نوميديا الجزائر الحالية وجزء من الشمال المغرب الآن وصولا لواد ملوية بالمغرب.

[3] *Ethiopiens orientaux* في الأساطير اليونانية يطلق لفظ اثيوبيا على الشعوب الافريقية الواقعة جنوب مصر أصحاب البشرة السوداء تقابل عند المسلمين الحبشة.

[4] الكتبة الفرنسيون في تقدير المسافة يعتمدون تقدير *lieue* يحسب بالكيلومتر هكذا 1 *lieue* = 4, 82803 *km*.

[5] ***Julius Honorius*** من الكتبة الرومان عرف له مؤلف واحد ***Cosmographia*** هي ملاحظات ومعلومات كتبها أحد تلامذته تعليقا على خريطة العالم القديم.

منابعه واقعة في الجانب الجنوبي من الأطلس، ويعلمنا أن هذا النهر الذي هو وادي Nilotès جدي، يندفع ناحية بحيرة تحمل اسمه هو يحصر فيها.

مسار وادي جدي مقداره 724 كيلومتر في مساره، تغذيه الروافد المائية الكثيرة، مساره لا يحافظ على تدفقه، هو يتناسب مع مواسم التساقط. لما يقل المطر يقل تدفقه، بل يجف ويبدو لمن لا يعرفه قاعا صفصفا، المياه تنساب داخل الرمال، من يعرف وادي جدي هو يخافه، لما تهطل الأمطار يظهر قوته، ويتحول إلى طوفان عارم جارف، لا يبقي ولا يذر، يغزو المناطق المنبسطة حواليه، ويخلف وراءه طبقات من الطمي، تسعف النبات وتعيد الحياة للطبيعة.

واد الجدي من أهم روافده، ما يأتيه من الضفة اليمنى، تعرف بواد ردات هو غير بعيد عن قصر عين ماضي، واد ردات لما يصل واد مزي، يأخذ له مسمى آخر هو واد مخربط Mkrabet، واد مخربط هذا يصب في واد مزي، المصب موجود ناحية نزول المياه واندفاعها، في مكان يسمى مصب تاجموت، هذا المكان يأخذ له مسمى هو واد مسعد، هو يحمل مسمى آخر هو واد قيمن، لما يأتي من ناحية جبل الحويطة. واد قيمن يأخذ بداية مساره من الشرق إلى الغرب، على طول المنحدر الجنوبي لجبل السهارة، وكذلك جبل جلعاد، ثم يأخذ الاتجاه الشمال الشرقي، هنا يمر بين جبل مدلوس وجبل رأس العيون، ثم يدخل من خلال مقطع صخري في جبل تيزغرارين، ليلج منطقة غابية هي قريبة من واحة الأغواط، في الأيام العادية يغيب التدفق، وحتى انسياب الماء حتى في فصل الشتاء، ونذكر أن واد الحَمَّار يخرج من منطقة تسمى رأس الحَمَّار.

الصفة اليسرى لواد الجدي تغذيها مصبات مائية، يمكن أن نذكرها بالجمل: واد مرزوق، واد متليلي هذا ينساب من الشمال ناحية الجنوب، مجراه واقع بين جبل الميلق وكاف متليلي، نجد كذلك واد دمد، يأخذ له مسمى آخر هو واد حمودة، هو يمر ناحية مسعد، إلى جانب واد دمد، نجد واد الهانية، وواد البرج، ووواد الناموس، ووواد بسكرة.

تقع على بعد أربعمائة وواحد وعشرين كيلومترا من الجزائر العاصمة، على الضفة اليمنى لوادي المزي على خط الطول 0°30، و خط عرض شمالي 33°48، مدينة الأغواط واقعة على ثلاث قمم من القمم الصخرية لجيل تيزغرارين، أو كما يسميه البعض صخرة الكلاب، هكذا المدينة تمدد جغرافيا من الشمال الشرقي، إلى الجنوب الغربي.

ارتفاع مدينة الأغواط هو سبعمائة وسبعة وثمانون متراً، المنحدر الشمالي للقمم تغطيه المساكن على خلاف المنحدر الجنوبي أبن تقل المساكن، البيوت أشتات تجتمع أحيانا وتفترق أحيانا أخرى، في مسافات متفاوتة و غير متقاربة.

جبل تيزغرارين يقسم المدينة إلى قسمين متمايزين، على شماله وجنوبه تمتد حدائق المدينة، يحيط المدينة جدار حماية مع وجود برجان. الأول هو برج موران Morand، واقع ناحية الشمال الشرقي

للمدينة، الثاني هو برج بوسكران Bouscaren واقع ناحية الجنوب الغربي للمدينة، البرجان يتوجان أعلى القمم، التي تقع عليها المدينة، نجد على القمة التي تأتي مباشرة بعد القمة، التي يقع عليها برج بوسكران، ضريح سيدي الحاج عيسى ولي مدينة الأغواط، الذي يعود له الفضل في تأسيسها.
مساكن الأهالي من تربة الأرض، وهي تربة طينية ممزوجة بالرمل، هذه التربة تُحضر بطريقة خاصة وهو أن يخلط الطين الممزوج بالرمال بالماء، بعد عملية المزج يوضع الطين في قوالب مستطيلة من خشب. لما يخرج الطين من القوالب يوضع في الشمس ليجف، حتى تُرفع الجدر ترصف القوالب الجافة نائمة وعلى ظهرها حسب المقتضيات، تتجاور أزواجا أو ثلاثة، والأعم أن تكون أربعة حسب العرض المطلوب، الذي يريده البناؤون. فبل أن توضع القوالب، توضع طبقة من الطين اللزج القوالب، أو اللبن كما يسميه البعض يشد بعضه بعضا، ويكون كالبنيان المرصوص، لما يرفع المستوى الأول من الجدار، تعاد الكرة في المستوى الثاني، وبطريقة مخالفة توضع القوالب على هيئتها الأولى، مع اختلاف نظام الوضع، وهكذا حتى يرتفع الجدار، حيث يأتي وضع القوالب معاكسا للأول، وهكذا لما يرتفع الجدار قليلا، يتحول هو نفسه لسرير يقف عليه البناء، هو يحافظ على المحاور، يجعلها عمودية. البناء يحافظ على قاعدة المسافة وكذلك الاستواء، هذا العمل يحتاج دائما للرصف الصحيح ولطرق الطين ليسد الفراغات. هناك من يضيف للطين القش المفروم، ليضاعف قوة تماسك القوالب الطينية، العادة عند السكان أن يكون المسكن من طابق أرضي فقط، تسقيف المساكن يستعان عليه بجذوع النخل، حيث تقسم أقساما معلومة، هذه الجذوع توضع بشكل متوازي، يتناسب مع طول الغرفة.
ندرة مصادر الطاقة وفقدانها قرب وحول مدينة الأغواط، رفع كلفة إنتاج مادة الجير، هذا هو السبب الذي دفع السكان لاعتماد الطين كبديل حتمي، جهاز الهندسة العسكري الفرنسي، عدل معادلة البناء، لم يلغي نظرية الأهالي في البناء بالمطلق. بل أحدث طرائق هندسة بناء جديدة، أكثر ملاءمة ومقاومة، اشترط في البناءات أن توضع لها أساسات من الحجارة والجير، ثم ترفع بعد ذلك قوالب الطين.

لما وصلنا مدينة الأغواط عن طريق الجزائر، نظرت ناحية اليمين عند سفح جبل رأس العيون، رأينا آثار مخيم، كان مقرا لعناصر وقيادات الرتل العسكري المتحرك لمدينة الأغواط. بعد ذلك دخلنا واحة النخل عن طريق حي كاسين Cassaigne[1]، هو حي مفتوح في الغابة منه ترى مسجد بليسي Pélissier، ناصع البياض شامخا، تحت سماء صافية زرقاء.

1. [1] *Cassaigne* هو المقطع الظهراوي شارع أول نوفمبر الآن.

الناحية الشمالية للمدينة يسكنها الأوروبيون، الشوارع مقوسة والمساكن الأوروبية بنيت على أنقاض مساكن الأهالي، الاستثناء الوحيد هو حي الشطيط، بقي على حاله وحافظ على عمارته، التي كان عليها يوم اقتحام المدينة، يوم 4 ديسمبر من سنة 1852، اليوم الذي تمكنت فيه فرنسا من أخذ المدينة والاستلاء عليها. يخترق مدينة الأغواط واد الخير هو متفرع من وادي مزي، هو يغذي بالمياه واحة النخل والحدائق المنتشرة، من أجل ذلك نجد حواجز كثيرة تجمع الماء وتحتجزه.

السد العربي الأول مشكل من الصخور الجافة والتربة، هو يحول مياه مزي ويأخذها ناحية الواحة الجنوبية بواسطة ممر هو سواقي، تخترق شق منفتح في المدينة، يمكنها من توصيل المياه بكل انسيابية. هناك سد عربي ثاني، يقع على بعد مسافة من السد الأول، يأخذ المياه من نفس المجرى يحمل المياه بواسطة سواقي السقي، ناحية الواحة الشمالية، السدان ضعيفان، ولا يثبتان أيام التدفق والفيضان، منذ اقتحام مدينة الأغواط واحتلالها، تم بناء سدا ثالثا، تم بناؤه عند نهاية الدعامة التي ترتفع غليها بوابة مدينة الأغواط. هذا السد مشكل من حزم نبات الحلفاء، ممسوكة بمثبتات غرست في الصخور الصلدة لجبل تيزغرارين، هو يحول المياه وبشكل طبيعي ناحية الأراضي الزراعية الواقعة ناحية الجنوب، ناحية الضفة اليسرى للوادي يوحد جدار صخري يشد ويدعم، وضع ليوازي مجرى الوادي.

واحة الأغواط جنة غناء، أشجارها كثيرة و فواكهها متنوعة، تجد فيها أشجار الكروم بأنواعها، وأشجار التين والرومان بأثمارها، روائحها الزكية العطرة المنبعثة، تذكرك بالجنوب الفرنسي، الخضروات أنواع وأشكال، وفيرة إلى درجة أنك تعتقد أنها مهملة وملقاة على الجوانب. بينهن كلهن تقف الملكة المتجلية بالجمال، المزدانة بالخضرة والمهابة والجلال هي النخلة، أوراقها دائمة الخضرة، الواقفة وقوف الشموخ المُظَّلَلَةُ بالظل الوارف الشامخ، السامقة سموق الشمس المعطاءة، النخلة هنا في الأغواط ليست نخلة أو نخلتين هنا هي نخيل وارف الظلال، الأغواط واحة نخل عظيمة، هي غابة سماؤها الجريد يستظل بها الجالس، و يأوي لها الواقف، ويتزود منها المؤمن العابد.

الثقافة المحلية لأهل البلد هي ثقافة النخلة وثمرتها التمر، تجد فهمهم وعنايتهم وحرصهم على النخلة ودرايتهم بقيمتها وفضلها، نعم جودة التمور أقل، مقارنة مع مثيلاتها في المناطق الصحراوية الأخرى ولعل من أهم مشكلاتها، أنها غير قابلة للتخزين لفترات أطول، مع ذلك تبقى هي عنوان الحياة

والبقاء في المدينة هي غذاء الناس ومصدر رزقهم وبقاء حياتهم. عملة البلد هي التمر، يقايضون به ويقتحمون به الأسواق، ويكسبون أنفسهم المال، ومع المال يأتي الثراء المكسو بالعزة والأنفة، عزة تجدها في النفوس، وأنفة في القلوب، لما يعودون من الأسواق، يعودون وقد حملوا البضائع النفيسة الغالية، التي اكتسبوها بفعل المقايضة والمبادلة، داخل الأسواق وخارجها.

النخل زوجي هو ذكر وأنثى، يمكن التمييز بينهما لما يزهر النخيل في شهر مارس، هناك زهر يظهر أن النخلة أنثى، هنا في هذا الموسم يؤخذ الطلع من النخل الذكر ويوضع في ثنايا الزهر، هو رَطِبْ يشبه طحين القمح اللين، يمسك بشكل يتيح للطلع أن يتناثر على الزهر ومن ثمة يلقحها. يترك الأمر هكذا حتى بداية شهر جويلية، هنا تكبر العراجين ويزداد حجمها، في هذه الحالة يكون وضعها وشكلها مزعجا، وان بقت هكذا على حالها، هذا يحدث انكسارات في العراجين، من أجل ذلك يتم التدخل وتعديل أوضاعها، بشكل يتيح لها نموا طبيعيا، وأن يكون هناك متسعا للضوء والحرارة. لما تنفصل العراجين عن بعضها البعض، وكل عرجون يأخذ الحيز الذي يحتاجه، تنو الثمار نموا طبيعيا مطردا، ما يأتي شهر أكتوبر حتى يحين موعد قطع العراجين، وأول ما يقطف من النخل هو الرطب الذي يتباشر به الأهالي، ويهدوه لبعضهم البعض. ما يزعج ويهدد الموسم، هي أمطار أكتوبر، وما يهدد الموسم كذلك هي رياح الشرق والشمال، التي تهب شهري مارس و أفريل، وقت الإخصاب والتذكير.

النخلة تبدأ في الإنتاج والعطاء، لما يكون عمرها بين الثامنة والعاشرة، أفضل النخل الذي يستنبت من النخل نفسه وبشكل مباشر، وأقل النخل عطاء هو الذي يستبت بواسطة الشتلات. تأتي نتائجه ضعيفة، في السنوات الأولى للنخل يتم تقليم الفروع السفلى، مع الزمن تكتسب النخلة ما يشبه سلالم إذا بقيت واضحة، عدها يمكن من معرفة عمر النخلة، كل درجة توافق سنة من عمرها لما يكون الموسم جيدا، تعطي النخلة في المتوسط من ثمانية إلى عشرة عراجين في الموسم الواحد.

نسغ النخيل يستخرج منه سائل حلو المذاق منعش يسمى لاقمي aguemi، لفظ عامي عند أهل البلد، استخراجه يتم بإحداث فتحة تمكن من الولوج لقلب النخلة. نضع عند نهاية الفتحة إناء ينساب إليه الماء الحلو، فعل الضغط الداخلي يمكن تجميع هذا السائل الحلو و في صبيحة يوم واحد، ما يقارب من عشرة لترات، تمتد العملية لمدة عشرة أشهر كاملة، بشرط أن نحافظ على

الرطوبة ونحمي المدخل، حتى لا تغزوه الحشرات، هذه العملية ترهق النخلة، وتكون سببا في تلفها ونهايتها.

نجد في الأغواط أكثر من خمسة عشرة نوعا من التمور[1]، كلها قليلة الجودة، باستثناء صنف التواجات وكذلك تيزاوات، هي متميزة وحسنة المذاق، بشرط أن تستهلك رطبة وحين قطفها.

نواحي مدينة الأغواط يكثر شجر البطم، إلا أنه ينقص ويتلاشى كلما اتجهنا ناحية الجنوب، البديل عن البطم ناحية الجنوب هو شجر التماريس، العرب يسمونها التسال. نجد كذلك شجرة السدرة النباتات الأكثر انتشارا نجد العجرم، وكذلك الرمث، وكذلك الرقا، ونجد نبات القدم، ونبات الشيح، ونبات السليان، ونبات العرفج.

غير بعيد عن مدينة الأغواط، نجد ما يسد حاجات الناس من الحطب، الذي يسعف مواقدهم ويوفر لهم الطاقة، التي يحتاجونها في معاشهم وحياتهم اليومية. على بعد ستة عشرة كيلومتر ناحية الغرب، يوجد على ضفاف وادي مزي حيز غابي مكسو بأشجار التماريس، هذه الأشجار تكسب المكان رؤية جمالية أخاذة، ناحية الشرق نجد أشجار الرق، وعلى نفس المسافة السابقة، وهذه المرة ناحية جنوب واحة النخل، نجد الكثير من شجر البطم، هذا الأخير يوفر خشب تدفئة عالي الجودة.

قطاع مدينة الأغواط يتشكل كالآتي: أولا مدينة الأغواط والقصور، وهي كالآتي: قصر العسافية، وقصر الحيران، وقصر الحويطة، وقصر عين ماضي، أضف لهم تاجموت. ثانيا القبائل وهي كالآتي: المخاليف الزرق والجرب، أغاليك الأرباع، هذه المجاميع البشرية محصورة، بين قطاع الجلفة من ناحية الشمال، من ناحية الشرق الحد هو بسكرة، ناحية الجنوب الحد هو غرداية، من ناحية الغرب الحد هو أفلو.

فطاع مدينة الأغواط، ينقسم إلى بلديتين هما كالآتي: البلدية المختلطة، و بلدية الأهالي، التي تتكفل بالأهالي، يشرف عليها حاكم، يساعده في وظائفه مجلس بلدي مستقل من البلدية المختلطة، وبلدية الأهالي، الحاكم يستند للقوانين، التي تحكم نظام البلديات العاملة، الخاضعة للسلطة الفرنسية.

2. تمور الأغواط هي: التواجات، تيزي وات، تادماما، تام جهورت، تادالة، دقلة نور، القرص، حماراي، قرص، أم باباتي، أصبع لوصيف، بابا بوذراع، قرن الغزال، كار بوش، كنت، الحلوة، بنت خبالة.

البلدية المختلطة لمدينة الأغواط، تعداد سكانها سنة 1889 كان ثلاثة آلاف وثمانمائة وتسعة وثلاثون 3839 نسمة، هذا التعداد ينقسم هكذا: خمسمائة و تسعة عشر 519 أوروبي، هذا العدد يندرج فيه اليهود، الذين هم من الأهالي. تعداد الأهالي المسلمون هو ثلاثة آلاف وثلاثمائة و عشرون 3320، ينضم إليهم القادمون من تونس والمغرب، مساحة مدينة الأغواط هي: ألفان واثنان وستون هكتار 2062 هكتار.

بلدية الأهالي العرب المسلمون، عدد الساكنة هو ثلاثة عشرة ألفا و أربعة مئة وثلاثة وستون 13463 نسمة، مساحتها ثلاثة ملايين وأربعمائة وخمسة عشر ألف هكتار 3415000 هكتار تنقسم إلى ثمانية عشرة ملحقة، هي ملاحق خاصة.

المبحث الأول

تاريخ الشعوب التي سكنت مناطق الأغواط، وهي الأصل في وجوده يكتنفها الغموض[1]، تطور المدينة عبر الأزمنة والحقب، غير مدرج في كتب التاريخ، من أجل ذلك معرفتنا التاريخية قليلة وهي لا تفي بالغرض، هي حياة شعوب سكنت واستوطنت الشمال الإفريقي. أقول أن معرفة تاريخ الأغواط، تدرج في ميراث الرومان، ونجده خاصة عند الكتبة منهم، حكام الرومان أرسلوا بعثات استكشاف وإن كانت قليلة، من أجل الكشف والتعرف على شعوب نوميديا كما سموهم هم، لفظ نوميديا Numides[2] بهذا اللفظ العام، يعني البدو الرحل، أي الشعوب التي تعيش حالة البداوة، لا تستقر في مكان واحد، حياتها هو التنقل والبحث عن الماء والكلأ، مع الزمن لفظ نوميديا تقلص عند الرومان، وأضحى لا يستوعب إلا الشعوب التي تعيش قرب ممالك قرطاجة، والتي تقع غرب قرطاجة تحديدا. اللفظ الذي جمعهم، أي شعوب الشمال الإفريقي هو لفظ موريس Maures، معناه العام هو المغاربة، أما المعنى الخاص عند كتبة الرومان، فهو سكان وشعوب الصحراء الغربية، أما من سكن مناطق الهضاب العليا الواقعة جنوب نوميديا، أطلق عليها كتبة الرومان اسم الجوتيلي، لا مناص أن نقول أن الأغواط، يقع في الجوتيلي Gétulie[3] بالتحديد. الأغواط هو الحد الفارق بين مناطق الجوتيلي حيث هو نهايتها، ويأتي بعده ما يعرف عند كتبة الرومان ميلانو ـ الجوتيلي la

---

[1]الأغواط عاصر الحقب وشاهد الأحداث التاريخية وشارك فيها وتاريخه من تاريخ مغراوة العظيم.

Numides[2] تمثل في الخريطة العالم القديم الجزائر الآن أنشأ النوميديون في شمال إفريقيا دولة قوية ذات حضارة أصلية إفريقية بناها الأمازيغ السكان الأصليون للبلاد حاربوا هيمنة الحضارات الوافدة الفينيقيون في قرطاج وروما والفاندال والبيزنطيون واستقر الأمر مع الفتح الاسلامي من أسباب نجاح مملكة نوميديا عمل الملك ماسينيسا 205 قيل الميلاد يمثل العصر الذهبي للمملكة لكن خلفائه على الرغم من جهودهم لم يتمكنوا من مقاومة الغزو الروماني الأغواط من حضائرها العظيمة ينضمون لشعوب الجوتيلي *des Gétules*.

[3]راجع تاريخ بني لقواط فصل لقواط والممالك الأمازيغية القديمة الجوتيلي ***Gétules*** .

Melano-Gétulie[1]، هناك معلومات تاريخية وافية وكافية، حول أصول هذه الشعوب، التي سكنت الشمال الإفريقي، المؤرخ الروماني بركوب[2]Procope، يقول أن الشعوب التي استوطنت الشمال الإفريقي، هي شعوب جاءت من فلسطين، طردها العبرانيون، بركوب يعتقد أن الهكسوس وهم غزاة ساميون، ملكوا مصر القديمة لقرون عديدة، بعد الإطاحة بالعائلة الفرعونية الثالثة عشرة بالروماني تكتب هكذا XIII،بعد ذلك أزال حكمهم وطردهم الفرعون أحمس الأول، هو من العائلة الثامنة عشرة بالروماني تكتب هكذا XVIII، وذكر أن من الفارين من التحق بالشمال الإفريقي واختلط بشعوبه.

لما يُذكر القرن الخامس عشر قبل الميلاد، يذكر المؤرخون والكتبة الرومان أقواما من البدو، هم رجال ذوي الشعر الأشقر، يركبون أحصنة بيضاء، جاؤوا من ناحية الغرب تحديدا من منطقة تسمى سليست Salluste أقلقوا من سكن افريقيا. أخبارهم وثقها كتاب كُتُب الملك هيمسيال Hiemsal،كتب باللغة البونيقية[3]، نقرأ في الكتاب هذه العبارة: « هرقل tyrienأدخل مجاميع إلى المكان الذي يسمى الآن باسمه أعمدة هرقل، إلا أن هذا الجيش هزم وتم تحطيمه في إسبانيا، من نتائج الهزيمة، أن مجاميع من اصول إرانيهPerses، التحقت بشعوب الجوتيلي، اتحدوا وكونوا ما يعرف نوميديا، قدماء الفرسالمبدس Les Mèdes، مع الأرمن Arméniens من المنهزمين، هم كذلك ذهبوا ناحية إفريقيا، و شكلوا في ليبيا شعب الموراسMaures».

«المختصر المفيد أن هناك هجرات مهمة وكبيرة، جاءت من قبل الشعوب الآسيوية على فترات متعاقبة من التاريخ، وجهة هؤلاء كانت إفريقيا الشمالية، وأن أقوام تشبههؤلاء المهاجرين، سكنوا الشمال الإفريقي، منذ الحقب الأولى، هم يتماثلون في اللون والشكل، وحتى في العوائد والتقاليد مع هؤلاء

---

*laMelano-Gétuli*e[1]الكتبة الرومان استعملوا هذه التقسيمات لما انقسمت مملكة نوميديا حملت قبائل الجزء الشرقي من نوميديا اسم ماسيليسMassyles وتلك التي في الجزء الغربي من ماسيسيليسMassæsyles راجع فصل لقواط والممالك الأمازيغية القديمة الجوتيلي Gétules.

Procope[2]المسؤول الأعلى لمحكمة القسطنطينية حاكم المدينة عام 562 بروكوب أبرز المؤرخين في ذلك الوقت سكرتير بليزير تابعه في حملاته تابع صراعات الإمبراطورية الشرقية ضد الفرس ولد حوالي 500 وتوفي حوالي 565 ميلادية من مؤلفاته معارك جوستيسيان ***Justinien*** و الحروب الفارسية.

[3]اللغة البونيقية تسمى أيضا القرطاجية تشكيلة منقرضة من اللغة الفينيقية لغة كنعانية للأسرة السامية لغة الإمبراطورية القرطاجية في شمال الافريقي.

الجدد، الذين اقتحموا الشمال الإفريقي، هذه السمات النفسية والعوائد، هي نفسها نجدها عند الشعوب الأوروبية القديمة» الشعوب الأوروبية التي تماثل السكان الأصليين، نجد الإبريين Les Ibères وكذلك الكلت Les Celts:« العرق الأمازيغي تداخلت فيهم أعراق أخرى عارضة على مر الزمن، وأن هذه الأعراق قد أحدثت سلال عرقية، يمكن معرفة بداياتها وتسلسلها عبر الزمن إلا أن الحقيقة الظاهرة، هي أن الأمازيغ عرق مكتمل له ما يميزه، وله ما يجعله إفريقيا صرفا، مثله مثل عرق مصر القديمة، رغم التداخل العرقي وحركة التاريخ، يبقى المثال المصري، كالمثال الأمازيغي ندركه لغاية الآن وللوهلة الأولى، لا تجد صعوبة في تمييزه عن بقية الأعراق الأخرى، هي الشعوب التي سكنت الشمال الافريقي».

« الأكيد أن الأمازيغ هم من ملك الشمال الإفريقي، منذ الحقب والأزمنة الغابرة، وأنهم هم العرق الغالب دون منازع، بعد ذلك عرفوا الصراع الحتمي مع الأعداء والخصوم، الذين اقتحموا الشمال الإفريقي، تأثر الأمازيغ بالوافدين الجدد، وجاءهم الأثر في لغتهم وتقاليدهم، بل تأثروا بالسمات النفسية لخصومهم واكتسبوها، هذه جاءتهم من الشعوب الأوروبية وكذلك الكنعانية.» هؤلاء يصنفون في العرق الأبيض « امتزاج الثقافات والهويات، له أثار عميقة في الهوية والوجدان، هذا لا ينكره أي باحث، لأن البحث التاريخي العلمي يوصلنا لا محالة لرصد هذه الظاهرة، لأن صفاء ونقاء المورد العرقي، والثقافي لا وجود له في تاريخ الشعوب، هذه الظاهرة لها قوانين تحكمها، هي مشتركة بين البشر، الحاكم عليها هو هذا القانون نفسه: العرق الكامن الثابت في الحضور رغم التغيرات، يبقى هو نفسه الغالب، أما ما جاء من خارج الهوية الثقافية، بالضرورة سيندمج في رحم الهوية الغالبة.» نفس القانون سَنُحكمه، لما نرصد ظاهرة دخول العرب للشمال الإفريقي، رغم كثرتهم استطاع العنصر الأمازيغي أن يدمجه»« العنصر المدمج الدخيل، لا يستطيع أن يمنع نفسه، وان تغيرت أماكنه أن يبقى محافظا على لغته وعاداته».

«رغم المؤثرات القادمة مع القادمين والغزاة، العرق الأصيل الساكن الشمال الإفريقي، حافظ على هويته الليبية، وبمعنى أدق وصحيح، نقول أنه حافظ على هويته الأمازيغية».

شعب الجوتيلي هم أمازيغ، أمر لا ريب فيه، هذا قبل الغزو الروماني، كانوا خاضعين لملوك نوميديا خضعوا لحاجتهم الملحة للحبوب وهي عنصر غذائهم. الاعتماد على نوميديا كلفهم غاليا، من أجل ذلك ماريوس Marius آثر أن يترك نوميديا، ولا يخضع لسلطتها، وأن يكون من مجاميع البدو الذين آثروا الذكاء، لكي يستفيدوا من نفوذ الرومان، وبالتالي يحققوا مصالحهم السياسية والاجتماعية الكثير من الجوتيلي، أخذوا رتبة الوكيل للحكم الروماني، ومنهم من حضي برتبة صاحب الحق في المواطنة الرومانية. تحوُل الجوتيلي عن نوميديا، أيقظ أحلام القيصر الروماني في الاستحواذ على

ممالك شمال إفريقيا، وأن هذا التحول قد أسعف القيصر في هزيمة ما يعرف بأهالي ببوبيان Pompéiens.

ملوك الموراس Maures بوشيش الثالث Bocchus III، و بوغود Bogud، هؤلاء من حلفاء القيصر الروماني، ماتا في زمن متقارب وبشكل مفاجئ، وغير منتظر. أعطى أوغست لجوبا ملك نوميديا السلطة من أجل إخضاع الموراس، الذين أظهروا التمرد، وكذلك شعوب الجوتيلي غير المنضبطين، بعد هذا الاتفاق تحولت مملكة نوميديا لمحمية رومانية، تصل حدودها حدود واد الجدي. السيد الكابتن capitaineRagot، أعلن عن وجود سد روماني على واد الجدي شرق مدينة الأغواط، هذا الاكتشاف وقع سنة 1857. الدكتور مالفتر Maillefer، وجد في المدينة غير بعيد عن برج موران، ميدالية رومانية وصفها هكذا «ميدالية قيصرية تحمل رأساكسينتوسMaxentius [1] سكت من البرونز، الرأس يظهر وهو جالس في معبد هيستايلhexastyle، رمزا للأسطورة، كتب على الميدالية : CONSERV. VRB. SVAE المعنى هو: أمين مدينته».« عهد ماكسينتوس Maxentiusواقع بين سنوات 308 و 312 بعد المسيح»

نعم وجود ميدالية تعود للعهد الروماني، لا تعني أن المدينة كانت رومانية، الأمر الذي لا يختلف عليه المؤرخون، نعم هناك بعثات رومانية كثيرة، أرادت استكشاف الجنوب، هي مرت حتما بمدينة الأغواط ومناطقها.ثيودوسيوس Théodose تابع الأمازيغي فيرموس Firmus، وذهب معه ناحية الجوتيلي، ووصلوا بلد الاسفلين Isafliens، هي المنطقة الجبلية التي نسميها الآن جبل السّحاري وواصل سيره، حتى وصل بلد النخيل. هناك بعثة أخرى للرومان، قام بها كل من سبتيتيوسفلاكيوس SeptimiusFlaccus و يوليوس ماترنيوسJulius Maternus، وصلا منطقة أغيزومباl'Agisymba، هي الآن واحة أهرير Aïr في بلاد التوارق الخلوي.

لما ظهرت قبائل الوندال مع قائد همجينزريك Genséric غزاة في الشمال الإفريقي، كان الجوتيلي لهم عونا في التحطيم والخراب الذي وقع هذا الحدث وقع سنة 420 ميلادي، إلا أن خليفة جينزريك وهو هوميري أبعدهم عنه، وتم الطلاق النهائي بين الجوتيلي و الوندال، في عهد خليفة هوميري، وهو تراسموند Thrasamond، هنا غير الجوتيلي حلفهم، وتحالفوا مع شعب الموراس Maures، وخاضوا حروبا معهم ضد الوندال.

لما حكم العرب مصر، اتجهوا ناحية الغرب، تحت قيادة عقبة بن نافع، أمير الخليفة الأموي حوالي سنة 653 ميلادية. حازوا مناطق الجوتيلي، قبل أن يصلوا الساحل، في هذا العهد كانت الأغواط مدينة يسكنها الأمازيغ، وبالتحديد مغراوة، هذا كان يمثل أهم فروع قبيلة الزناتة، قبيلة عظيمة وأم

[1] من أباطرة الرومان .

ينتسب لها أقدم عرق أمازيغي، هو أصل الأمازيغ، هو الفرع الأشجع والأقوى في العرق الأمازيغي دون منازع ولا منافس.

المغراويون شعب يعيش تحت الخيم، نمط حياتهم هو البداوة، لا يثبتون يتنقلون في المغرب الأوسط نوميديا موطنهم الأصلي، نواة وجودهم واقعة نواحي الشلف. لم يقبلوا الديانة النصرانية، ورفضوها بالمطلق، لما جاءهم العرب غزاة قاوموهم، لما عرفوا أن العرب مثلهم في طبيعة التوحش، التي تأتيهم من البداوة، ووجدوا أن القادمين يعرفونهم على خلاف الغزاة السابقين. العرب يشتركون معهم في الأنفة، والشجاعة، و المروءة، هي حال البدوي على خلاف الروماني وغيره، لم يقبل الأمازيغ العرب فقط، بل قاسموهم الايمان وسلكوا مسلكهم، هم أيضا حملوا راية الإيمان، ونقلوها للقبائل الأخرى التي تجهلها، وبشروا ودعوا للدين الجديد.

عرف جنوب المغرب الأوسط، غزو شعوب ودول عبر الحقب والأزمنة، مع ذلك استقر الوضع الاجتماعي وفق المعادلة القبلية الآتية: الأمازيغ سكنوا القصور والعرب سكنوا البادية.

لا خلاف أن أمة الأمازيغ، هم السكان الأصليون للشمال الإفريقي، وأن الشمال الإفريقي يسكنه الآن الأمازيغ ولعرب، هم من الشعوب البدائية، ومن أراد أن يصنف المجتمع تصنيفا صحيحا، يجب أن يراعي الترتيب التالي: الليبيون يسكنوا الناحية الشرقية، الجوتيلي يسكنوا ناحية الغرب، وبالتالي تم انهاء النفوذ الروماني بشكل كلي، وتم استيعاب حركة الوندال ضمن مضمون تشكل أمة جديدة ظهرت ملامحها، أمة أمازيغية ـ عربية.

لما دخل العرب الشمال الإفريقي، هرب الأمازيغ ولجأوا للجبال الواقعة شمالا، ومنهم من اتجه ناحية الجنوب، وإلى الصحراء تحديدا، لأن الصحراء لا تخلو من الأمازيغ، ومن أكبر الأمازيغ وجودا هم التوارق، وهم من أقدم الأعراق الأمازيغية في الصحراء. العرب دخلوا الصحراء، واتجهوا ناحية الأماكن الآهلة وخاصة الواحات، وبدأت علاقات مودة تسري بين الجميع، العرب وجدوا صعوبات جمة حتى يستقروا، لأنهم غرباء وقادمون جدد. بداية لم يرحب بهم، هم أنفسهم يكرهون حياة الاستقرار، لم يألفوا المجتمع الزراعي، كثيرا من العرب آثر الانتشار في السهول، لأنها مساحات مفتوحة، وغير آهلة بالسكان، بعض العرب آثر المغامرة وولج الواحات، والمناطق الزراعية، وجاور السكان، بل منهم من تملك الأراضي الزراعية، من غامر ناحية الشمال، لم يجد ما وجده غيره في الجنوب. لم يسعفهم من سكن هذه المناطق، سبب الإخفاق في المناطق الشمالية، ليس الأمازيغ بالدرجة الأولى، سببه الحقيقي فطرة البداوة الكامنة في النفس العربية، هذا الصراع لم يثمر الفتل والتنازع، كما يقع عادة في حياة البشر، بل ولد معادلة حياة و تعايش ورحمة، واستقر الأمر على أن الأمازيغ يتملكوا القصور أي الحضر، والعرب لهم الخيمة والبادية، وهكذا تتحقق سعادة العربي، هو يجدها في الترحل والتنقل.

قوانين الطبيعة قاسية وملزمة هي في أكثر من الأحيان، تلغي أطفالها وتتركهم للضياع والجوع، هذه القوانين الضاربة في عمق الفطرية الإنسانية، لم تنجح هنا، صاحب الأرض الأمازيغي، والقادم من جزيرة العرب، توافقوا واتفقوا على معادلة حياة، معادلة أضحت عقدا اجتماعيا، سيحكم الشمال الإفريقي، عقد التعاون بين القصر والخيمة. نعم الحضري يحتاج البدوي، هكذا عم الأمن والأمان وأمن الناس، القصورية يحتاجون البدوي، والبدوي لا بد له من يوم و أن يمر بالقصر.

العقد الجديد حرر العرب من الآن، لن يحملوا في ترحالهم مؤونتهم، ولا حتى كنوزهم، مما قل وزنه وغلى ثمنه، هم الآن يتركونها أمانة عند ساكني القصر، اخوانهم الأمازيغ، هذه الودائع والأمانات هي محفوظة، لا يصل لها اللصوص، ولا القبائل المتمردة من القبائل العربية والأمازيغية، التي تعيث في الأرض فسادا. العقد الجديد أثمر نمطا اقتصاديا جديدا من الشواهد عليه، أن العربي يدخل السوق مالكا للمادة الأولية، هي تصنع داخل القصر، العربي البدوي يجد حاجاته اليومية، اللباس والسلاح والملح وكل ما يحتاجه، هذا النمط تطور وأحدث معادلة جديدة، الأغنياء ساكني القصور يقتنون القطعان ويدفعونها للبدو، كي يحافظوا عليها وينمونها ويحولونها لتجارة رابحة، يقتحمون بها الأسواق ويجنون بها الأرباح الوفيرة. تقسيم العمل هذا أزال التناقضات الطبيعية، العالقة بحكم التاريخ والهوية والعرق، بدأ التواصل وارتسمت معالم حياة جماعية، تتجاوز القصر والقبيلة الواحدة، ظهر المجتمع المنتج، الذي يلبي حاجاته ويستغني عن الآخر، وانتهى المطاف بالمعادلة الاقتصادية، الناتجة عن العقد الاجتماعي المبرم للمعادلة التالية: الجنوب ينتج التمور، الشمال ينتج الحبوب، التبادل واقع في الأسواق، ما يغذي هذه الأسواق حركة القوافل، لا تتوقف حركتها هي من الشمال ناحية الجنوب دائبة، والعكس صحيح.

ظهر التكامل جليا بين التل والصحراء، التل هو خزان الصحراء من الحبوب، المعادلة البشرية تجاوزت ثنائية عربي ـ أمازيغي، لأن التداخل بالعقيدة والدين، وفعل المصاهرة والتعايش، أبرز حالة اجتماعية جديدة. نوميديا أو المغرب الأوسط كما يعرف الآن، أضحى المنتمي إليه يصنف وفق الثنائية الجديدة تلي ـ صحراوي، بغض النظر عن عرقه وجنسه، وظهرت ثقافة جديدة، تتجاوز الجنس والعرق وتمثل الهوية والانتماء، وما برفع الغموض عن هذه العبارة، مقولة شاعت وأضحت عرفا عند التلية والصحراوية، ينشدها الناس ويذيعونها بيهم ويتناقلونها في مجالسهم، يقول الصحراوية والتلية : « أرض التل أمنا، من اقترن بأمنا فهو والدنا وولي نعمتنا، وسيدنا ».

القرن العاشر الميلادي، ومع بداياته كان على ضفاف واد جدي في نفس المكان، الذي تتواجد فيه الآن مدينة الأغواط، نزلة يسكنها أمازيغ حياتهم كانت شظف من الحرمان، السبب في شقائهم وحرمانهم، أنهم جاؤوا من ناحية الزاب. منطقة واقعة في الصحراء، قبل أن يسكنوها كانت محطة للقوافل الآتية من الصحراء، الذاهبة ناحية التل، الأغواط محطة للقوافل ليست بالجديدة، من ركب

قوافل الصحراء، لا بد أن يمر بها .يخبرنا ابن خلدون، أن سكان الأغواط قاتلوا تحت راية مخلد بن كيداد[1]، المعروف عند أتباعه بصاحب الحمار، وأن هذا حصل سنة 936 ميلادية، وأن ابن كيداد هو من الإباضيّة النكّاريّة، وأنه و سكان الأغواط تجاوزوا المنطقة الفاصلة، بين ورقلة والأوراس. لا نستطيع أن نحدد الزمن الذي أنشئت فيه الأغواط، من المنطق أنها كانت نزلة آهلة بالسكان قائمة على ضفاف واد جدي منذ زمن بعيد، فيها وجد الرحل حاجتهم من الماء، أثناء تنقلاتهم وحركتهم، وأنها تعرضت لعوارض الزمن. كانت تظهر أحيانا وتختفي أحيانا أخرى، وأن ظهورها الأخير، يعود لأيام غزو بني هلال، الواقع حوالي سنة 1045 للميلاد، بعد هذا الغزو بسنوات أولاد سالم الفارين من قورارة، إثر الحروب والفتن الداخلية، نزحوا ناحية الأغواط، هؤلاء جاؤوا فارين مهاجرين، وما وصلوا الأغواط، حتى وضعوا خيمهم، قرب ضفاف واد جدي. ما حلوا حتى وجدوا قوما سبقوهم للمكان، هم فرقة جاءت من لغواط كسال، ممن جاورهم كذلك وسبقهم في المكان هم البدارة، جاوروا هم وقطعانهم ،كغيرهم حطوا رحالهم على ضفاف واد الجدي، بنوا ملاجئ لهم تحميهم. القبيلة القادمة من لغواط كسال هي أمازيغية، تنتمي لقبيلة مغراوة، قبل أن تحل وتسكن الأغواط كانت تسكن منطقة الزاب، منذ عهود بعيدة. عندما وقع غزو بني هلال، زحفهم أخذ طريق الغرب مجموعات غازية من بني هلال، احتلوا مناطق الهضاب العليا، الواقعة شرق جبال العمور، الممتدة من الأغواط وتصل حتى نواحي الجلفة، غزو بني هلال طرد أولاد سكحال وأولاد زيد، وأخرجهم من موطنهم الزاب، هؤلاء كلهم: أولاد سالم والبدارة وأولاد سكحال وأولاد زيد، هم من وضع اللبنة الأولى، لتأسيس قصر بن بوطة، الذي سيكون هو النواة الأولى لمدينة الأغواط.

ظهور قصر بن بوطة، جذب إليه جماعات بشرية، جاءت القصر من كل أنحاء المغرب الأوسط، لم يسكنوا قصر بن بوطة، بل شيدوا قصورا أخرى قريبة منه.

قدم أولاد بوراس من ناحية الزاب وشيدوا قصر بومندالة، أولاد بوزيان من الحميان الغرابة شيدوا قصر نجدال وسيدي ميمون. مجاميع أخرى مختلفة، حضرت من الزاب، هم كذلك شيدوا وسكنوا قصبة بن فتوح.

قصور الأغواط قامت على أنقاض ميراث حضاري، يظهر أحيانا ويغيب أحيانا أخرى، أضحت هذه القصور، هي النواة الأولى لتشكل مجتمع جديد، هو يقتحم التاريخ من جديد، في هذا العهد أضحى

---

[1] مَخْلَد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث الزناتي، أبو يزيد 336 ـ 270 هجرية 883 ـ 947 ميلادية رجل من الإباضية حارب الحكم الفاطمي يعرف بصاحب الحمار.

للأغواط امتداد جغرافي ممتد على مسافة، هي بين اثنين وثلاث كلومترات. الشكل الجغرافي والتنوع السكاني، هو الذي أكسبها اسم الأغواط، أصل الكلمة هو غوطة، الدلالة البسيطة للكلمة هو المسكن المحاط بحديقة، وجمع غوطة في اللغة العربية هو أغواط، من يسكن المدينة ويعرفها يُعَرفها بهذا التعريف اللغوي.

الأغواط منذ الأزمنة والحقب البعيدة، تظهر وتعاود الحضور، لما تنبت حواليها نخلات، يأتيها في الأغلب الغالب رعاة وناس بادية، يحضرون من هنا وهناك، يعمروها لما يغرسوا بعض الغرس ويستنبتوا بعض النبات، هي جدلية حاضرة في مسار تاريخي، تتدافع فيه الأحداث اندفاعا، بين القوة والضعف، بين الظهور الحتمي والاختفاء القسري. سكان الأغواط هم الصناديد الواقفون المدافعون عن الحمى والوجود، عدوهم موجود متربص بهم، متأهب لمنازعتهم الأرض والماء، من أجل ذلك هم مجتمعون، ليردوا زحف الأعراب والقبائل المتمردة على العرف والدين. الغزو يأتيهم من مناطق التل ومن الهضاب العليا خصوصا، هذا أكسبهم دون غيرهم حمية الدفاع، وأنفة الشجاعة، هم هكذا أمازيغ أحرار، أنفتهم أخرجتهم من ديارهم، ليغزو ديار غيرهم، ويدافعوا عن وجودهم. لما قامت دعوة الموحدين، انتصر لها بني بادين وزغبة[1]،وهم من زناتة، أرسلوا بعض فرسانهم للأغواط، ليأخذوا طريقهم بعد ذلك، ويستقروا في بلاد ميزاب. كان أهل الأغواط ناصرا ومنتصرا، لدعوة الموحدين هذا يتكرر مع بني راشد، لما عزم أهل الأغواط على نصرتهم، لما سقطت وأفلت امبراطورية الموحدين حوالي سنة 1269 ميلادية، لجأ الفارون من لغواط كسال ناحية الأغواط، وجدوا الأمان في الواحات الواقعة، جنوب غرب جبل العمور.

سنة 1368 السلطان عبد العزيز المريني، قرر من عاصمته فاس بالمغرب، طرد سلطان تلمسان أبو حمو من ملوك بني عبد الواد، من أجل هذا أرسل وزيره أبو غازي. أبو حمو هُزم في مواقع كثيرة ومن أهمها موقعة الدوسن، و تمت ملاحقته ومطاردته، لم يجد أمامه إلا طريق الصحراء، فسلكه ودخل الأغواط، ليعيد تجميع أنصاره وجنوده الفارين، إلا أنه لم يشعر بالأمان، فترك المدينة واتجه ناحية ميزاب، هذا الحدث وقع بالتحديد سنة 1868 ميلادية.

لما خضعت الجزائر للأتراك، بفعل خير الدين بربروس في هذا الزمن، كانت شعوب الصحراء تعيش الفوضى العارمة، ولا تخضع للسلطة المركزية في الشمال، هنا يقل كلام المؤرخين، ومن النادر أن نجد توثيقا للأحداث. ما يخبرنا به المؤرخون، وهذا هذا بداية القرن السادس عشر XVIالميلادي كانت فصور الأغواط، تدفع الضريبة لسلطان المغرب، هذا السلطان قام بجولات نادرة لهذه المناطق.

---

[1]راجع القبائل والممالك العربية مبسوطة في كتاب العبر ابن خلدون.

سنة 1666 ميلادية، عرب يوسف، هؤلاء سكنوا قصر بدلة، وقعت بينهم وبين جيرانهم فتن داخلية ولأن القصر، لم يعد يستوعبهم، قرروا ترك قصر بدلة، والذهاب ناحية شمال غرب الأغواط، وعلى بعد اثنان وثلاثون كيلومتر، شيدوا قصر تاجموت وسكنوه، هو كذلك واقع غلى ضفاف واد مزي.

تقع واقعة أخرى في نفس الزمن الذي وقعت فيه أحداث قصر بدلة، الواقعة هي هجرة وهروب سكان قصبة بن فتوح، وتركهم مساكنهم، يحكي لنا الجنرال فيلبرت Philebert، هو لقي القصاصين من الأغواط وأخبروه خبر هجرة السكان وتركهم قصبتهم:

سكن قصبة بن فتوح ولي من الأولياء العظام، اسمه سيدي الناصر سمعته وذكره وسيرته مشت بين الناس والركبان، هو ولي مستجاب الدعاء، دعوته عند الله مستجابة، شاهد الناس كراماته المتواترة هو العبد الخاشع المتضرع، محمود السيرة. اقترب منه الناس لينالوا فضله، وتعمهم كراماته، من كراماته أنه يشفي المرأة العقيم، ويملأ بيتها بالبنين والبنات، ويأتيه المريض العاجز، بدعائه وكراماته يشفيه ويرفع عنه المرض، و الداء العضال، من كراماته أنه يعيد الزوج الضال المفرط، لحضن زوجته وعائلته، عظم أمره وشاع خبره بين الناس، وتناقلت الركبان سيرته وفعله. ما كذر صفو الحياة في قصبة بن فتوح، أن ابن قايد القصر وسيده، لم يجد إلا الجحود من الولي الصالح سيدي الناصر حاول الشاب أن يقترب من السيد، لكي ينال بركاته، إلا أن الولي الصالح، يأبى ويتمنع، ولم يستطع الشاب، أن ينال بركات هذا الشيخ الوقور. سيدي الناصر كانت له بنتا هي آية في الجمال، حباها الله المحاسن وآيات الجلال، الشاب عشق البنت، راسل الولي الصالح، بذل الغالي والنفيس وأرسل كبار القوم، يتودد الولي الصالح، طالبا منه أن يزوجه البنت الجميلة، إلا أن الولي الصالح، ركبه العناد وتمنع، وأبدى الرفض الصريح، وفعل أكثر من ذلك. اختار لابنته شابا من قصبة بن فتوح وقرر أن يزوجه الغالية الجميلة، جميلة الجميلات، هنا قرر الشاب ابن سيد القصر، أن ينتقم، وأن يعجل في انتقامه، وانتظر وترصد يوم زفاف الجميلة، الشاب المكلوم لم يكن وحده، جمع بعض من أصحابه، ملأ قلبه الحقد، فقرر الانتقام، في ليلة ظلماء شديدة الظلمة غاب فيها البدر، تحرك هو وصحبه لينتقم، كان العروسان يرفلان في الفرح والسعادة، العروس سعيدة بالعريس. اقتحم الشاب غرفة العروسين، ولحزنه وما كبت من حزن، أجهز على العريس وأرداه قتيلا، لم يكتفي اختطف العروس، هرب بها وشفى غليله، لما وقع عليها، وأسكت صوت الرغبة في نفسه، ها هو يرتكب الفعل القبيح الشنيع، لما سمع الولي الصالح التقي الورع، ما وقع لأبنته غضب وأزبد، وتحول لوحش كاسر، ركب هو وأتباعه والمريدين الخيول، وقرروا مطاردة الشاب القاتل، والثأر لابنتهم الغالية، بعد جهد لم يتمكن الولي الصالح المستجاب الدعوة من الشاب، لما علم الشاب أنه واقع لا محالة، أجهز على العروس ذبحها، ثم أنهى حياته بنفسه، ووقع فوقها جثة هامدة.

ما سمع الولي الصالح المستجاب الدعوة الخبر، حتى غضب ثم قبض قبضة من رمل ونفخ فيها، ثم رفع أكف الدعاء، ورفع صوته داعيا، والناس يسمعونه، وجهر قائلا: الله رب السموات والأرض بعثر سكان قصية بن فتوح وشردهم، كما تُبَعَثَر حبات الرمل هذه، ثم نفخ نفخة واحدة، فتطايرت حبات الرمل وتناثرت في الأجواء. الله يحب أولياؤه، سمع دعوته وانتصر لوليه، تبعثر السكان بعثرة بقدرة قادر، الله جعلهم آية لمن يعصي وليه. وليسرف في عذابهم،ق ذف بهم كلهم ودفعة واحدة، ناحية مكان يبعد عن قصبتهم بمسافة 85, 1351كيلومتر. فجأة ودون علم سابق، وجدوا أنفسهم في منطقة هي الآن مدينة غدامس[1]،في هذا المكان الذي قذفوا فيه، وجدوا قوما هم أشتات عائلات، مغضوب عليهم، سكنوا هذا المكان منذ زمن قريب، طردوا من منطقة فزان، وسبب طردهم وهروبهم، أنهم قتلوا رجلا وهم مطالبون بدمه، ولأنهم قذفوا هنا قذفا، تعجب الهاربون من فزان من أمرهم وسألوهم: من أين جئتم ومن أي موطن قدمتم ؟ وكم هو الزمن الذي احتجتم له في سفركم ؟ ولأنه كانوا في غفلة ن أمرهم، ولا علم بالذي وقع، وكيف وقع، أجابوا من سألهم ودون تردد: نحن جئنا من قصبة بن فتوج، من غداء أمس، فسمي هذا المكان الذي وطأته أقدامهم غدامس، من أجل ذلك بنيت مدينة جديدة، وسميت من يومها غدامس، بعد فناء قصبة بن فتوح وقذف أهلها ناحية غدامس، ما بقي من الأغواط إلا أربع قصور، هي متقاتلة متناحرة تسكنها الفتن.
سنة 1672 يقوم المسمى أبو زيان، بتمرد في مناطق التيتري عند الحواسن، هُزم المتمردون، بعضهم لجأ لمدينة الأغواط، ممن لجأ القائد أبو زيان نفسه، مكث زمنا ثم غادر المدينة، وأخذ طريقه ناحية ورقلة.

[1]غدامس مدينة ليبية تقع قرب مثلث حدود ليبيا مع كل من تونس والجزائر جنوب غرب العاصمة طرابلسغدامس هي واحة نخيل سكانها 25 ألف نسمة تسمى مدينة القوافل تعد من أشهر المدن على خط التجارة بين شمال وجنوب الصحراء الكبرى ولها علاقة تاريخية مزدهرة في التجارة مع تمبكتو في مالي.

الولي سيدي الحاج عيسى ـ الفتن بين بني لغواط وسكان قصر العسافية ـ الأحلاف وأولاد سيرغين ـ الفتن الداخلية في مدينة الأغواط ـ الحرب ضد بني ميزاب.

المبحث الثاني

سنة 1698 ميلادية يدخل الولي سيدي الحاج عيسى قصر بن بوطة، ضريحه ما زال موجودا لغاية الآن، هو مرفوع فوق قمة من قمم جبل تيزغرارين، الواقعة ناحية الغرب، هذه القمة وظفتها القوات الفرنسية يوم 2 ديسمبر 1852، ومنها بدأ قصف المدفعية للمدفعية، لتعلن بداية اقتحام المدينة.سيدي الحاج عيسى ولد بمدينة تلمسان حوالي سنة 1868 ميلادية، توفي في مدينة الأغواط سنة 1737 ميلادية، هو من عائلة عريقة في تلمسان. والده اسمه عيسى بن ابراهيم، والدته محبوبة والدها سيدي الحاج بوحفص، شخصية نافذة في أولاد سيدي الشيخ، الحاج عيسى أظهر عند أخواله مواهبه في جذب الناس نحوه، بصفته ولي صالح أعماله تنفع البشر، تلقى معارف سوف تسعفه في حياته المستقبلية، عاد بعدها إلى مدينته تلمسان، هذا وقع سنة 1694 ميلادية، مر بمدينة وهران وحل عند قبائل لحرار، مكث عندهم زمنا، ثم أخذ طريقه ناحية مدينة الأغواط، ليتخذها سكنا وموطنا له.

ما دخل الأغواط حتى جذب إليه الناس، لغزارة علمه وورعه وتقواه، ذاع صيته وعلم خبره من سكن قصر بن بوطة، الأكثر من ذلك البدو سمعوا خبره، فاجتمعوا حوله يستفتونه في دينهم ويأخذوا من علمه الوافر، مع الزمن جاوز أقرانه من العلماء، أضحت له كلمة مسموعة، داخل القصور وخارجها، رأى الجميع أن هذا القادم الجديد، ليس بالرجل العادي ولا العالم، الذي عادة ما يستفيد الناس من علمه، هو شكل جديد ونمط مغاير، لم يألفه من سكن القصور من حَضَر، و من سكن البادية من بدو.

مع الزمن الرجل تجاوز وظيفته الدينية، بدأ يُكلم الناس كلاما آخر، مما كلمهم فيه وحدة المسلم واجتماع الكلمة، ونبذ التفرقة، كلام جيد شد الناس إليه أكثر، بدأ يمشي بين الناس، وينشر دعوته يقول لهم: لا حياة لكم، إذا لم تجتمع كلمتكم، موتكم وهلاككم في تفرقكم، ثم كلم الناس كلاما آخر كلمهم عن ضرورة وجود مركز حاكم ومتصرف، ينظم حياة الناس ويقضي على خلافاتهم، ويسد تناقضاتهم ولما لا يكون هذا المركز هو قصر بن بوطة نفسه، ولما لا يكون لهذا المركز حاكم يدير أمره وشأنه في البداية كان يلقي كلامه هكذا مجردا، يظهر لسامعيه أنه ناصح أمين لا غير، ثم بدأ في تجميع الناس

حوله، في الأثناء كانت أعين ترصده لها من الخبرة والدراية، ما يجعلها تنظر لفعله نظرة الشك والريبة هذا الفعل، هو واقع بالضبط سنة 1700 ميلادية.

سنة 1700 ميلادية هي سنة حاسمة في تاريخ الأغواط، كان لها مقدمات وارهاصات مؤثرة، قبل هذه السنة بسنوات معدودة، عرف الأغواط حلف قبلي جديد، سيعيد بناء الخارطة السكانية للمدينة. هذا التحالف لم يقع داخل قصر الأغواط، بل وقع خارجه، وقع في البادية، حلف يسمى حلف الأرباع. جاء الاسم من المسمى نفسه، وهو عدد الفرق المتحالفة، هي أربعة: المعامرة، الحجاج، أولاد صالح، أولاد زيد، هذه الفرق المتحالفة ليست جديدة في المنطقة، هي قديمة منذ القدم، حركتها تكثر في منطقة الزاب، هم بالمجمل بدو مرتحلون، لا يمكثون في مكان لزمن طويل سنة 1635 ميلادية، الحجاج وقائدهم سي مُحَمَّد، المعامرة وقائدهم سي القندوز، اجتمعوا ناحية جبل بوكحيل، كانت هناك مراعي خصبة، جاورهم في المكان أولاد يعقوب، مع أولاد يعقوب نجد رحمان بين رحمان وأولاد يعقوب حلف، حاول رحمان عدة مرات التحرر منه، من جانب آخر ظهر توافق بين الحجاج و المعامرة، قرروا الدخول في حلف خاص بينهما، هذا وقع حوالي سنة 1660 ميلادية. الحلف الذي جمع رحمان وأولاد يعقوب، عرف اختلافات وتناقضات مصالح، بدأ كل واحد يتوجس من الآخر ويخاف الغدر، لما حضر موسم الرحلة رحلة الصيف والشتاء، قرر أولاد يعقوب الخروج بمواشيهم وقطعانهم، بحثا عن المراعي، قبل أن يرحلوا تحدثوا مع حلفائهم وتفاوضوا في أمرهم ما يتوجسون من عاقبة الغدر. لما حل موسم رحلة الشتاء و التهيؤ للذهاب ناحية الجنوب، ما تحرك أولاد يعقوب، حتى توجسوا خيفة، مما قد يفعل رحمان، رغم العهود والمواثيق المبرمة بين الحليفين بقي التوجس والخوف ساريا بينهم، حتى يزيلوا التوجس والخوف، قرر أولاد يعقوب ألا يتركوا مكانهم هذا، حتى يبرموا عقدا مكتوبا هم وحلفاؤهم رحمان، أرسلوا وفدا مفاوضا وبعد أخذ ورد توافقوا، على أن يشرع رحمان في حرث الأرض، ويعينهم في حرثهم أولاد يعقوب. مما اتفقوا عليه أن أولاد يعقوب، يساعدون رحمان في الحرث، ما جاء موسم الحرث، حتى حُرثت كل الأراضي الزراعية الواقعة على ضفاف وادي الجدي الممتدة من تاجموت حتى مرتفعات قصر الحيران، تحرث حرثا مشتركا، بين رحمان وأولاد يعقوب، قبل حركتهم عرجوا ناحية حلفائهم الأوائل الأرباع، عرفوا منهم أن رحمان عازمون على خيانتهم، أبلغ أولاد يعقوب حلفاؤهم، أنه إن وقعت خيانة من قبل رحمان، فإن لهم الحق في أخذ محصول الموسم كله، رد عليهم رحمان بدهاء، وبصوت خافت قائلين:

نحن لا نجني من الحرث، إلا حصاد الهشيم، هي السنابل الفارغة، ما نمسك بأيدينا إلا التراب والغبار، من يفهم لغة المعنى عند العرب، يعرف أن رحمان أرادوا الحيلة وتعجلوها، من كان يدبر المكيدة هو سيد رحمان وقائدها يسمى مزي، من أجل ذلك المكان الذي تم فيه التنازع، الواقع على ضفاف وادي الجدي، سمي من يومها بوادي مزي، نسبة لهذا الرجل الداهية، مكره وخديعته لن يراها الناس الآن، سيرونها في أيام قليلة قادمة، وهذا ما حدث وتم.

لما قدم مزي ناحية الأرباع، قام بإعادة هيكلة لقبيلته، قسم عرش رحمان بهذه الكيفية: المطايلية والمويرات، ينضمون إلى الحجاج، أولاد ابراهيم وأولاد خليفة، ينضمون إلى المعامرة، هكذا سحب مزي رحمان من المشهد الظاهر، وأكسب بدهائه الأرباع قوة من أجل الإطاحة بقوة أولاد يعقوب وبالتالي يتسنى له اخراجهم من مناطق الأغواط، ودفعهم ناحية تاجرونة[1]. هذه القوة الجديدة للأرباع أفلحت، من النتائج السريعة المكتسبة، أنها دفعت عرش بوعيش والزناكحة، لترك مناطقهم قرب الأغواط، وأرغمها على الترك والبحث عن وطن آخر، وجدوا لهم موطن جديد، هو المكان الموجودين، هم فيه الآن نواحي بوغار. هكذا فكر ونجح مزي في مسعاه النتائج الأولى لهذه التحولات الديمغرافية السريعة، هو ظهور قوة بشرية فاعلة وضاربة هي قوة الأرباع، شكلت بادية الأغواط الجديدة، استوطن الأرباع المناطق الشمال والغربية للمدينة وأعادوا من جديد، معادلة الحياة الأولى للمجتمع الأمازيغي، معادلة القصر والبادية، أضحى قصر الأغواط مكان توضع فيه الغلال والبذور، وتوضع أمانات الأرباع عند اخوانهم أهل القصر، عادت الحياة لطبيعتها الأولى، وحتى يكتمل المشهد، أعاد الأرباع إخوان لهم هم أولاد صالح، هم طردوا من الزاب، بفعل خيانة جاءتهم من قبل أولاد جلال، التعرف على هذه الخيانة يحتاج عودة للوراء.

أولاد صالح وأولاد زيد لظروف معاشهم، بقوا في مناطق الزاب، فرض عليهم أولاد جلال ضريبة يدفعونها لهم، مقابل البقاء في مناطقهم، لما ترك الحجاج و المعامرة منطقة الزاب، أراد أولاد صالح وأولاد زيد البقاء مع التخلص من ثقل هذه الضريبة، إلا أن أولاد جلال أعلنوا الحرب عليهم إلا أنهم هزموا في مواقع عديدة، من أجل ذلك فضل أولاد جلال المكر والخديعة. أرسلوا المراسيل طالبين

---

[1] تاجرونة قصر قديم يقع جنوب غرب مدينة الأغواط كان مسرحا لحوادث تاريخية مهمة في المنطقة.

المصالحة، وحتى يظهروا حسن نواياهم، بادروا بدعوة كبار الأرباع لوليمة، لإزالة الضغينة الساكنة في القلوب، ولأن القوم كانوا عارفين بما تنطوي عليه النفوس لم يذهبوا، ما لبى الدعوة إلا أولاد صالح فقط، مع منتصف الليل، أولاد جلال دبروا مكيدة. لما كان أولاد صالح غارقين في نوم عميق، غدر بهم أولاد جلال وهاجموا منازلهم، بعد أن اتفقوا على علامة يرفعونها تعطيهم إشارة البدء وهذا ما وقع، تم الهجوم على أولاد صالح، أوقع فيهم أولاد جلال مقتلة وأخذوا بعض قطعانهم، ما كان من أولاد صالح، إلا أن يفضوا ما كان بينهم وبين أولاد جلال، ويعودون لوطنهم الأم، أين وجدوا إخوانهم الحجاج و المعامرة ينتظرونهم الحجاج و المعامرة عند ضفاف واد مزي طلب الأرباع من أولاد زيد وهم إخوة كذلك البقاء، وأن لا يهاجروا ويتركوا وطنهم، هذه الأحداث واقعة قبل دخول سيدي الحاج عيسى المدينة، قدومه يفهم منه أنه من أجل توطيد هذا العقد الجديد، ومنع التنازع الذي يمكن أن يقع بحكم مقتضيات الحياة اليومية المعقدة.

قصر العسافية معروف، هو وافع ناحية الشرق، يبعد عن الأغواط بمسافة عشرة كيلومترات، قصر ليس هو بالجديد، عرف حركة في التاريخ، يظهر أحيانا ويختفي أحيانا أخرى، وقد يبقى زمنا مهجورا غير آهل بالسكان، مع هذه التغيرات الجديدة التي عرفتها مناطق الأغواط، رجع قصر العسافية لحالته الطبيعية، رجع من هجره وتركه من سكانه الأوائل الأصليين، وأعادوا عمارته. سمعنا من العرب الذين سكنوا القصر أخبارا عن أصل هذا القصر، نحن ننقلها قالوا: يذكرون زمن ينسب لشخص هو دياب بن غابن، قائد وزعيم تملك قطعانا كثيرة، في هذا المكان الذي يسمى العسافية وجدت عين ماء جارية، هي تسقي مواشيه ودوابه، ولأنه كان يخاف اللصوص، اتخذ العسس لحراسة العين. لما علم الناس خبر العين والعسس، قالوا العسافية، أي المكان الذي يتواجد فيه العسس،العسافية يسكنها المغازي، أصلهم من قورارة، تعرضوا في موطنهم هذا لفاقة ومجاعة وحاجة سألوا عن مكان يذهبون إليه، سألوا الرعاة أخبروهم عن مكان يسمى العسافية، هذا الحدث وقع حوالي سنة 1660 ميلادية. ما وصلوا حتى حطوا رحالهم قرب العين، وشرعوا في بناء بعض المساكن لهم، واستصلحوا أراض جعلوها حدائق وبساتين، تكفيهم حاجتهم من الطعام، عرفوا الأمن والأمان لسنوات عديدة في يوم تفع الواقعة، رعد وبرق هو اعصار عظيم، حطم المساكن والمباني أمام هذا الخطب انقسم المغازي قسمين، منهم آثر الرجوع إلى وطنه الأم قورارة، وبعضهم آثر مجاورة قبائل الأرباع، هذا ما أخبر به الرواة العرب. نعود لسياق الكلام من جاور الأرباع من

المغازي بعد فجيعة الإعصار تملكه الغضب، الذي جاء بعده الحسد، أهل العسافية حسدوا الأرباع هم مرفهون وأغنياء، قطعانهم كثيرة وأموالهم جزيلة، ما خفي في النفوس ظهر مع الزمن، كثرت الفتن، ندم بني لغواط وتأسفوا لليوم الذي جاورهم فيه المغازي، وارتفعت الأصوات تطالب بإخراج هذا الجار الذي لا يحسن الجيرة، بل يطالبون بإرجاعهم إلى قصرهم الأول العسافية، واكتشفوا أن المغازي ما هم أهل جيرة، بل هم الآن أعداء.

ما وقع بين بني لغواط والمغازي، سمعه وشاهده سيدي الحاج عيسى، هو شاهد على الحدث، يقع إعصار آخر في العسافية، يُسقط المساكن ويتلف البساتين، هذه المرة خلاف المرة السابقة، رفض بني لغواط قبول المغازي لاجئين ومجاورين، وأخبروهم عن فعلهم و ما فعلوا المرة الأولى. سيدي الحاج عيسى اعتبر المغازي أبناؤه، واعتبر نفسه لوليهم يتولاهم، هو من ينصرهم على أعدائهم بني لغواط، من أجل ذلك سيدي الحاج عيسى يسخط ويعلن غضبه، ولأنه ولي صالح مستجاب الدعوة رفع صوته قائلا: «آه يا بني لغواط، أردتم إيذائي وما آذيتم إلا أنفسكم، لقد تعجلتم وحطمتم الوثاق المتين الذي جمعني وجمعكم، ها أنا أعيش بينكم ولا أبغي لكم الآن إلا الخراب والهلاك، تمنيت لكم من قبل السلم والهناء، ها أنا الآن أرفضه وأُلغيه، كم هي الأموال التي بذلتها من أجلكم ! كم هي المخاوف والهواجس التي رفعتها عنكم وأنتم لا تدرون !لقد سخرت لكم العرب ليخدموكم، هذا قليل من كثير، لم أستطع أن أعيش سعيدا بينكم، لم أجد منكم الاحترام والتقدير الذي أستحقه، رجوت الله أن أدفن في مقابركم!عشت معكم زمنا، ولم أجد نفسي منكم ولم أجدكم مني، أقسم بأقدس الأقداس و الأيمان الغليظة، أنكم لن تكونوا أبد محلا ولا وعاء لثقتي، ها هي قلوبكم خاوية من حب النبي[1]».

الولي سيدي الحاج عيسى بعد دعواته، تبدأ نبوءاته وينفتح أمامه الغيب، فهو يراه رؤية العين يخبر عن هلاك الأغواط وخرابه، ويخبر أن فرنسا ستأتيهم من قبل واد الحَمّار، وأنها ستقتلهم وتنهبهم ونذكر بعض ما جاء في نبوءاته « الزوابع والعواصف الآتية من السماء، تنصرني وتجعلني منتصرا » أضاف قائلا«الشر والخراب واقع لا محالة على أعدائي، النصر آتيني يتنزل علي من إله الأولياء والأنبياء، يأتيكم الرعب محمولا تحمله الرياح إليكم، يصلكم يحطمنكم ويحطم الجدر التي تحميكم، وتأويكم يسقطها المدفع، هو يحرقها أشاهده، تحرق مدينتكم أراها فرن يستعر. مرحى جثث قتلاكم تتقاسمها الكواسر والغربان، هي أمام ناظري مُمَثَلَةٌ بها، سكنها الجذام، أنتم يا بني لغواط من طردني

[1]عليه الصلاة والسلام,

وطاردني، لن تتذوقوا بعد اليوم الماء العذب الزلال، ستغادرون ويأتي آخرون يسكنون مساكنكم كلاب الله الطائعة الضالة تنبش قبوركم، وتأكل جثثكم. حفارو القبور حضروا الأكفان والنعوش لنسائكم وأطفالكم، بني الأغواط أرى من هنا أكوام من الجثث هي بيضاء وسوداء، تغطي أديم الأرض الحزين، لعنتي هي لعنة الله عليكم يا بني لغواط، لعنة الله ستعصف بأجمل قصوركم، يا بني لغواط ستفقدون كل شيء، ولا يبقى لكم حتى المتبقي. إلهي مالك الملك الرزاق، شرد بني لغواط بعد الشهر الذي يأتي بعد عاشوراء شهر صفر، تأتيكم جحافل العسكر، لا تعلموا عددها، يشربون ماء ورقلة أو عيونها القريبة، سيأتيكم القدر راكبا صفوفا، لون أثوابه سوداء، عددهم عدد الجراد يخرجوا عليكم من الشرق ظاهرين، أرسلهم القوي العزيز. يتقدمهم القادة والسادة، الملائكة تحفهم تيسر مسارهم، تخثهم الخطى، الملائكة تذلكم تحثو التراب على وجوهكم، أيها المغفلون النائمون هل يمر فعلكم دون عذاب ولا عقاب، أنتم من أساء إلي، الله معيني، سأحطمكم ستتألمون، هو ألمي من أرسلهم الله، سيقصفونكم سيجعلونكم قاعا صفصفا من أرسلهم الله لكم، هم عذابكم، هي الأيادي الباطشة تبطش بكم يا بني لغواط، لأنكم أنتم من رماني بالشر هو يستحقه». المغازي بعد خراب قصرهم، هم في حيرة من أمرهم، ولا علم لهم ما يفعل بني لغواط فيهم، علموا كما علم غيرهم غضب الولي، فقرروا استشارته وأخذ النصيحة منه، وقبل أن ينطق بالنصيحة طالبوه بالدعاء. أخفى رأسه بين كفيه ودعا، ثم صمت قليلا وقال لهم: «يا المغازي أبنوا قصرا جديدا وأنزلوه عن السابق قليلا ثم سكت، ثم نطق قائلا: يا المغازي ثقوا في الله هو حاميكم » سمع المغازي نصيحته وعاودوا بناء قصر العسافية من جديد.

سلطان المغرب مولاي عبد المالك، يأتي مدينة الأغواط ويدخلها، ليفرض عليها ضريبة، هذا واقع حوالي سنة 1708 ميلادية، وضع مخيمه مع جنده وهم كثر غرب المدينة.

الأغواط في هذا الزمن كانت على هيئتها الحالية الآن، هي محمولة على التدرج العمراني على قمتين مسارهما من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، تدرج واقع على الضفة اليمنى لوادي مزي، المسار المتدرج ينتهي عند منحدرات صخرية حادة وصلدة. قمم جبل تيزغرارين وبشكل معاكس وناحية الشمال، تجد عند نهايتها منحدرات لطيفة وانسيابية، لها شكل نطاق مروحة منفرج ومفتوح، واحة النخل العظيمة تقسم المدينة قسمين، حول المدينة تكثر البساتين، الجزء الواقع ناحية الغرب يسكنه أولاد سيرغين الواقعة ناحية الشرق يسكنه الأحلاف.

أولاد سيرغين يتشكلون من العائلات الآتية:

1. الجماني و البدارة حضروا من لغواط كسال.
2. أولاد سكحال حضروا من عند أولاد زيد من مناطق الزاب.
3. الثليجات حضروا من جنوب تونس.

الأحلاف يتشكلون من العائلات الآتية:

1. أولا أولاد خريق تعود أصولهم لمدينة فرجيوة من مناطق قسنطينة
2. ثانيا المغاربة حضروا من المغرب
3. ثالثا أولاد عبد الله و وأولاد سالم حضروا من قورارة
4. أولاد بوزيان فرقة من الحجاج.

كل حي له مسجده وله إدارة مدنية تشرف عليه هي الجماعة، لكل حي سوق يخصه.

هما جماعتان مختلفتان، يتعايشان في مجال جغرافي واحد محدود، لكل جماعة قيادتها، كل جماعة لها مصالحها الخاصة بها، هذا التجاور البشري بين الحين والآخر يخرج عن طبيعته، وتقع بين الحين والآخر الفتن الداخلية. إلا أن العرف الساري المتفق عليه، ألا يستعان في التحكيم بين المتخاصمين بغريب، والعرف كذلك يُحرم الاستعانة بالغريب، العرف يمنع أن يقع التخاصم داخل الأحياء والبساتين، إذا وقع خصام مفضي للتنازع، يتوافق الطرفان على يوم موعود، يلتقي الخصمان، ويقع ما يقع دون إيذاء النبات والحيوان، هو العرف المتوارث منذ الأزمنة القديمة.

واد الخير هو تفرع مائي من وادي مزي، يسميه الأهالي تبركا واد الخير، يخرج من الأرض الواقعة شمال المدينة هي منطقة رملية. بداية الواد يخترق بساتين الأحلاف، قبل أن يصل ويغذي بساتين أولاد سيرغين، ثم يعرج لكي يكفي المدينة من حاجتها للماء، المناطق المستفادة أكثر من الماء بفعل الانسياب والجريان، هي المناطق المأهولة أكثر وحظها أكبر، هذه المناطق هي السيدة، وهي من تفرض إرادتها على الآخرين، من يصله الماء أقل هو دوما تحت رحمة من يملك الماء الأكثر.

قصر العسافية كان مسرحا لحوادث وفتن كبيرة، هذا وقع سنة 1728 ميلادية، وقعت معارك دامية بين الأحلاف وأولاد سيرغين، السبب أن المسمى زقير[1] من قبيلة رحمان، اشترى له بيتا وبستانا في قصر العسافية المغازي أصابهم الرعب من قدوم رحمان نحوهم، تحول زقير لرجل غير مرغوب فيه.

---

[1] زقير الاسم الصحيح زقرير.

تمادى المغازي ومنعوا زقير من القدوم ناحية بينه وبستانه، زقير ما صدق الخبر، حتى ذهب لرحمان وأخبرهم خبره، انتصر رحمان لصاحبهم، وقرروا رفع الظلم الواقع عليه من المغازي. لما عرف أهل العسافية أن الخطر محدق بهم، ذهبوا لخصوم الأحلاف، ألا وهم أولاد سيرغين، العرف معروف ومتعارف عليه، الحروب تكون خارج الأغواط وليس فيها، ولا في بساتينها، قصر العسافية هو الموعد هي الحرب واقعة لا محالة. الأحلاف قوة ضاربة، جاؤوا العسافية وأخرجوا أهلها منها، ما سمعت قبائل الأرباع الخبر حتى أغاثوا المغازي، وتغيرت ملامح المعركة تراجع الأحلاف قليلا تراجعا تكتيكيا، استعان المغازي بالقصر لرد عدوان عدوهم، داخل القصر يوجد رجلان من قبيلة الحجاج انتظرا قدوم الليل، وثقبا ثقبا في الجدار، جدار حماية القصر. الثقب أتاح الدخول للأحلاف، من قاوم من أهل القصر أجهز عليه وقتل، الفارون من المغازي التحقوا بالأرباع طلبا للحماية والجوار بعد الحرب وكما هي العادة، تدخل الحكماء وجاء يوم الميعاد، توافقوا على السلم ورجع أهل العسافية لقصرهم سالمين آمنين.

الأغواط كباقي القطر الجزائري تدخل تحت الحماية التركية، هذا واقع سنة 1727 ميلادية، خضعت لباي المدية شبان زناقي، طلب من السكان دفع ضريبة ضعيفة المقدار بالكاد تذكر، مقدارها سبعمائة ريو، سنة 1736 تحدث أحداث في واد ميزاب، أولاد بخرة[1] هم من قبائل ميزاب، يتمردون ويوقعون الفوضى في قصور ميزاب. ما فشل تمردهم، حتى هربوا إلى الأغواط، الفارون أربعون عائلة قادهم رجلان هما: حمو بن طوبال وحمارة بن مرزوق، الروح الثورية وحالة التمرد التي حضروا بها، أثارت الخوف لدى قاطني واحات الأغواط، وما زاد القلق الخوف أن تتحول الأغواط إلى ساحة معركة، يصفي فيها بني ميزاب حساباتهم الداخلية من أجل ذلك تم ابعاد القادمين الجدد، هذا وقع سنة 1741 ميلادية.

أولاد بخرة الثائرون المتمردون، لم يغفروا لبني الأغواط، ما عادوا لوطنهم ميزاب، حتى طالبوا بالثأر ممن رفض حمايتهم وجيرتهم، ونشروا الدعاة دعاة الحرب في ميزاب، وكذلك بين قبائل الصحراء حشدوا حلفا، واتجهوا ناحية الأغواط، وصل أولاد بخرة وحلفاؤهم، ووضعوا مخيم الحرب شمال المدينة، واختاروا ضفة وادي مزي، وقطعوا الماء عن واد الخير ليمنعوا وصول المياه للأغواط، إلا أن

[1]تنطق في العامية بخة.

واد الخير لم ينقطع، لأن هناك منبع آخر له يصدر من رأس العيون، وهو الموجود حاليا، خاضوا حروبا متفرقة هزموا فيها كلها، ما كان من التحالف إلا الانسحاب و التراجع وترك المدينة.
انسحاب أولاد بخرة ومن حالفهم، لم ينهي الحرب، هي باقية في الأطراف، وبقيت لسنوات عديدة تتراوح بين النجاح والاخفاق، مما يشد الانتباه ما وقع سنة 1752 ميلادية، شجار وقع بين أولاد يعقوب والأرباع الشجار سببه التنافس على المراعي أفضى لحرب. تحالف بني لغواط مع الأرباع تراجع أولاد يعقوب، ووصلوا أسوار قصر تاجرونة، يحتمون بها وبأسوارها. اولاد يعقوب أجمعوا أمرهم وقرروا الانتقام، بدأوا في تشكيل حلف جديد يقاومون به بني لغواط وحلفاؤهم الأرباع شكلوا حلفا جديدا، يتشكل من بني ميزاب مدعمون بفرسان المخادمة، و أولاد سعيد عقبة، والبوعيش، وقومية جبل العمور، هؤلاء كلهم زحفوا ناحية الأغواط. بالمقابل كان هناك حلف يتشكل، ليقاوم الزحف القادم، هذا الحلف تشكل كالآتي: قبائل الأرباع، أولاد سعد بن سالم، أولاد نايل، المخاليف، النويرات. التقى الجيشان قرب مدينة الأغواط في مكان يسمى مقدر الدهيم هذا المكان موجود بالضبط جنوب غرب القمة، التي يرتفع عليها ضريح سيدي الحاج عيسى، اختار النويرات منهم ثلاثون فارسا خرجوا من المعركة بعد بدايتها صباحا في غفلة عن الجميع، تحركوا ناحية منطقة اسمها المحافير، واختفوا فيها، وانتظروا حتى حمي وطيس المعركة بين الجانبين، أو قل الحليفين اتجها مباشرة ناحية المكان، الذي وضع فيه متاع بني ميزاب وحلفاؤهم واقتحموه. لما سمع بني ميزاب ما وقع لجمالهم ومتاعهم، وهم وسط المعركة، فُتنوا وتخاصموا مع خلفائهم، وقرروا الانسحاب، وترك المعركة والذهاب سريعا لتخليص الجمال والمتاع، هكذا بهذه الحيلة المدبرة من قبل فرسان النويرات انفض تحالف أولاد يعقوب مع بني ميزاب، ورجعوا لقصرهم قصر تاجرونة طالبين النجاة.

المبحث الثالث

نهاية سنة 1784 ميلادية سنة حاسمة في تاريخ مدينة الأغواط، الباي مصطفى باي المدية، يضع معسكرة عند منابع رأس العيون شمال الأغواط، جاء ليأخذ الضريبة المستحقة، رغم قلتها وعدم قيمتها الفعلية، إلا أن بني لغواط، لم يدفعوها لصندوق البايلك، ولعنادهم العتيد تمادوا في غيهم، ولم يراعوا لا الباي، ولا جيشه المُعسكر شمال المدينة. حاول الباي مصطفى أن يعيدهم للجادة والصواب قام بمنورات عسكرية لردعهم، إلا أنهم ركبوا رؤوسهم، لما يئس الباي منهم، لم شمله وسحب جنده وعاد أدراجه ناحية المدية، وهو يشعر بالهوان، الذي لحقه من بني لغواط.

ما انقضت سنة 1784 ميلادية، وجاءت سنة 1785 ميلادية، أضحت الأغواط مشكلة للأتراك يظهرون العصيان والتمادي في العناد، ورفض أحكام الدولة، من أجل ذلك باي وهرانم حمد الكبير[1]وعد داي الجزائر، أن يعاقب بني لغواط ويردهم لجادة الصواب، وان تحقق له ذلك، يطلب من الداي أن يدرج الأغواط ضمن ولايته.

باي وهران مُحَمَّد الكبير جاء وجيشه الكبير ناحية الأغواط، قبل أن يصلها عرج ناحية عين ماضي هي في طريقه، هي كذلك تعرف تمرد ضد الدولة التركية، لمن لا يعرف عين ماضي وحسب الرواية الشفوية للسكان العرب تعود لعهد بربروس ناحية جنوب وجد رجل قوي بعلمه صنديد يسمى الماضي، تعني لدى العرب الأداة الحادة، المدحي هذا أحد خدامه يسمى سي اِمْحَمَدْ، اشترى من سعيد أولاد عامر أراض واقعة شمال واد مخبت، لما وجد في المكان عين جارية سماها تيمنا بشيخه عين ماضي. تم رفع قصر حمل نفس المسمى وهو عين ماضي، يبعد عن الأغواط حوالي ستون كيلومتر غربا، عند سفوح المنحدر الجنوبي لجبل عمور، لم يستطع قايد القصر سي أحمد بن سالم

[1]الباي مُحَمَّد الكبير مُحَمَّد بن عثمان بن إبراهيم الكردي من عظماء الأمة الاسلامية المجاهد العالم الناصر للدين هازم الصليبيين. والي بايلك الغرب بأيالة الجزائر التابعة للدولة العثمانية من الذين ساهموا في صناعة تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر.

التجاني، ورغم علمه أن يضبط الوضع داخل قصره، لمن لا يعرف سي أحمد بن سالم التجاني هو مؤسس الطريقة التجانية ولد بعين ماضي، حضي بالمقام الرفيع والمنزلة العالية من قبل عارفيه، جمع بين التقوى والحكمة، سنة 1756 ميلادية وضع مبادئ مدرسة صوفية حملت بعده اسمه، انتشرت في الشمال الإفريقي انتشارا منقطع النظير، وصل صيتها وعلمها أرض السودان. لما وصل الباي مُحَمَّد الكبير أسوار عين ماضي، ولأن السيد أحمد له من الحكمة والعلم، ما يعطيه النظر الصحيح الثاقب قبل عرض الباي، وتوافق معه على دفع المستحق من الضريبة للدولة، قيمتها مائة وأربعة وثمانون ريو سنويا. ما عاد الأمان لعين ماضي، الباي مُحَمَّد الكبير أخذ طريقه ناحية تاجموت، ليخضعها لحكمه وسيطرته، عزل حاكمها علي بن بكر، وعين بدلا عنه علي بن العربي. لمن لا يعرف تاجموت اسمها من معانيه تاج الموت، من مرويات الذاكرة الشفوية للأهالي، أن سبب التسمية يعود لتواجد جماجم برية ملقاة، سببها وقوع المعركة مجهولة لا تعرف أسبابها ولا يعرف أطرافها، رواية شفوية أخرى تقول أن تاجموت حكمتها مرأة صارمة وحادة في أحكامها، كان لما يعرض عليها المتهم، ينطق الناس ويقولون الموت، ممن كان يردد لفظ الموت الملكة نفسها، كانت تفعل ذلك وهي تضع يدها على تاج ملكها فشاع بين الناس قولهم تاج الموت.

الباي مُحَمَّد الكبير قبل أن يصل الأغواط، أرسل فرسانه من المخازنية ليسلموا بني لغواط رسالة من الباي، ويقنعونهم بضرورة احترام الدولة، وأن لهم حقوق تجاه دولتهم، هم ملزمون بها، ومن حق الدولة عليهم، أن يدفعوا الضريبة المستحقة عليهم سنويا وهي قليلة.

بني لغواط كعاتهم ركبوا العناد وشاحنوا الباي، وردوا عليه قائلين: لا نحن لن نخضع للشروط ولن ندفع الضريبة، ولم يكتفوا بذلك، بل هددوا رسل الباي وتوعدوهم، وطلبوا منهم المغادرة، وطلبوا من فرسان المدينة الذهاب ناحية الأسوار لرد الباي وجنده، وأرسلوا المراسيل ناحية القبائل والدور المجاورة للمدينة، يطالبون منهم الالتحاق بهم من أجل دفع جند الباي. ركبهم الغرور وتداع الجميع لحمل السلاح، والبدء في منازلة جيش الباي، وهم يجهلون قوة خصمهم، جاءهم المدد من القبائل ومن عند حلفائهم، تم تأمين كبار القوم، وركب المقاتلون الأماكن العالية المطلة على الواحة، وأغلقوا أبواب المدينة، وجهزوا القلاع وسدوا المداخل والمخارج، ووضعوا كل المواقع تحت المراقبة، ورفعوا الجدر المنخفضة، بعد كل هذه التعزيزات، وضعوا أنفسهم في حالة التأهب، وجعلوا قواتهم في موقع الدفاع. التحضير للمعركة استدعى تقسيم المدافعين لمجموعات، وأن كل مجموعة تدافع بما أوتيت من

قوة عن نطاقها، وتمنع تسلل الأفراد. لما سمع الباي مُحَّد الكبير، ما يقوم به بني لغواط من تحضيرات وأفعال مستغربة وغير مفهومة، هو جاء لإرساء الأمن، ولم يأتي للحرب والقتال. ترك مكانه المسمى آو سلاوة، ومشى ما يقارب مسافة ثلاثة أيام ناحية الغرب، ولما نزل مكانه الجديد، ولما بدأ الجيش في ضرب الخيم، اتجه مع بعض فرسانه ناحية الأغواط، ليقف على المستجدات الطارئة، صعد هو وفرسانه إحدى القمم، المطلة على المدينة في امتداد شرق غرب، هذا المكان أعطاه القدرة على مراقبة الناحية الجنوبية والشمالية للمدينة، ولأنه قائد عسكري، المكان الذي اختاره يعطيه القدرة على رمي المدينة انشاء، بل يعطي القدرة لفرق المدفعية من نصب من ثلاثة إلى أربعة قطع مدفعية ثم نظر وتبين له، أن هناك مناطق رخوة وضعيفة، بعد هذه الزيارة الاستكشافية، قرر الرجوع لمعسكره، بعد علم اليقين أن الدخول متاح لقواته، مُحَّد الكبير رجل حرب عالم بفنونها، متمرس له تجارب حرب، لا يغفلها من يعرفه ويعرف تاريخه العسكري.

ما عاد الباي مُحَّد الكبير لمعسكره حتى جمع أصحاب الرأي والقادة، وأحاطهم علما بالإجراءات التي سيتخذها، وقبل ذلك طلب منهم الرأي والمشورة، وأنه لن يكون وحده من يقضي، لأن الرأي الأخير للجماعة، ولأنه القائد الملم بدأ يعرض ما يعرف عن المدينة:« الأغواط مدينة محاطة بالحدائق والمنازل، هي منتشرة حتى حدود الأسوار، لا يمكن فرزها هي متداخلة ومتشابكة. الجدر الحامية لا يمكن أن توقفنا، ثلاثة أو أربعة من الأسوار فقط قد تعيق وتحد من تقدمنا، نعم كثرة الجدر والأسوار هي متلاحمة متراصة ومترابطة، من أجل ذلك يجب جمع العبيد، ومن لا سلاح معهم ونزودهم بالمعاول وأدوات الحفر لثقب الجدران، هؤلاء يذهبون في حراسة، حتى إذا ما قاموا بأعمالهم كانوا آمنين، وهم يقابلون أسوار المدينة، كل جدار كل حماية ستصلها فؤوسنا، بهذه الطريقة سنفتح مسار، يمكن الجند من ولوج المدينة، وننتقل من حيز لآخر، حتى نصل جدار المدينة الأخير، ومنها ندخلها منتصرين، وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين».

قدر الله أن يطلع النهار، طلب الباي من جنده ركوب الخيل والتهيؤ للحرب والنزال، وأخذ المواقع وأمرهم ألا يخوضوا النزال، ولا يقاتلوا الرجال، لأن اليوم يوم جمعة، وهو لدى المسلمين يوم عيد تقام فيه الصلاة الجامعة.

لما ارتوت الخيل وأخذ كل واحد حاجته، طلب الباي من الحفارين أخذ الفؤوس، وطلب من الجند مرافقتهم، ونهاهم عن قطع النخيل والشجر، وأخبرهم أن من أبى الله وليه، وبمقتضى سير المعركة

ركب قسم من الجنود قمم الجبل المطلة على المدينة، قسم آخر حاصر الواحة والبساتين، الواقعة ناحية الغرب باتجاه الشمال. الباي قاد بنفسه المجموعات المكلفة بالحفر وثقب الجدران، من أجل إزالة الجدران التي تمنع الجيش من دخول المدينة، لما تقدم أكثر ناحية المدينة، الباي أخبر جنده أن اليوم ليس هو يوم اقتحام المدينة، وبالتالي لا يسمح للجند بدخول المدينة، أو التسلل لها، وأعلمهم أن المطلوب منكم فقط هو فتح منفذ، يمكننا غدا من ولوج المدينة، قال لجنده اعلموا أن قوة الأغواط في أسوارها، ثم قسم الأدوار بعدما حدد ساحة المعركة، ثم أمر كل قبيلة أن تلتزم بالمكان المعين لها وطلب من المفارز، أن تصطف في المكان المعين لها، طلب من الزمالة[1] أن تقف عند نهاية الجبل وبالتحديد على الجانب الغربي، بحيث تقابل مباشرة باب الأغواط.

دخل الباي مُحَمَّد الكبير مدينة الأغواط، وعرض نوابه وفق الترتيب التالي: أحمد بن لخضر قايد أولاد سيرغين، السايح بن زعنون قايد على الأحلاف، بعدما أخذ تعويضات الحرب، قفل راجعا إلى وهران.

لم يستفد بني لغواط من الدرس، عادوا لعادتهم القديمة العناد، ما مرت سنة حتى تمنعوا، و لم يستطع عمال الدولة، تحصيل الضرائب المستحقة.

عاد مُحَمَّد الكبير ليبسط من جديد نفوذ الدولة، هذا واقع سنة 1786 ميلادية، على خلاف المرة السابقة، أحضر جيشا أكثر عددا وعدة، كما فعل في المرة الأولى، فعل في الثانية. عرج على قصر عين ماضي، وجد أن السيد أحمد التجاني، قام بتحصينات كبيرة لحماية القصر، وضع حواجز صخرية وخزن ما يكفيه من المؤن

الباي مُحَمَّد الكبير حاصر القصر لشهرين كاملين، ولأنه كان في عجلة من أمره غضب، ولم يحسن التصرف، لأنه قام بتجريف الحقول وقطع النخل[2] عقابا لسكان القصر، ثم أخذ طريقه ناحية الأغواط جاءته الأخبار السارة. حيث أن عامله السايح بن زعنون، هو ماسك بحي الأحلاف، وأن حي أولاد

---

[1]الزمالة يقصد بها العاصمة المتنقلة أشهرها التي أنشأها الأمير عبد القادر.

[2]قطع النخيل عقاب يقوم به الولاة المسلمون لمعاقبة المتمردون من الرعية له أحكام شرعية تضبطه لقوله تعالى:﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ الحشر الآية: 5.

سيرغين قد خضع له، وأن الأهالي قد فروا إلى تاجموت، مُحَمَّد الكبير اكتفى بهذا ولم يزد عليه، بعد ستة أشهر من ذهابه رجع أولاد سيرغين المغصوب عليهم، لبيوتهم وبساتينهم، دخلوا بيوتهم ودورهم ليلا.

سنة 1787 ميلادية الباي عثمان، الذي خلف الباي مُحَمَّد الكبير، أراد أن يبسط سلطة الدولة ويخضع عين ماضي، ويعاقبها عن فعلها في حق الباي السابق، حاصر عين ماضي ومنع السكان من تحصيل ثمار حقولهم، فعل ذلك حتى لا يؤذي القصر ولا يتسبب في الحاق الأذى بالقاطنين، أرادها عقوبة فقط، من أجل ذلك فاوض السكان على دفع الضريبة المستحقة، والدخول في طاعة الدولة وهذا ما تحقق، حاكم القصر السيد أحمد التجاني ترك عين ماضي، واتجه ناحية بوسمغون، ثم انتقل إلى مدينة فاس هي المدينة، التي توفي بها سنة 1814 ميلادية.

السيد أحمد التجاني ترك من الأبناء، سي مُحَمَّد الكبير ولد سنة 1795 ميلادية، وترك كذلك سي مُحَمَّد الصغير ولد سنة 1799 ميلادية، قبل وفاة السيد أحمد التجاني، ولأن أولاده صغار لا يمكنهما أخذ الطريقة منه، عين من يشرف على تربيتهما وينوب عنه، هو مقدم زاوية تماسين سي الحاج علي وأضحى خليفته. طلب منه الحضور لفاس، وأخذ أولاده إلى قصر عين ماضي، سي الحاج علي ذهب لمدينة فاس، رجع لمدينة تماسين مع أبناء السيد أحمد التجاني، ثم استقرا بهما المقام في عين ماضي كأوصياء للشيخ مؤسس الطريقة.

سيد أولاد سيرغين أحمد بن لخضر، نادى قومه في الأغواط بالأمان، قبل أن يصل الباي عثمان المدينة، لما مر الباي بقصر تاجموت حطمه وأخرج السكان، لأنهم موالون للسيد أحمد التجاني عقابا لهم على عصيانهم وتمردهم. الفعل نفسه فعله مع الأحلاف، لما دخل الأغواط عقابا لهم أخرجهم من بيوتهم، لأنهم لم يدفعوا الضريبة وقبلوا بفعل السيد أحمد التجاني، الذي لم يعلن الطاعة للباي، ولأن الباي عثمان كان غاضبا، توعد الأحلاف بأن لن يعودوا أبدا لدورهم وديارهم. هذا كان مجرد حالة غضب، سرعان ما انتهى فعلها وأثرها، لما ذهب الغضب عن الباي، وما ترك المدينة، حتى عاد الأحلاف لبيوتهم وبساتينهم آمنين. هذا الأمان لم يدم طويلا، بدأت الفتن تعصف بالحيين، هذه المرة ليس السبب هو الباي، ولا السيد أحمد التجاني، هو الماء والاقتتال من أجل تحصيله. الأحلاف يأتيهم الماء أولا أيام الخير ووفرة المياه، أولاد سيرغين يصلهم الماء المتبقي، أيام الجفاف والقحط يقل

منسوب واد مزي، وبالتالي لا يصل حي أولاد سيرغين، هي حروب الماء إذن، هناك سبب آخر تزايد السكان وانحسار المناطق الزراعية، وتوسع العمران معادلة بقاؤها يهدد لا ريب وجود المدينة.
السيد السايح بن زعنون[1] رجل حكيم، سنة 1800 ميلادية، لما رأى كثرة الناس وتزاحمهم، ورأى أن مما يعرف هم في فاقة وحاجة، جاء في نفسه أن يحيي قصرا ميتا منذ زمن. قصر موجود غرب مدينة الأغواط، يبعد عنها حوالي عشرة كلومترات، هذا القصر يسمى لخنق نفدجيل Nefdjil هو لم يندثر بالمطلق، له بقية باقية مشاهدة لغاية الآن، نشاهده فوق قمة جبل تهمين على حزام ما يعرف بالخنق الكبير، هذا القصر سكنه أولاد سيدي عبد الله، تركوه بعدما استوطنوه لمدة سنتين لأن أحد رجالهم، قتل رجلا من أولاد يعقوب، طالبوا بثأره، سبب الترك كذلك الحاجة والفاقة التي حلت بسكان القصر، والسبب عام مجاعة وقحط عظيم حل بهم، العرب يسمونه عام العرعار، هذا العام اقتات الناس فيه على بذور العرعار الحمراء.
المغازي سكان العسافية، هم مصدر القلق الدائم لسكان الأغواط، هم أنصار أولاد سيرغين، بحكم موقعهم الجغرافي، وهم بشكل أو آخر الخصوم للأحلاف. لنزع فتيل المحن والفتن، وما يمكن أن يقع من حروب واقتتال داخلي، الحكيم السايح بن زعنون بعلمه وحكمته، هو يسعى للخير والسلام شاهد مدى الخصومة الأبدية الواقعة بين رحمان والمغازي، وهو يعلم أن رحمان من الشدة والقوة ما يجعلهم ظاهرين على خصومهم، من أجل ذلك وجد حلا يحسم هذه الفتن، ويزيل المحن، على بعد خمسة عشرة كيلومتر شرق العسافية، هناك سهل ممتد يخترقه وادي مزي، وهو مكسو بأشجار التماريس والقطف. هذا الغطاء النباتي يكسو الناحية الجنوبية، هو مكان مرتفع في زمن السايح بن زعنون، هذا المكان جعله الرعاة مرعى لصغار الإبل، في هذا المكان تعاون رحمان مع الأحلاف ورفعوا قصرا صالحا للعيش والسكن، سمي قصر الحيران.
رحمان ينقسمون أربعة فرق يشكلون أربعة أحياء، بمعنى لكل فرقة حي يخصها في قصر الحيران، هم هكذا بالترتيب:

1. النويرات.

[1] السايح بن زعنون من كبار سلاطين الأغواط الكاتب سيعرف به.

2. أولاد خليفة.
3. أولاد ابراهيم.
4. المطالية.

أول حاكم حكم رحمان هو سعد بن سالم، ينتمي لفرقة المطالية.

تقع حوادث خطيرة ومفزعة داخل قصر الأغواط، هذه المرة ليست الحرب بين الأحلاف وأولاد سيرغين، بل هي الحرب بين الأحلاف أنفسهم، السبب حروب الماء. أولاد بوزيان وأولاد خريق يمتلكون المساحات المسقية الأكبر، السايح بن زعنون وهو من أولاد سالم، ومعمر أخ السايح بن زعنون، وقف معهما المغاربة، هؤلاء مجتمعون، أرادوا إعادة نظام الماء وترتيب كيفية توزيعه، وطالبوا بتنقيص حصة أولاد بوزيان من المياه هذا النزاع داخل حي الأحلاف، أجبر تدخل أولاد سيرغين في النزاع، وانقسموا هم إلى فئتين:

1. الأولى قالت الحق مع أولاد بوزيان.
2. الثانية قالت الحق مع أولاد سالم.

وقعت الواقعة هي الحرب، ميدان المعركة على غير العادة خرج من الأغواط، وانتقل ناحية قصر الحيران، انقسم رحمان حسب مقتضيات المعركة هكذا:

1. المطالية ساندوا أولاد سالم.
2. النويرات، و أولاد خليفة، و أولاد ابراهيم، ساندوا أولاد بوزيان.
3. المطالية اختاروا الحياد.

انهزم أولاد سالم في مواقع كثيرة، ولم يلوموا أنفسهم، بل لاموا رحمان حلفاء خصومهم وحملوهم تبعة الهزيمة،وحتى ينتقموا دخلوا قصر الحيران سرا، وفاجأوا السكان وقتلوا البعض من رجال رحمان. حلفاء أعدائهم والباقي هرب ناحية قصر العسافية، طلبا للأمان. ما تبقى بعد هذه الحوادث الجسام في قصر الحيران إلا المطالية، لم ينالهم العقاب لأنهم وقفوا على الحياد، ولأن المطالية قلة وضعفهم وفقرهم ظاهر، ما استطاعوا مسك القصر أثناء غيبة فرق رحمان. إلا أن الهاربين استدركوا الموقف، وعادوا مسرعين من العسافية لملأ الفراغ، هذا الرجوع لم يقع إلا بعد صلح سعى فيه حكماء وكبار رحمان عقدوا الميعاد، أين اعتذر رحمان لبعضهم البعض، وردوا المسلوبات لأصحابها، أما ما

سلبهم بني لغواط من غنائم المعارك، هي لا ترد لا قدرة لرحمان على ردها، لأنها قوانين الحرب القاهرة المتعارف عليها.

أخيرا اشتمل شمل رحمان وتم التوافق على العيش المشترك، رغم ما لحق بهم من أذى بقي الحال على هذه الصورة، لمدة ثلاث أشهر كاملة، وبدأت المشاكل ضج الناس بالشكوى هذا يشكو قتيله، وهذا يشكو ضياع ماله، وارتفع صوت الأيامى والأرامل، وما زاد الطين بلة، الحاجة والفقر والبؤس وتنادى الناس بالشكوى، وارتفعت أصواتهم، وبدأ الهمس، ثم اللمز ثم الاسرار، ثم حركة الجسد والعيون. في ليلة ظلماء اجتمع بعض الموتورين من رحمان سرا وقرروا الانتقام، وأشاروا بأيديهم ناحية المطالية، وقالوا بصوت واحد، هم من خذلنا ونصر العدو علينا، ما جاء اليوم القادم، ولما كان المطالية في حقولهم يعملون، هجم عليهم إخوانهم، وما شفى صدور رحمان، إلا مجزرة هي واقعة، أهلها اخوانهم مرميون مضرجون بالدماء.

هرب الهاربون من المطالية ضائعين مشردين خائفين فزعين، نساء ورجالا، أطفالا صغارا وكبارا أخذوا طريقهم ناحية قصر الأغواط، سائلين جوار السايح بن زعنون، ما شاهد حالهم حتى أعلن النفير، وطلب من أتباعه تسريج الخيول وحمل السلاح، وعلى عادة العرب ضج ورفع صوته بالضجيج، تنادى له القوم من كل مكان. جاءه المخاليف حلفاؤه وجاءه فرسان من جبل العمور، بهذه القوة المستنفرة شكل قافلة، وأخذ طريقه ناحية قصر الحيران، مدة من الزمن القصر واقع تحت الحصار، ولأن السايح بن زعنون غاضب أتلف الحقول والبساتين القريبة من القصر، عقوبة وانتقاما من رحمان. ستة أيام كاملة والسايح بن زعنون يحاصر القصر، ويعبث ويتلف النبات والغرس، وقام بمحاولات عديدة لاحتلال قصر الحيران، إلا أنه فشل، من بقي من المطالية داخل القصر حاول وتحت جنح الظلام فتح ممر لفرسان السايح بن زعنون، إلا أن العيون ترقبهم وتحرسهم وترصدهم فكشفت أمرهم، وأخفقت خطتهم. لما حاول فرسان السايح بن زعنون، تسور الجدران، الرحمانيات نساء رحمان كن هن المدافعات عن الأسوار، كن يقمن بتسخين القطران والزيوت، ورميها على المتسلقين فيرتدوا عل أعقابهم خائبين منهزمين. اليوم السادس يوم حاسم في معركة قصر الحيران استطاع فرسان متمرسون من أولاد سالم، من كشف ثغرة في السور، مكنتهم من الدخول والولوج بل والوصول للساحة العامة للقصر، إلا أن اكتشاف الثغرة المفاجئ ،والدخول السريع عبرها، أوقعهم في فوضى عارمة هذا التسلل السريع الخاطف لم ينجح، لأن رحمان اكتشفوا الثغرة مبكرا، وتجمعوا

لردها في هجوم ساحق ومكثف. أثناء التراجع غير المنظم، تمكن رحمان من كشف السايح بن زعنون وعزله عن فرسانه وقتله، تدافع فرسانه لإنقاذ جثته، وتخليصها من أيادي رحمان ووقعت معركة أجساد وتدافع، كبرت الحمية عند رحمان، وتراجع فرسان القتيل، وبقيت الجثة ساقطة هامدة في ساحة المعركة، التي هي ساحة القصر قصر الحيران، من الهول أن القتال ما أوقفه إلا الليل وتساقط الرجال والخيول منشدة الارهاق والتعب، ومع ذلك أصر أولاد سالم، أن لا يتركوا الثغرة، وقرروا أن يقضوا ليلتهم عندها، ووعدوا أنفسهم أنهم من غد منصورين لا محالة. ما طلع الصبح، حتى طلع عليهم رحمان في ثائرة وحمية، فشتتوا جمعهم وأربكوا قادتهم، ما أشرقت الشمس وعم الضياء، سمع من لم بسمع بالليل أن السايح بن زعنون، وأن قتله حقيقة لا خيالا، تفرق جند القائد القتيل، وهربوا وتركوا قتلاهم، وهم في حالة فوضى عارمة، باستثناء المخاليف، أبقوا على نظامهم وانسحبوا انسحابا قتاليا منظما. أمام هذا الخطب الجلل والهزيمة العظيمة، وجد الأحلاف أنفسهم دون قايد يحكمهم، ويصرف أعمالهم، وما زاد الطين بلة، أن السايح بن زعنون لم يعقب، هو لا ولد له، أما أخوه معمر، له ولدان صغيران، الأول اسمه أحمد بن سالم هو الأكبر، رجل سيدخل التاريخ، هو سلطان وخليفة الأغواط القادم. الثاني سيدخل التاريخ هو يحيى بن معمر، توفي سنة 1853 ميلادية، وهو يقاتل الفرنسيين، تحت لواء مُحَمَّد بن عبد الله أولاد بوزيان علموا علم اليقين، أن الصبيان سيصنعان التاريخ، ولأن الأعداء كثر، حضر رجل من الحجاج يسمى مُحَمَّد بن عبد الله، طلب أن يتكفل بالأخوين، وقادهما لمكان آمن.

لغياب الخليفة والقايد، تكفلت الجماعة داخل الأغواط، بإدارة الأوضاع شكلوا مجلسا للتشاور لتبادل الآراء والفصل في القضايا الطارئة. إلا أن الفراغ أضعف الأحلاف، وتنامت قوة أولاد سيرغين داخل الجماعة، من أجل ذلك تم التوافق على تعيين خليفة جديد قوي وأمين، يحكم الناس بالعدل.

أبناء معمر كبروا، أولاد خريق قالوا الخليفة هو أحمد بن سالم، شاب نشط قوي، يتحلى بصفات الفارس الحكيم. خطب بنت أحمد بن لخضر، قايد أولاد سيرغين، هكذا ضمن الشاب أحمد بن سالم بيعة قايد أولاد سيرغين .أعلن الأحلاف أن خليفتهم وقائدهم هو أحمد بن سالم، وحتى يحدوا من صلاحيات الخليفة الجديد، اشترطوا عليه اثنين، يجعلهم محل استشارته هما: السيد أحمد بن النوي وسعد بن ابراهيم، أحمد بن سالم قبل الشرط، ولأنه داهية وسياسي مكن نفسه، وما جاءت سنة

1828 ميلادية، حتى حرر نفسه من صهره، وأبعد مستشاريه أحمد بن النوي وسعد بن ابراهيم، ثم بسط نفوذه ليس على الأغواط فقط، بل على كل القصور التابعة له.

المبحث الأول

الرجل القوي أحمد بن سالم يمسك بزمام الأمور، جمع بين القوة والحكمة، بين الشدة واللين، الأغواط وقصورها رهن اشارة السلطان الجديد، الحضر والبدو، المقيم والمرتحل، الجميع يحكمه الشرع والقانون بين الفينة والأخرى، تقع فتن بين الحيين هو يوقفها. السلم والأمان يحل، يتعايش الناس إخوة متحابين، الأغواط تقصدها وتأتيها القوافل من كل مكان، تأتي قوافل الصحراء محملة بالتمور، وما تنتج الصحراء وتغدو محملة بالحبوب، وما ينتج التل. الأغواط هي سوق كبيرة، يتم فيها التبادل استطاع أحمد بن سالم، أن يشكل نواة مجتمع جديد، أساسه العدل والمساواة، ولكل ذي حق حقه عاش الناس سنوات، يرفلون في الأمن والأمان في ظل قائد شجاع أبي وكريم.

بقاء الحال من المحال، وأيام الربيع معدودة، يقع ما لم يكن في الحسبان، سنة 1837[1] ميلادية يظهر رجل مغمور اسمه الحاج العربي، عرفا ينتمي لأولاد سيرغين، هو من أحفاد سيدي الحاج عيسى أثار مشكلات، أغلبها حول ممتلكات. لم يخضع للشرع، ولم يمتثل للعرف والقانون، السلطان أحمد بن سالم طالب بإخراجه من المدينة اتقاء للفتن، ولأن فرنسا قد دخلت البلد، خرج من البلد ذليلا مهانا مغضوبا عليه من الخليفة، ترك الأغواط وذهب ناحية زنينه، ما حل بها حتى راسل الأمير عبد القادر، لكي يوليه و يخضع له الصحراء.

ما وصل الحبر الأمير عبد القادر سره الخبر وابتهج، ولم يصدق، هل هو في يقظة أم منام، وجاءت المسرة مسرتان. أولا إذا ولاه سيكون عبدا له يحركه، كما يحب ويشاء، وثانيا وهو الأهم هو حفيد الولي سيدي الحاج عيسى من بشر بقدوم فرنسا، لعنته ودعاؤه المستجاب، وجد من يحققه هي

---

[1]ذكر سنة 1837 ميلادية و لم يذكر الكاتب ما قبل هذه السنة معركة عمورة وخروج بني لغواط سنة 1834 ميلادية تحت قيادة سيدي موسى بن حسن لتحرير العاصمة وكيف تلقاهم الأمير عبد القادر بالقرب من المدية وقتلهم بالمدفعية راجع فصل السيد موسى بن حسن ومعركة عمورة تاريخ بني لفواط.

البشائر بشائر المنازل والمقامات العليا، والكرامات العظمى، دولة الأمير التي يحلم بها هي دولة المواجد، يسيح فيها أهل الصوفية بعرفانهم الزكي المطلق في الأنواء والأجواء

حتى لا تغيب الفرصة السانحة، والومضة القادمة، تحرك الأمير عبد القادر، شكل قافلة عسكرية قوية، تتكون من مقاتلين نظاميين، ومن فرسان القومية. غادر مدينة معسكر، مشى ناحية الغرب مدة عسكر وسط أولاد خليف، هؤلاء واقعون ناحية الثنية، ثم انتقل وعسكر عند أولاد الشايب واقعون في محيط بوغار، ثم توقف عند أولاد عياد. الغرض من هذه الحركة كلها، أنه كان يصادر قوافل الأرباع وبني لغواط، ولا يردها إلا بعد دفع فدية باهضه، ثم عين وبشكل رسمي الجاج العربي خليفة له على الأغواط، ومنحه السلاح والذخائر وشكل له حرسا خاصا به، يتشكل من سبعين فردا. الخليفة الجديد المعين سي العربي، اتجه ناحية سيدي بوزيد، قصر صغير واقع على منحدر من منحدرات جبل العمور، غير بعيد عن زنينه، جمع حوله قومية لحرار، وكذلك أولاد خليف، وأولاد الشايب، الأغا جلول أغا جبل العمور، وسي مُحَمَّد الصغير التجاني. من لا يعرف نقول أن السيد أحمد التجاني المؤسس للطريقة التجانية، ترك ولدان الأول هو سي مُحَمَّد الكبير، خلف والده ورأس الزاوية التجانية، افتقد الحكمة والرأي السديد، عرف بتهوره السياسي واندفاعه. أوقع نفسه في خصومة غير متكافئة مع بايات وهران، وأعلن العصيان والخروج عن الدولة، قتل في معركة واجه فيها الباي حسان، على النقيض أخوه سي مُحَمَّد الصغير، أخذ من والده الحكمة والعلم، من خصاله التي لا يختلف عليها اثنان، ثبات وقوة الشخصية والشجاعة.كعادة العرب أرسل سي مُحَمَّد الصغير وأغا جلول، الخيول ليعرف سي العربي، أنهما خاضعين لسلطته. بعدما هيأ سي العربي جنده وفرسانه زحف ناحية الأغواط، وضع معسكره على ضفة واد مزي اليمنى، وبالتحديد في مكان يتوسط رأس العيون والبساتين. ما علم بني لغواط الخبر انقسموا، أولاد سيرغين انحازوا لخليفة الأمير الجديد الأحلاف رفضوا وعادوا لأحيائهم، وجعلوا أنفسهم في موقع الدفاع، هي الفتنة تطل برأسها، هي الحرب بين الحيين، لا ريب قادمة. الخليفة المعين سي العربي، اعتبر الأحلاف أعداء، واعتبر ممتلكاتهم غنيمة له الحق في حيازتها، من أجل ذلك، طلب من قبائل الأرباع المالكين لقطعان الأحلاف، أن يسلموها له. اعتبر الأحلاف قيامهم بمثل هذا العمل الشنيع خيانة لحلفائهم، الذين هم في الأصل إخوانهم، لما علم الأحلاف مدى الحرج الذي وقع فيه الأرباع، وحتى لا تضيع قطعانهم وممتلكاتهم، قبلوا الخضوع لحكم الخليفة المعين سي العربي، هذا وقع سنة 1837 ميلادية.

الخليفة الشرعي لمدينة الأغواط أحمد بن سالم، وحتى لا يوقع المدينة وقبائل الأرباع في فتن ومحن آثر الانسحاب، انسحب هو وأهله، ليقيم عند صهره بن ناصر بن شهرة، قايد الأرباع. إلا أن الخطوب اشتدت، من أجل ذلك، لم يجد الخليفة الشرعي مكانا آمنا، إلا عند حلفاء الأغواط الطبيعيين بني ميزاب، وهذا ما كان وحصل وسكن بالتحديد في قصر بني يزقن.

سنة 1838 ميلادية أراد الأمير عبد القادر، أن يخوض الحرب ضدنا، نحن الفرنسيون، أراد أن يستحوذ على قصر عين ماضي، ليجعله مستودعا له للذخائر والمؤن، الخليفة التجاني مالك القصر رفض طلب الأمير عبد القادر. لم يتردد وأعلن حصار عين ماضي، ولما سئل عن فعلته هذه، وهو أن يترك حصار الفرنسيين، ويحاصر المسلمين، قال الأمير: حتى أُرفع بين المسلمين، وأُظهر لهم أن الخليفة التجاني، قد فرق أمر المسلمين، ووقف مع الصليبين، في حين أن قادة المسلمين تدافعوا لنصرتنا وهزم الفرنسيين.

الخليفة التجاني عرف أن الحرب واقعة لا محالة، وهو يعرف الأمير، ويعرف لما جاء، خزن الخليفة ما يكفيه من المؤن والغذاء، وما يحتاجه الناس في حياتهم اليومية، ودخل القصر، وتحصن هو ومن معه وطلب العون والنصرة من القبائل المجاورة. تداعى من استطاع لنصرة الخليفة، والدفاع عن القصر الخليفة أحمد بن سالم، وهو في وضع حرج، وهو فاقد للقوة، طلب من أخيه يحيى بن عمر، أن يأخذ من فرسانه المخلصين مائة، ويقوم بحق الواجب، تجاه الأخ المحاصر، في عين ماضي الأمير عبد القادر طلب من يحيى بن عمر الرجوع، ووعده أنه سيسمح لأخيه بالرجوع للمدينة، بل قد يعينه قائدا لحرس الخليفة. علم أحمد بن سالم، أن يحيى بن عمر لا قوة له وأن القصر واقع تحت الحصار، وأنه لا يكافئ بأية حال من الأحوال، قوة جند الأمير، طلب منه الرجوع والعودة للأغواط، لأن القادم أخطر.

حصار عين ماضي[1] من الأمور العظيمة الجليلة، التي تضع معالم ومحددات الأيام القادمة، ونحن نمتلك شهادات ووثائق مذهلة عن الحصار، تكلم عن هذا الحدث العظيم، الجنرال دوماس Daumas والسيد ليون راشيز Léon Roches، اتفقا أن الخليفة التجاني، دافع بقوة وذكاء ودهاء عسكري

[1]راجع بالتفصيل فصلين كاملين حول الأحداث المأساوية لحصار عين ماصي وجرائم الأمير راجع تاريخ بني لغواط.

منقطع النظير عن قصره، وأن الحصار دام ثمانية أشهر كاملة، وأن الأمير أخفق في جهده الحربي وأنه لم ينجح إلا بالمكر والخديعة، وأنه لما أنهى مهمته حطم القصر، وجرف البساتين، وشرد الناس. لم يحول القصر لمخزن للأسلحة والمؤمن كما ادعى، هي مجرد ذريعة، ما أنهى مهمته حتى قفل راجعا ناحية التل، وقد ترك وراءه حطام الجدران والبيوت، ونساء وأطفال هاربين، باحثين عن مكان آمن يأويهم من ظلم الأمير.

الخليفة التجاني آثر الانسحاب، ودخل مدينة الأغواط، وبدأ مباحثات عاجلة مع الخليفة الشرعي أحمد بن سالم، للحد من نفوذ الحاج العربي، ومن الصلاحيات الكبرى، التي منحها لنفسه. أحمد بن سالم ترك الأغواط، وذهب إلى العسافية، يرافقه بين مائتين وثلاثمائة فارس من فرسان الأغواط ولأن الأمير كان قد أعلن، أن أحمد بن سالم هو قائد قوات الخليفة المعين سي العربي، أمر الأمير بعزل أحمد بن سالم، وقلد هذا المنصب قيادة قوات الخليفة لشخص يسمى عبد الباقي، ليس من الأغواط، ينحدر من تاق دامت، ما حل عبد الباقي وتقدم ناحية أسوار الأغواط، هو و سبعمائة من القوات النظامية، وقطعة مدفعية واحدة تابعة للأمير. منعه السكان من دخول المدينة، ثم سُمح له بالدخول إلى المسجد، استغل الفرصة وحطم أحد أبواب المدينة وعلى حين غفلة من الناس، نشر قواته داخل المدينة، ووزعهم على الأحياء والأماكن المهمة. سمع الأمير عبد القادر بالنجاح العظيم غير المتوقع، ها هو عبد الباقي رغم قلة جنده يمسك بالمدينة، أرسل الأمير له هذه التعليمة هذا نصها: « اعتقل كل أعيان المدينة أقتلهم، أو أنقلهم إلى تاق دامت، حطم المدينة، حطم وجرف البساتين وانقل قواتك بعد نهاية المهمة إلى تاجموت»

عبد الباقي له قوات خارج الأغواط تدعمه تخضع لأوامره، من بقي خارج الأسوار من قواته النظامية الأغا جديد أغا أولاد الشايب، والأغا الخروبي أغا أولاد خليف، كل واحد منهما عسكر مع قوات القومية التابعة له أسفل الجدران. الخطب العظيم الجلل سيقع لا محالة، الخليفة الشرعي أحمد بن سالم ويحيى بن معمر، وما يقارب من عشرة من أعيان المدينة، اجتمعوا وتباحثوا الأمر، وكانت النتيجة لا يفل الحديد إلا الحديد، في الأثناء علم الناس ما أحدثه عبد الباقي، وأنهم آثروه وسمحوا له بالدخول للمسجد من باب الضيافة، ولم يقدر حق الضيف، من أجل ذلك. انتفضوا دفعة واحدة، وسُمعت رجة عظيمة، وتدافع الناس في مشهد رهيب، زمن قليل انفرط عقد عبد الباقي، جنده بين قتيل وأسير وهارب، قلة قليلة فرت، الثائرون هاجموا بيت عبد الباقي الذي جعله لإقامته، القوات

النظامية ماكثة خارج المدينة لإنقاذ الموقف، استطاع الأغا الخروبي والأغا جديد انقاذ الأسرى، ونجا عبد الباقي بأعجوبة، غنم بني لغواط قطعة المدفعية الوحيدة، والأسلحة التي أحضرها عبد الباقي هذا الحدث العظيم، وقع سنة 1839 ميلادية.

الأمير عبد القادر لم يصدق ما وقع، وبدت له الأيام ما كان يجهل، وجاءته الأخبار التي لم يتزود بها ولم تضرب له موعد، ولأنه كان يحضر نفسه لمقاومة الفرنسيين، كتم غيظه وأجل الانتقام، والشعرة التي أرخاها لأحمد بن سالم قطعها، هو الآن عدوه. أعاد الأمير وقرر ألا يكون خليفته رجلا من التل بل هو الحاج العربي، ولأنه خائف ومرتعد مما قد يفعل به أحمد بن سالم، الحاج العربي آثر النجاة وذهب ناحية الجنوب، هو وبضعة من جنده. الأمير عبد القادر وحتى يدعم خليفته، أرسل له قوات إلى سيدي بوزيد، تتشكل من ثلاثمائة جندي نظامي، وبعض الفرسان وموارد بالكاد تذكر. الحاج العربي بصر ونظر ثم نظر وبصر، رأى أن مسك الأغواط من المستحيلات السبع، ووجد أن الحل الوحيد هو مسك عين ماضي، ولا سيما أن الجدران والأسوار الني هدها الأمير لم ترفع بعد، وقبل أن يصل عين ماضي، ها هي تاجموت في طريقه يأخذها، ما أفسد خطة الحاج العربي، أن هناك اتفاق بين أحمد بن سالم والخليفة التجاني على افساد مشروعه، حضرا له جيشا وانتظراه وفاجآه المعركة دامت يومين. اليوم الأول ظهر الحاج العربي على خصومه، اليوم الثاني تغيرت الموازين، ومع نهاية اليوم ينهزم سي العربي، ويفر ناحية تاجموت، هذا الحدث واقع بتاريخ 1840 ميلادية.

أحمد بن سالم والخليفة التجاني تعقبا الفار الحاج العربي، لما دخل تاجموت طالبا للأمان، لم يعرف أن هناك أتباع للخليفة التجاني ينتظرونه، المهم أن هؤلاء ومن معهم حسموا المعركة داخل قصر تاجموت، خاض الحاج العربي معركة بائسة خاسرة، خسر فيها ما يقرب من خمسين من قواته، ما كان أمامه إلا الفرار، ولم يكن أمامه إلا الذهاب إلى قصر العسافية. دخلها بعدما قام بتجميع بعض قواته، وانضم له بعض المناصرين من قبائل الأرباع، ولما هيأ نفسه وجمع جنده، قرر الذهاب ناحية قصر الحيران.

السنة 1842 ميلادية سنة فارقة في حياة الأمير، انهزم في كل المعارك التي خاضها ضد الفرنسيين هذا التراجع والتقهقر، أعطى فرصة سانحة لأحمد بن سالم، كي يتجه ناحية قصر الحيران، ويحسم أمر الحاج العربي، المواجهة الأولى تخلى عنه أنصاره من الأرباع، لم يكن أمام الحاج العربي، إلا الذهاب ناحية قصر الحيران والتحصن داخلها، حماية له ولمن بقي من جنده.

حصار قصر الحيران، هذه المرة يلهم الذاكرة الشفوية، بملحمة رائعة هي ملحمة مسعودة الحرزلية المرأة الأغواطية الجميلة، في كتابه رحلة صيد في الجزائر، الجنرال مارغريت Margueritte يحكي لنا حكاية مسعودة الجميلة:« جميلة من بين جميلات الحرازلية هي وحدها الأجمل، فاقت قريناتها، تألقت بينهن، كما تتألق ياقوتة التاج، تنير كما ينير القمر ليلة الرابع عشر. الجميلة بالكاد تبلغ ثمانية عشرة من العمر، في قصر الحيران ترخي جمالها ضياء متناغما، مع أفق الشمس في شروقها وغروبها، هي كالعربيات ممشوقة القد، تلبس اللباس العربي المطرز المذهب. عشقها دون غيرها فرسان الحرازلية عشقوها عشق، المحب الخالص في حبه، مشى بذكرها الركبان، ذكرها الشعراء في أشعارهم والقصاصين في قصصهم، تذكر في المواعد والمجالس، ولأن الله مغير الحال والأحوال، وفي ليلة ظلماء شديدة الظلمة، قصر الحيران الذي تسكنه مسعودة الحرزلية الجميلة، يحاصره بني لغواط والأرباع ومعهم المخاليف، قساة أشداء هؤلاء القساة تسوروا الأسوار، وها هم يلقون بأنفسهم داخل قصر الحيران. فرسان القصر ورجالاته لا قوة لهم أمام زحف هؤلاء القادمين على غير موعد، حاولوا ثم حاولوا بني لغواط والأرباع والمخاليف، اقتحموا وأسقطوا الحمايات، وها هم الآن يزحفون ناحية القصر، ما ثبتت إلا قلة فليلة من الفرسان، هي الآن تدافع عن حامية متبقية، تحمي من هم وراءها من نساء وأطفال. لم يعلم بني لغواط والأرباع والمخاليف، أن الجميلة مسعودة هي بينهم تنظر مصيرها ومصيرهم، خاف الجميع، البنادق تبرق نارا وأوارا، والسيوف والخناجر اللامعة تلمع ضياء، الرجال يرفعونها ليقتحموا المكان، من الهلع والفزع يتساقط النساء والصغار، من الخوف والجزع الكل يرتعد يبحث له عن معين ومنجاة، هل تسكت مسعودة ؟ هل لها قدرة على الصمت ؟ لا يمكن هي تترك مكانها وتأخذ طريقها نحو مقدمة المحمية، أين هم فرسان الحرازلية، يردون هجوم بني لغواط والأرباع والمخاليف، وتقف الجميلة وسطهم. هكذا يقف الجمال وسط الملحمة متألقا وسط المعمعة، بين القعقعة بين الذهاب والإياب، ترفع مسعودة صوتها وتخاطب فرسانها، فرسان الحرازلية قائلة:« اخوتي الحرازلية العدو هناك وراءكم، ليس هو أمامكم، لو تركتموه سيبعثركم كما تبعثر قطعان الغنم، لقد تركتم نساءكم، تركتم أطفالكم لقمة سائغة سيلتهمها هؤلاء الوحوش، هم كلاب مسعورة، أخاف اليوم القادم هو المأتم الأسود المحمل بالأحزان. سيأتيكم لا ريب يوم هو شؤم، لا يبقى فيه لعرش الحرازلية بقية سيندثر ويتلاشى، كما يتلاشى الغيم في السماء، هو غد شؤم نصبح، ولا نجد لنا نحن الحرازلية مكان أريد أن أخبركم أنا هي المرأة أنّ عروقهم تسري فيها الدماء الحمراء » اجتمع الناس حولها ليسمعوا

مقالتها، ويفهموا خطبها، نزعت الحزام الذي تضعه العربية في وسطها، وضجت وصرخت قائلة: « أين من تغنى بجمالي ؟ أين إخوتي ؟ من أحبني أنا أحبه كذلك، هنا يلتقي الأحبة من هنا نتحرك إلى هناك، أين يقف فرسان بني لغواط والأرباع والمخاليف، أقرنوا اخوتي الكلام بالفعال».

الظاهر أن كلام مسعودة وجد وقعه في نفوس الفرسان، تقدموا نحوها وكلهم عزم لاقتحام عدوهم، لما علم بني لغواط والأرباع والمخاليف أمرها، اقتحموا صفوف الحرازلية، وعلى غفلة منهم أخذوا مسعودة أسيرة، وهي في طريقها مع آسريها، غافلت عدوها ورمت نفسها خارج المحمية، لتخفف العبء على إخوتها فرسان الحرازلية، هي هَبَّة منها قادتها ناحية الأسوار، التي لا تبعد عنها الآن إلا بخطوات هي قليلة، ولم تسكن ولم تخف، أبت إلا أن تقاوم، هو مشهد عظيم، تنافس على رؤيته الجميع. ما كان من الفرسان فرسان الحرازلية، إلا أن ينتفضوا انتفاضة النمور، ويعقدوا العزم على تخليص وفك أسر الجميلة مسعودة، واقتحموا صفوف عدوهم، دافع العدو صمد زمنا ثم تراجع وتقهقر، ثم انهزم وفر كما يفر الجبناء الخائفين، الدم الأحمر الذي يسري في عروق الحرازلية، جعلهم أناس آخرون.

لما تراجع المنهزمون أرادوا أن ينتقموا ممن كانت سببا في هزيمتهم، أرادوا نزع هيبتها وخلع عزتها ومن ثمة إذلالها، إلا أن قومها أبوا ذلك وتدافعوا نحوها ليعتقوها، ويحرروها، وينتصروا لها. هي تنتصر بهم وجاء النصر كاملا، وعاد بني لغواط والأرباع والمخاليف مهزومين مندحرين، وعاد الأمن والسلام لقصر الحيران.

رغم جهد مسعودة الحرزلية والدفاع المميت، هذا لم يمنع سقوط قصر الحيران، أيام معدودات وعاود أحمد بن سالم حصار القصر، ودخله منتصرا مظفرا، واكتمل نصره لما وقع الحاج العربي في يده أسيرا ولأن يحيى بن معمر[1] هو قائد العمليات العسكرية، وحتى لا يلطخ يداه بدم خائن متآمر، أمر أحد الخدم أن ينهي حياته، وطويت حكاية الحاج العربي خليفة الأمير عبد القادر، و حفيد الولي سيدي الحاج عيسى. الراية التي كان يحملها الحاج العربي، والتي منحها له الأمير عبد القادر، قدمت هدية للجنرال ماري مونج Marey-Monge، لما وصل هو وبعثته لمدينة الأغواط سنة 1844 ميلادية.

---

[1] يحيى بن معمر أخ أحمد بن سالم رجل عظيم مجاهد صنع تاريخ الأغواط رحمه الله رحمة واسعة.

لما كان الأمير عبد القادر، يحصي هزائمه أمام فرنسا ويحصيها، بلغه خبر نهاية خليفته على الأغواط الحاج العربي، لم يستطع أن يكظم غيظه، وصاح قائلا: « أقسم بالله سأفقع عيون من تطاله يدي من بني لغواط، وأسلخ جلودهم وأحولها طبولا تقرع». وحتى يصدق يمينه، كان بحوزته سجناء من بني لغواط، فقأ عيونهم بمهماز خيل صناعة عربية.

الجنرال ماري مونج يقود بعثة سلمية إلى الأغواط ماي وجوان 1844 ميلادية ـتعيين أحمد بن سالم خليفة ـ التنظيم السياسي لمناطق الأغواط.

المبحث الثاني

أهل الصحراء سمعوا وقع أقدامنا، سمعوا كم هي كثيرة عساكرنا، كم هم جندنا منضبطون، عاد أحمد بن سالم لمدينته سيدا مهابا، وعلم علم اليقين، أنه يفتقد لقوة تسنده وتبعد عنه تهديدات الأمير له ولرعيته، ولأنه سياسي علم أن لا مخرج ولا مهرب من انتقام الأمير، إلا اللجوء للحماية الفرنسية.

شهر مارس سنة 1844 ميلادية، الجنرال ماري مونج Marey-Mongeهو قائد كتيبة من كتائب المدية، وصل قصر زكار عند جبل السحاري، وصل هو وقوة مشكلة من 115 رجلا. قرر أحمد بن سالم أن يرسل أحصنة اعلانا عن قبول الحكم الفرنسي، وأرسل وفدا يرأسه أخوه يحيى بن عمر باسم أخيه، طلب أن يُمنح أحمد بن سالم صفة الخليفة لمدينة الأغواط، وهو سيحكم باسم فرنسا، ليس الأغواط وحدها، بل والقصور التابعة لها: العسافية، قصر الحيران، الحويطة، تاجموت، وعين ماضي، وأضاف قبائل الأرباع، و الحرازلية، وقصور بني ميزاب، وأضاف يحيى بن معمر، أن أحمد بن سالم يذكر في رسالته: « إن السلاطين المسلمون الذين عرفتهم كلهم، خانوا وما وفوا، وقد أجد ربما عدلا عند سلطان الفرنسيين يعطينا بعضا من الأمن والأمان».

ظهر العرض للجنرال ماري مونج أنه في غاية الأهمية، وأنه يعطي لفرنسا موقع قدم في الصحراء، إلا أن صلاحياته، لا نعطيه الحق في إبرام هكذا عرض، هو ملزم باحترام التدرج الإداري المعمول به وستظهر فرنسا لأهل الصحراء، معنى العدالة التي تلزم بها نفسنا، ونحن الفرنسيون نعلم أن ما دفعهم إلينا، هو قسوة الأمير عبد القادر عليهم، وأنه حرم قوافل بني لغواط والأرباع من التوجه ناحية التل، وبالتاي حرمهم من غذائهم، ألا وهو الحبوب. حمايتنا لهم ستمكن قوافلهم من الحركة والتنقل، وجلب حاجتهم من الغذاء، هم الآن محرومون من دخول الأسواق، عهدنا هذا سيعطيهم القدرة على دخولها، ومزاحمة أقرانهم من التجار في الأخير، تم تفويض يحيى بن عمر للتفاوض ومعه تقرير مستفيض، يعرضه على القيادة العليا في العاصمة الجزائر.

المارشال بوغود Bugeaudالحاكم العام، رحب بالتفاهم وأظهر أن له إرادة القبول للعرض، وكتب كتابا رسميا إلى وزير الحرب الفرنسي المارشال سولت Soult، مما جاء فيه: « لا يجب أن نتجاهل كم هي المكاسب، التي سنكتسبها من حيازة قطعة في الصحراء هي آهلة بالسكان، تكسبنا المكاسب

السياسية الجمة، والمكاسب التجارية الوافرة، يجب أن نملأ الفراغ الذي يخلفه الأمير عبد القادر، ما ألحقه الأمير من الأذى والسوء بالناس. هنا سيلحق حتما من هم الآن في التل، هي الفرص السانحة التي تفتح لنا الطريق، لافتحام العمق الإفريقي، سنبني علاقات جديدة، ونوطد مواثيق عديدة مع الناس هنا في الصحراء، هكذا سيفقد الأمير عبد القادر مصدر قوته وسر وجوده، ويتلاشى في خضم الأحداث.»

لما تجمعت الأسباب، أمر الحاكم العام، بعدما أقر كل التفاهمات المنعقدة، طلب بتحضير بعثة استكشافية، تتجه ناحية الأغواط، كلف ماري مونج ليقوم بهذه المهمة، هذا التكليف وقع يوم 12 أفريل 1844 ميلادية.

«غزو الصحراء كان من المقاصد الأولى لاحتلال الجزائر، ولتسريع العملية الجنرال يوسف[1]أبدع قوة مقاتلة جديدة، تُحمل على البغال، لتكون قوات تدخل سريعة. الجنرال ماري مونج، كان له رأي آخر لأنه يمتلك خبرة في اقتحام الصحراء، عرفها في مصر لما كان ضمن بعثة أرسلت لمصر، وشاهد قوة الجمال العربية، وقوة تحملها وسرعتها، وكيف أن بونابارت آثرها دون سواها، وحتى يبدأ رحلته الاستكشافية. اختار مائة جمل ومائة فارس، وشكلها تشكيلا عسكريا منظما، وقام بعمليات تدريب للفرسان على شكل مناورات قتالية، كان يعطي الأوامر ويستجيب الفرسان، كان يأمر بفتح التشكيل، ثم يأمر بغلقه، ثم يأمر الجميع بالوقوع أرضا، والنزول دفعة واحدة فيستجيب الجميع، قام بترقيم الجمال، وناور، يأمر رقم واحد واثنان وثلاثة بتشكيل الرتل، والرقم أربعة وظيفته الحراسة، ما كان يقوم به الفرسان أعجبه، إلا أنه لم يستطع أن يتخطى بعض العادات الراسخة عند الإنسان والحيوان. لم يستطع التدريب، ولم تستطع المناورات من تجاوزها، بعد هذا الجهد شكل فوجا قتاليا إلا أن عدده يبقى قليلا، وتم تكليف كاريبوسيا Carbuccia من الخط القتالي 33e لقيادته، هو من كلف بداية بتحضير واعداد هذا التشكيل.

كل جمل يحمل رجلا فارسا يحمل بندقية، ويحمل كذلك كيس ذخائر، يكفي إتنان وحقيبة جند يخزن فيها الطعام، تكفي حاجة الفارس لمدة تتراوح بين 25 و 26 يوما، ووعاءين لتخزين الماء يمكنهما تخزين كمية من الماء تتراوح بين10 و 12 لترا وزن الحمولة كاملا يقدر بين 150 و 160 كيلوغرام

---

[1]الجنرال يوسف اسمه الحقيقي *Valentini Josep*h 1808 ـ 1864 ميلادية يهودي يتقن اللغة العربية.

يحمل الفارس معه كذلك لفة حبال، يحمل كذلك حزمة حطب موضوعة على الطريقة العربية مع بعض التعديل، مع حطب ثقاب يوضع في حزمتين مختلفتين، كل هذا العتاد يرتب وينظم بشكل واحد ومتناسق، أثناء التنقل والمشي يوجد قانون منظم، بين كل فارسين واحد يركب والآخر يترجل في الحالتين يبقى الفارس ماسكا ببندقيته، هذا العمل يتم بالتناوب يقع التناوب، لما تُقطع مسافة قدرها بالتقريب 63 كيلومتر.»

أول ماي من سنة 1844 ميلادية، الفوج القتالي ترك المدية، يوم 14 ماي وصل منطقة طاقين أعاد ماري مونج نظام الفوج، وظهر التشكيل الجديد هكذا: 1700 مقاتل من التشكيل 33 أضاف 230 من القوات المترجلة. 30 من قوات المدفعية مع قطعتين من قطع المدفعية الخاصة بالجبال، 140 من قوات المطاردة و السبايسية الإفريقية، 400 فارس من قوات القومية، مائة بين أحصنة وبغال 1400 جمالة جزء منها جمال حرب، وجزء آخر لرفع الحمولة. هناك حمولة إضافية من المؤن تكفي21 يوما، نحن الآن أمام قافلة عسكرية مكتملة، مما تحمل 72000 خراطيش البنادق، هذه الكمية هي احتياط اضافي، كل 60 من الخراطيش محفوظة في جعبتها الخاصة بها. هذه القافلة ليست وظيفتها الأولى خوض المعارك، وظيفتها النظر في القصور الآهلة بالسكان، والتعرف عليها، القوة القتالية لهذه القافلة محدودة، ما يبعث الفخر لدى القيادة العسكرية الفرنسية، أنها ولأول مرة تحرك مثل هذه القافلة وقوتها على غير العادة، كامنة في قدرة الجمالة على التحرك والمناورة.

يوم 17 ماي 1844 ميلادية القافلة تترك طاقين، يوم 21 ماي تصل تاجموت، وجدت في انتظارها أحمد بن سالم وأعيان القصور مجتمعة، لم يتخلف إلا الخليفة التجاني مع ذلك أرسل حصانا، ليعلن قبول حكم السلطة الفرنسية، وحتى يظهر ماري مونج قوته قام باستعراض لقوته، لما أنهى المقابلة مع الأعيان، وأراد التوجه ناحية معسكره.

لسد حاجات القافلة سمح الجنرال ماري مونج بفتح سوق شعبي، انبهر السكان المحليون من النظام والأدب الجم، الذي اتصفت به قوات القافلة، وكيف أنهم دفعوا ثمن ما اشتروه من التجار، هذا السلوك الحضاري عزز الثقة في القافلة العسكرية، وتدافع سكان تاجموت فرحين مستبشرين وأظهروا الفرح بشكل منقطع النظير، حتى أن العارفين لم يشاهدوا هذا الاحتفاء بالقوات الفرنسية حتى في المدن الكبرى، ولم يروه حتى في العاصمة.

الخليفة التجاني حاكم قصر عين ماضي، له قوة ونفوذ لدى سكان القصر، بل عند الناس عبر مناطق البلد، هم مخلصون ومستعدون للموت دونه، من أجل ذلك كان يستحق الاحترام، وأن ينزل المكانة التي يستحقها، وحتى نأخذ منه بيعة كاملة. نحن نعرف أن عدوه هو الأمير عبد القادر، وأن فرنسا هي وحدها من تزرع الأمل لدى الخليفة، ويجب أن يفهم بما أنه أعلن الطاعة، هو في حماية الدولة الفرنسية، رأى ماري مونج أن ذهاب القافلة العسكرية ناحية عين ماضي،ي ثير الفزع لدى سكان قصر عين ماضي، وقد يكون سببا في هروب الخليفة التجاني، أو أن يدخل القصر ويتحصن بداخله هذا الفعل إن وقع، سيسيئ للقافلة ويرفع عنها صفة السلام، التي جاءت من أجلها، وحتى لا يقع ماري مونج سأل النصح من أحمد بن سالم. فأشار عليه أن يكتفي بإرسال وفد من كبار الضباط يلتقي كبار قصر عين ماضي، ويتفاوض معهم حول الخضوع للسلطة الفرنسية، ويبحثوا مقدار الضريبة المستحق دفعه في الحاضر والآن، وتم تفويض العقيد سانت آرنوند ArnaudSaint قائد البعثة لهذه المهمة، وهكذا كان الأمر[1].

« ما وصلنا تاجموت توقفنا مؤقتا، والمسافة التي توصلنا لمدينة الأغواط، هي بالكاد ثلاثون كيلومتر ودخلنا الساحة في اليوم الموالي، طلب مني الجنرال ماري مونج، وكان ذلك على الساعة السادسة صباحا، الحضور وقال لي: اذهب مع مجموعة من القادة من مختلف الأسلحة، وسأمنحك 12 من فرسان الخيالة، و 100 من القومية، خذ هذه القوات وأدخل بها عين ماضي، وسيكون معك الخليفة زعنون ليساعدك، أتمنى أن تجدوا الاستقبال الحسن، كن على حذر لما تزر القصر، قيد كل الملاحظات وأرفع المخططات، وعد الينا قبل أن يحل الظلام»

« تركت المعسكر على الساعة الثامنة صباحا مع قيادة عليا، مكونة من 10 ضباط، وقوة مشكلة من 115 من الفرسان على الساعة الحادية عشرة ونصف، وصلت أسوار عين ماضي، طلبت ملاقاة كبار القوم، أوقفتهم أمامي وأخبرتهم، أنني موجود هنا بينكم كصديق، ولأنكم أعلنتم الطاعة، أنتم آمنون وأن فرنسا الآن هي سيدة لا تزاحم، تحل أين شاءت. ثم أخذت من كبرائهم 12 رهينة، تركتهم بين يدي 10 من قوات المطاردة، وبعض فرسان القومية، وأمرتهم أن يعاملوا الرهائن معاملة طيبة، ولا يطلق سراحهم، إلا بعد عودتي. دخلت القصر مع 10 من الضباط، و 10 من قوات المطاردة وبعض

---

[1]هذه المقاطع مأخوذة من كتاب بعثة ماري مونج *Marey-Monge, Expedition* de *Laghouat, Dirigée aux mois de mai cl juin 1814, Alger, 1844, 8°*المؤلف

قادة القومية، قمت بجولة كاملة أمتطي جوادي، وأخذت وقتي كاملا، وجدت قصرا محطما، هو آثار باقية. ترجلت وأكملت جولتي مترجلا، استقبلني كبير من كبراء البلد، أدخلني بيته منحني تمرا ولأنني جائع التهمته، كاد الجوع أن يهدني، تطوع بعض الأهالي، ومنحوا التمر لحراسي، ولمن كانوا معي وأرسلت وعلى السريع للجنرال ماري مونج البريد: أعلم أنك قلق، اطمئن أنا دخلت القصر، ولم أطلق طلقة واحدة، لقد قمنا بجولة ولقينا من الأهالي الترحيب، سأصل إلى المعسكر الساعة العاشرة مساء»

الخليفة التجاني حافظ على هيبته وسمته، بصفته ولي من الأولياء، وحفيد من أحفاد النبي مُحَّد، هذه الكرامة منعته أن يستقبل قائدا نصرانيا. بقي في بيته ساكنا متعففا، حاول الخليفة زعنون، وهذا بطلبي أن يقنع الخليفة التجاني، أن يستقبل قائد الأركان الأعلى دريو Durieu، المكلف بالشؤون العربية، وأن يكون هناك حوار مودة وسلم، بعد تردد قبل الخليفة التجاني اللقاء.

الخليفة التجاني سنه بين 36 و 40 سنة، نذكر أن لون بشرته نحاسي، له حرس خاص في بيته يحيطون به، كما هو واقع في القلعة التي يسكنها، خارج القلعة عين ماضي مدينة عربية، يقطنها حوالي 1000 نسمة، وأحصينا حوالي 300 بندقية، أكثر من ثلث المدينة محطم واقع أرضا. البيوت فقيرة مأساوية، الاستثناء الوحيد قصبة الخليفة التجاني، هي حمولة على طابق مع ذلك عين ماضي هي واحة في صحراء، خارج الأسوار لا شيء، لا أشجار ولا نخيل، ولا نبات، ما تراه خارج القصر الرمال والأرض الصخرية فقط. «على الساعة السادسة مساء وصلت قيادة القافلة، وأبلغني الجنرال ماري مونج لواحق وتفصيلات، أبلغني أن الخليفة التجاني دفع الضرائب المستحقة عليه».

يوم 23 ماي القافلة العسكرية تصل الحويطة، يوم 28 ماي القافلة تقف عند أسوار مدينة الأغواط حضر سكان المدينة لاستقبالها، أحدثوا استقبالا رائعا، بين 500 و 600 فارس امتطوا الأحصنة كلهم يطلقون البارود، فرحا بقدوم الجنرال ماري مونج ومن جاء معه. وضعت سوق كبيرة، لمن أراد التزود بالحاجيات، انتشرت قوات من الشرطة ووزعت على أنحاء المدينة لحراستها، القافلة العسكرية توزعت على شكل مجموعات.

الأغواط تتوزع من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي، واقعة على ثلاث قمم القمم الصخرية، تفصل بين السهول الواقعة شمالا، وبين الصحراء الواقعة جنوبا، المنحدر الشمالي آهل بالسكان، أما المنحدر الجنوبي تنتشر فيه بيوت متفرقة أحيانا، تلتحم فيما بينها بمسافات متقاربة. القمتان المتطرفتان

لجبل تيزغرارين هما متوجتان، كل قمة رفعت عليها قلعة، بين القمتين وفي الوسط يوجد بناء صخري بني من الصخر الأبيض، يسمى دار الصفاح، بمعنى دار الصخور، دار لا نوافذ خارجية لها هي تناسق صخري رهيب، صقلت أحجاره ورتبت على شكل مباني، يسميها الناس هنا قصبة بن سالم مرفوعة كما ترفع قصور وقلاع الملوك الأوائل. تتكون من أربع منازل مستطيلة، تتكون من طابقين دون وجود نوافذ خارجية، هذه القلعة محاطة بجدار حماية سميك، هذه القلعة تهيمن على الجزء الجنوبي الغربي من الواحة، هناك جدار يفصل بين الحيين[1]،حي الأحلاف وحي أولاد سيرغين. كل حي له سوق خاص به، يتواجد في امتداد الأبواب المفتوحة على الحيين، أولاد سيرغين سوقهم يسمى سوق كخه، وسوق الأحلاف يسمى سوق الخير[2].

عدد الساكنة في الأغواط 3500 نسمة، وعدد المساكن يقترب من 500، كل المنازل تبنى من دور واحد، وكل منزل له حديقة تخصه، باب الدخول الرئيسي يأتي نازلا عن المعهود، بعدما تنحني قليلا تدخل سقيفة هي مظلمة ومتعرجة، توصلك مباشرة إلى الفناء. العادة عند السكان أن يحيطوا الأبواب بمستطيل أبيض، لون البياض يأتي من لون الجير الطبيعي، وترفع فوق الأبواب خمسة فاطمة على شكل يد مفتوحة، ملونة بالأزرق، وظيفة خمسة فاطمة رد العين والحسد، اللون الغالب على المساكن هو اللون الرمادي، حيث إذا رأيت المساكن ترى المدينة من بعيد، كمرأة ترتدي معطفا بنيا.

هناك قلعتان مهيأتان للدفاع عن المدينة، هما في حالة تأهب واستنفار، لرد أي عدوان خارجي الأغواط لها سور بني على شكل مستطيل، جدرانه مرتفعة أربعة أمتار، بني من صخر الأرض الصلد، الجدران فتحت فيها منافذ تتيح المراقبة والترصد. القلعة الواقعة ناحية الشرق، هذه القلعة هي عبارة عن مسلة ذات قاعدة واسعة، تعطيها القدرة على رصد السهل الواقع شمالا، وكذلك الصحراء الواقعة جنوبا، القلعة الواقعة غربا على عكس الواقعة شرقا هي قلعة أولاد سيرغين، متحكم فيها بواسطة القمة الصغيرة، التي يرتفع عليها ضريح سيدي الحاج عيسى، تعطي حماية للأحياء المتحصن بالقلعة تكفيه طلقة بندقية، ليرد المعتدي القريب، هناك أربعة أبواب مفتوحة في مسار السور، تتواجد خاصة عند الناحية السفلية، تمكن من الدخول إلى المدينة.

---

[1] الجدار ما زال موجودا لغاية الآن. المؤلف

[2]سوق الخير سمي بالخير هو رافد من روافد واد مزي يغذي حدائق المدينة. المؤلف

شمال مدينة الأغواط وجنوبها تمتد غابات النخل، هذه الواحة العظيمة هي حصن مقاومة متقدم، هي نفسها، أي الواحة مقسمة تقسيمات شبه عسكرية، كل قسم تحيط به جدر حماية ووقاية، كثرة التقسيمات، وتداخل الجدر، وكثافة النخل، يجعل الوصول للمدينة في كل الأحوال متعسرا.

قافلة ماري مونج مكثت في الأغواط يوم 26 و 27 من شهر ماي، يوم 28 من نفس الشهر وصلت القافلة وعسكرت في قصر الحيران، يوم 29 وقفت في منطقة تسمى بودرين، أحمد بن سالم رافق القافلة، كلما مرت القافلة بتجمع سكاني يأتي الناس ليعلنوا الطاعة والخضوع للجنرال، أراد الجنرال أن يستكشف جنوب بودرين، وكان له ذلك. وصل إلى النقطة التي يلتقي فيها وادي الجدي مع واد الحَمّار، ليحقق نبوءة سيدي الحاج عيسى، وبالتالي يرتفع مقدار هذا الشيخ لدى العوام، وهم ينظرون بأعينهم، كيف تتحقق نبوءات هذا الولي الصالح المستجاب الدعوة.

حقق الجنرال ماري مونج مهمته، ها هو يترك المدينة ويسلك طريق الرجوع، إلا أن هناك حدث طرأ، لما أراد المغادرة وهو تحت أسوار المدينة، يوم 1 جوان، جاءته رسالة من الجنرال بار Barقائد كتيبة العاصمة الجزائر، يعلمه أن هناك تحضيرات واستعدادات، لخوض الحرب ضد المغرب يستعجله الرجوع. كان في نية الجنرال ماري مونج، أن يأخذ معه قطعة المدفعية، التي غنمها بني لقواط من عبد الباقي، إلا أن التطورات الجديدة منعته من ذلك، قرر ترك قطعة المدفعية للخليفة أحمد بن سالم،أراد الجنرال أن يترك رسالة مشفرة هي أخلاقية ومادية في الآن نفسه للسكان، حتى يفهموها ويفككوا رموزها.

يوم 2 جوان القافلة تأخذ طريقها ناحية تيارت، السلطة الفرنسية قبل هذا التاريخ ويوم 23 ماي في الحويطة، وأمام ضباط القافلة وأعيان وكبار السكان، تم الإعلان رسميا على أن أحمد بن سالم هو خليفة الأغواط. الذي قرأ الرسالة باللغتين العربية والفرنسية وبامتياز، هو أخ الخليفة يحي بن معمر نفسه، وجاء في الرسالة الرسمية كذلك، أن أغا الأغواط هو يحي بن عمر، ناصر بن شهرة صهر الخليفة أحمد بن سالم، تم تعيينه آغا على قبائل الأرباع. لا شيء تغير بالنسبة للقصور التابعة للأغواط، هو نفس نظام الجماعة سيبقى ساريا، الجماعة تتكون من أعضاء يمثلون مجموع الأهالي القاطنين القصر الواحد، باستثناء قصر الحيران وقصر تاجموت، سيتم تعيين لهما حاكم أولاد عطا الله الحرازلية وسعيد عتبة، كل واحد منهم يكون له قايد يدير شؤونه. قبائل الأرباع تتكون من ثلاث فرق هم: أولاد صالح، المعامرة، الحجاج، كل واحد من هؤلاء ينقسم إلى شراقة وغرابة، ويتم الفصل

بين الشراقة والغرابة بالرجوع لمدينة الأغواط، من يسكن غربها هم الغرابة، ومن يسكن شرقها هم الشراقة. هذا التقسيم الجديد كان السبب في وقوع فتن بين الشراقة والغرابة، هذا وقع سنة 1843 ميلادية، السبب أن الشراقة جاؤوا ناحية التل، وتم تنصيب لهم ثلاث قياد، هؤلاء القياد وسعوا صلاحياتهم، لتشمل كذلك الغرابة. احتج الغرابة وطلبوا هم كذلك أن يكون لهم قياد، ولحل هذا النزاع، تدخل الخليفة أحمد بن سالم، وأقنع الجنرال ماري مونج، أن يعين لهم قياد. استطاعت السلطات المخولة بتحصيل الضرائب، أن تجمع المستحق منها وهو 37000 بوجو[1]boudjoux،تم جمع هذا المبلغ في مدة قياسية، هي ثمانية أيام فقط رغم تباعد القبائل، من المخاوف التي وجدتها الإدارة العسكرية، هو النفوذ المتزايد للسلطان المغربي، ورغبته في ضم هذه المناطق لحكمه وسلطانه هذه قد تكون السبب في وقوع، تمرد يشمل المنطقة كلها.

الجنرال ماري مونج لما كتب تقرير رحلته، أشار إلى الجانب العملي، الذي يمكن استخلاصه هو الحفاظ على: «الخليفة أحمد بن سالم » من أجل ذلك كتب موضحا: « هو الرهان الأكبر الذي به نفتح قصور مدينة الأغواط، ستكون هذه القصور محطات لقوافلنا، هذه الشعوب المتحركة دوما ناحية التل، هم أعداء للأمير عبد القادر، لقد قتلوا خليفته عليهم الحاج العربي، وطردوا آخر عبد الباقي. لقد ثبتوا رغم ما وقع في نواحي الغرب، هذه الالتزامات التي وقعوها معنا تمنعهم من الدخول في حلف مع سلطان المغرب ضدنا، من أجل ذلك سنثبت حكم أحمد بن سالم، ونعطيه مرتبا ثابتا 18000 فرنك، ومرتبا ثابتا كذلك لكل آغا يعمل تحت سلطته هو 2500 فرنك، وندمج 20 من الفرسان في قواته، وكذلك 200 من المشاة النظامية. إننا من نمنحه منصب الخليفة، ويكون قريبا من مراكزنا، ما يأخذونه من مرتبات ومزايا هي يسيرة مقارنة بالجهد، الذي هم يقومون به، هؤلاء هم معالم سيراها كل أعداء فرنسا، كان ذلك في الشمال أو في الجنوب.»

نستطيع أن نستخلص الفوائد التالية من تثبيت الخليفة أحمد بن سالم، ولها ثلاث صور ظاهرة:

1. يمكننا إخضاع كل المناطق الواقعة في الغرب، وكذلك الواقعة في الجنوب، كانت مستقلة أو معادية.

---

[1] *Boudjoux* عملة عثمانية سكت بالجزائر معناها العربي بوجه.

2. مدينة الأغواط تمكننا من تنظيم حركة البضائع القادمة من الداخل، الذاهبة ناحية تونس والمغرب.
3. نستطيع أن نخضع هذه الشعوب ونرهبها، ونجعلها تقاوم نفوذ الأمير، وتدخل في حروب ضده.

« الخليفة أحمد بن سالم هو أقوى حكام الجنوب، وتكتمل قوته لما يجد دعمنا العسكري والسياسي وإذا أراد خوض المعارك، سيكتشف أن قوته أكبر، وخاصة وهو يجد دعم الخليفة التجاني، ذلك الدعم الديني المعنوي، لعبة الحرب الدينية لعبها الأمير وخليفتنا الجديد سيلعبها، هو يملك الآن يحوز 200 من القوات النظامية و 500 من قوات الفرسان وقطعة مدفعية.»

« التجارة الداخلية للجزائر تتجه عادة إلى المغرب وتونس، لو استطعنا أن ننظم الأغواط، وننظم أسواقها، نستطيع أن نحول للجزائر العاصمة كميات ضخمة من البضائع، الأغواط هي المدينة الصحراوية الأقرب للعاصمة الجزائر.»

« نحن نؤكد على أهمية ومكانة الأغواط ونستطيع أن نلخص هذه الأهمية كما يأتي:

1. جعل الأغواط مركز عسكري وسياسي وإداري، بهذه الكيفية نجمع بين ما هو سياسي وتجاري.
2. لما نمتلك الأغواط نقطع علاقة التواصل بين شرق وغرب الجزائر، وبالتالي نحن من يملك ربط أو فك هده العلاقة.
3. نستطيع أن نسيطر على قبائل لبيض سيدي الشيخ المتمردة، وكذلك المناطق الواقعة قرب وهران مع وجود خليفة قوي هو أحمد بن سالم، نوقف نفوذ سلطان المغرب.»

التحالفات الجديدة والحرب مع المغرب، كانت الهم الأول للحاكم العام في الجزائر، ومع ذلك أقر الرواتب الممنوحة لأحمد بن سالم، ومن يعمل معه ،وفوضه حكم قصور الأغواط، وهي كالآتي: قصر الحيران، قصر العسافية، الحويطة، تاجموت، عين ماضي، كذلك له السلطة على الأرباع، الحرازلية، أولاد عطا الله، وسعيد عتبة.

تدخل الجنرال يوسف 1846 ميلادية ـ التنافس بين أحمد بن سالم وناصر بن شهرة بين سنتي 1846 و 1850 ميلادية ـ ثورة قبيلة الحجاج و الحرازلية ـ سي الشريف بالحرش يهزم الثوار سبتمبر 1850 ميلادية ـ شكاوي القبائل ضد الخليفة أحمد بن سالم ـ تمرد ناصر بن شهرة سبتمبر 1851 ميلادية.

المبحث الثالث

سنة 1846 ميلادية الأمير عبد القادر يستدعيه سي الشريف بالحرش، هو من أولاد رويني، أراد بذلك أن يخضع له أولاد نايل المتواجدون جنوب المدية، من أجل ذلك أعلنت هذه القبائل العصيان الوحيد الذي رفض دعوة سي الشريف بالحرش، هو أحمد بن سالم، من بقي معه وفيا كذلك هو سي جلول بن يحيى أغا جبل العمور، بقي موقفه غامضا، ولم يوجه قبائله لما يخدم مصالحنا، وعارض انسحاب الأمير عبد القادر من جبل العمور، لما كان مطاردا من قبل الجنرال يوسف، من أجل هذه المواقف، الجنرال يوسف طلب من ديك دومال ducd'Aumale عزل سي جلول بن يحيى واعتقاله، وراسله قائلا:« تحرك بسرعة، ونفذ الأمر، أريد تحقيق النتائج السريعة.» رد عليه ديك دومال يوم 6 ماي 1846 ميلادية من معسكره في البيضاء:« يجب أن نتوخ الحذر معه، ويجب أن نعيد ترتيب مصالحنا معه، ونترك له الباب مفتوحا إذا أراد الرجوع، ونترك له المكانة التي هو يمتلكها الآن. سنبعث له ببعثة استكشافية، تقرر إما معاقبته أو تنبيهه لأخطائه، لأنه من الصعب أن نتسرع ونقول، أننا نجد من يخلفه، هذا يبدو متعسرا، من السياسة ألا نتجاهل قيمة الرجل في قومه وقوة نفوذه على أتباعه، خضوعه وطاعته لنا وحرب أعدائه يكسبنا قوة، هو رجل مغال ومتطرف في أحكامه، والخوف أن يستنجد بأقربائه، أو يفوض أمره لأخيه المسعود. يجب أن لا تغادر البلد حتى تفصل في أمر عقابه، إن ظهر لك أن هذا لازما، أذكرك أنني عاقبت السكان وألزمتهم بدفع الضرائب المستحقة، وقد أرفقت خطابي هذا برسالة جداول توضح المبالغ المقبوضة، إذا أردت قضاء بعض الحوائج تجنب عين ماضي، لأنني منعت كل مظاهر التسوق، أريد أن أبقي مناطق عين ماضي مناطق مقدسة. استقبل وفود الخليفة التجاني بكل احترام، ولا تفرض عليهم أي شيء، سأكتب للحاكم العام، أن يدرج جبل العمور ضمن سلطة خليفة الأغواط أحمد بن سالم.»

رغم الرعاية التي أظهرتها فرنسا للأغا جلول[1]، إلا أنه آثر العصيان والتمرد تم اعتقاله والذهاب به إلى مقر القيادة في المدية، خلفه في منصبه أخوه المسعود، وخضع لسلطة أحمد بن سالم في الأغواط.
أولاد يحيى بن سالم، وأولاد سعد بن سالم، وهم من فرق أولاد نايل، وضعوا خيمهم قرب مدينة الأغواط، طالبوا أن يكونوا تحت سلطة الخليفة أحمد بن سالم.
شهر فيفري 1847 ميلادية الجنرال ماري مونج، قام بجولة جنوب المدية، لما سمع بحالة عصيان وتمرد قام بها سي موسى بوحمارة[2] شيخ الطريقة الدرقاوية، كان له أتباع كثر عند بني لغواط وأولاد نايل من الأغواط انتقل إلى مسعد، ومنها إلى متليلي، أين حضر يستقبله الناس بالحفاوة، ويحظى بحق الضيافة.
الفوضى والعصيان وتمرد الأهالي، يعود إلى جبل العمور، لم يستطع مسعود أن يجذب الناس إليه من أجل ذلك عاد الجنرال يوسف ليوقف التمرد، المارشال بوغود بتاريخ 1 ماي 1847 ميلادية قامبعزل الشيخ مسعود، وطلب منه الذهاب هو وعائلته إلى الأغواط، وتم تعيين جلول بن يحيى بن جديد أغا على جبل العمور، وأضحى كل من قصر تاجرونة ولالمية خاضعة لسلطته، وهو لا يخضع لخليفة الأغواط أحمد بن سالم.
أولاد سعيد قدموا بأعداد كثيرة، ونصبوا خيامهم جنوب شرق جبل العمور، هذا أوقع اشكالات كبيرة مع القياد، والحكام العاملين مع السلطة الفرنسية. المارشال بوغود وجد أن أولاد سعيد لا

---

[1] قبل دخولنا للجزائر جلول بن يحيى كان حاكما وحتى يبعد منافسيه قتل أقرب الناس إليه والديه المقربين الوحيد الذي وقف أمامه هو أخوه الدين. المؤلف

[2] سي موسى بن حسن المصري ولد في مصر قام برحلة إلى سوريا والقسطنطينية جاء إلى الجزائر ثم ذهب لطرابلس في ليبيا هناك التقى مع سي مُحَمَّد بن حمزة شيخ الطريقة الشاذلية ترك طريقته الأولى الدرقاوية وأخذ بالطريقة الشاذلية الدرقاوية والشاذلية هما من أقدم الطرق الصوفية في طرابلس وكذلك تونس الدرقاوية لها خصوصية في الجزائر 1829 سي موسى بن حسن وصل مدينة الأغواط وظهرت له كرامات بنى زاوية في مدينة مسعد وجذب إليه أولاد نايل سنة 1845 ميلادية دخل في تجاذب مع الأمير عبد القادر وتمكن من بسط نفوذه على المدية إلا أنه انهزم في معركة أمام الأمير عبدالقادر وكانت هزيمة مدوية هذه المعركة وقعت غير بعيدة عن جبال موزاية بعد هزيمته أمام الأمير لجأ إلى مسعد ثم الأغواط وبقي يضم لطريقته الدرقاوية مناصرين وحلفاء جدد. المؤلف

يخضعون، لا لسلطة خليفة الأغواط، ولا لسلطة أغاليك جلول، وحتى ينهي هذا النزاع، المارشال بوغود طلب من عماله النظر إلى الجغرافيا، المنطقة الجغرافية التي يتواجد فيها أولاد سعيد، تخضعهم للسلطة الادارية الأقرب إليهم.

ها هي العواصف تهب على خليفة الأغواط أحمد بن سالم، هذه المرة العاصفة تأتيه من داخل بيته تأتيه من قبل صهره ناصر بن شهرة، والسبب هو ثأر قديم، والفتنة تطل برأسها. والد أغا الأرباع ناصر بن شهرة، قتل في حادثة في مكان يسمى الفِجْ[1]في مواجهة له مع أنصار بن سالم، الآمر بالقتل هو الطيب بن مقاوس، بن شهرة لم يغفر وانتظر الفرصة السانحة للثأر. ما أجج النار في صدره أن أحمد بن سالم، عين على المعامرة قايد هو مُحَمَّد بن الطيب[2]، ابن عدوه وقاتل والده، اعترض بن شهرة على هذا التعيين، ورفع شكوى للجنرال يوسف، حاول الجنرال أن يصلح بين المتخاصمين، بن شهرة على مضض كتم غيظه، وكان هذا بداية لخلاف هو قادم لا محالة.

سنة 1848 ميلادية حوادث وفتن تقع بين قبائل الأرباع، انقسموا إلى طائفتين، الأولى وقفت وناصرت ناصر بن شهرة، والثانية وقفت وناصرت الطيب بن مقاوس، وابنه مُحَمَّد بن الطيب هؤلاء كانت لهم حماية من قبل أحمد بن سالم. ناصر بن شهرة وقادة من أنصاره ذهبوا وكلموا الجنرال ماري مونج، يومها كان يضع معسكره في مكان يسمى الحمام، كلموه عن الظلم الذي لحقهم من قبل الخليفة أحمد بن سالم. الجنرال ماري مونج ذاق ذرعا من كثرة الشكاوي، وقرر عزل ناصر بن شهرة، هذا أغضب الحجاج و الحرازلية، وقاموا بغزوات ضد أولاد سعد بن سالم، الموالين للخليفة، وأعلنوا العصيان، وانسحبوا ناحية الجنوب.

ربيع سنة 1848 ميلادية، عرف بداية عصيان جنوب المدية، السبب هو دخول سي موسى بو حمارة مدينة الأغواط[3]، أُستقبل استقبال الأبطال من قبل الأهالي، حتى أن خليفة المدينة أرسل له

[1]الفج مكان يبعد عن الأغواط شمال شرق بمسافة 53 كيلومتر. المؤلف

[2]مُحَمَّد بن الطيب والد الأغا لخضر هو من يحكم الآن الأرباع. المؤلف

[3]أثناء حصار الزعاطشة قام سي موسى بأعمال بطولية للدفاع عن الواحة ولما تم احتلال المدينة قفز عبر الأسطح في حالة يائسة لينقذ نفسه نجله سي بوبكر بن موسى يسكن الآن مدينة الأغواط هو يخدم المؤسسات الفرنسية ويساعد الأهالي ويقربهم من الإدارة الفرنسية لحل مشاكلهم. المؤلف

هدايا ثمينة .سي بوزيان يعلن الثورة في الزعاطشة، وأعلن النفير وطلب من المسلمين الحضور وإعلان الثورة المقدسة، موسى بن حسن لبى النداء، ذهب هو وبعض الأنصار من الأغواط خاصة لواحة الزعاطشة. التلي بن لكحل الأغا السابق للأمير عبد القادر، يعلن هو كذلك التمرد والعصيان وينصر موسى بن حسن، حرك فرق من أولاد نايل وأهمها أولاد سيدي أحمد، ولأنه لم يستطع أن يلحق بثورة الزعاطشة وقائدها سي بوزيان، أعلن الثورة ناحية مسعد. هذه الحوادث وتراكمها شغلت الحاكم العام في العاصمة، من أجل ذلك في شهر جوان، طلب بتشكيل فوج قتالي، وكلف الجنرال لادميرال Ladmirault بتشكيله، والاشراف عليه.

أعداء الخليفة أحمد بن سالم، لم ييأسوا ولم يملوا، وأكثروا الشكاوى وقدموها للسلطات العسكرية الفرنسية، ولما أخفقوا وضعوا الملف أمام المصالح القضائية. بعد التحقيق القضائي، تم تحويل الملف الزاخر بالشكاوي والمظالم، ليطلع عليه الجنرال بلغيني Blangini قائد فرقة المدية، أهم ما جاء في الملف جنايات قتل، نسبت للخليفة أحمد بن سالم. هذا النجاح المؤقت الذي حققه أعداء الخليفة جعل أحمد بن سالم، ينتقل إلى المدية، ويعرض قضيته، التقى بالجنرال بلغيني، أبلغه أن هناك مصالح عليا يجب أن تراعى، وهي المصالح التي عززتها التفاهمات الأولى، وهو يرفض أي شيء يقلل هيبته، أو يحط من قيمته، وأن ضعفه هو قوة لأعدائه في المدية والبليدة والجزائر العاصمة، وأنه سمع عن العصيان الذي يجتاح الصحراء، وأن القوة الوحيدة التي هي متماسكة في الصحراء، هي قوة أحمد بن سالم خليفة فرنسا في الأغواط.

الجنرال بلغيني طمأن الخليفة أحمد بن سالم، وجدد الثقة في شخصه، وأبلغه أنه سيبلغ هذه الثقة، لكل المتشككين في ولائه. بعدما تأكد الخليفة من حيازته لهذه الثقة، طلب أحمد بن سالم عودة ناصر بن شهرة، ليعاود مهامه بصفته أغا الأرباع، ومع ذلك ورغم عودة بن شهره لوظيفته، أبقى الحجاج و الحرازلية عصيانهم وثورتهم، ضد خليفة الأغواط.

التلي بن لكحل ويوم 14 أكتوبر، الملازم الأولغريارد Gruard،والملازم كاريس Carrus المكلفان بمصالح الأهالي، يقومان بهجوم مباغت على التلي ومن هم معه. التلي بن لكحل تمكن من الفرار، أولاد أحمد هم بين قتيل وهارب، ومن تبقى منهم طلب الأمان من القوة الفرنسية، هذا نصر ينضاف لنصر كبير، أحرزته القوات الفرنسية في واحة الزعاطشة، أحداث ساهمت في استرجاع الهدوء والأمن للمناطق، الواقعة جنوب المدية.

لقد آن الأوان لكي تهتم السلطات الفرنسية بقبائل أولاد نايل، التلي بن لكحل مازال له النفوذ والقبول عند هذه القبائل، سبب هذا النفوذ المتنامي الفراغ الذي خلفه سي الشريف بالحرش[1]،خليفة الأمير عبد القادر سابقا، وذهابه ناحية بوغار. حتى نوقف تمرد هذه القبائل المتحركة، نحتاج لقائد يجمع بين الحيوية والذكاء، إن أعيننا كلها تتجه ناحية هذا الرجل، الجامع للخصال التالية: البارود والولاية هو في قومه ولي و شريف، وأكثر من ذلك هو الخليفة السابق للأمير عبد القادر، أعطاه الأمير من التقدير والمكانة ما يحتاجه حقيقة، هو رجل يقبل كل ما نطلبه منه، ويسعى للقيام به سعيدا معتزا فرحا مستبشرا. لما كان التلي بن لكحل يستولي على القلوب، ويحشد الناس حوله كانت الغيرة تقتل سي الشريف، ما حل ربيع سنة 1850 ميلادية، حتى تم تعيينه في منصب أغا على أولاد نايل، وتم وضع كل فرق أولاد نايل تحت سلطته، والتي تمثل أولاد نايل الموجودين جنوب المدية، وتم استثناء أولاد نايل التابعين لباشا أغاليك التيتري، وأولاد سعد بن سالم، هؤلاء مجتمعين ينضمون لخليفة الأغواط.

ما مرت إلا أيام قليلة، وتسارعت الأحداث من جديد، الأغا يحيى بن معمر حط خيمته قرب زنينه عند أولاد سعد بن سالم، لتحصيل الضرائب هي فرصة استغلها، لكي يقنعهم أن يذهبوا بخيولهم إلى المراعي الواقعة بمنطقة طاقين لترتع فيها. إلا أن حادث يحدث يوم 23 ماي، تقع غزوة على أولاد سعد بن سالم، يقوم بها الحجاج و الحرازلية، هاجموا القطعان قتلوا الحراس، وأخذوا مغانم كثيرة وفروا يوم 25 ماي الحجاج و الحرازلية يعاودون الغزوة، ويسلبوا من أولاد سعد بن سالم، ما قدروا عليه أخذوا في الغزوتين 2000 من الجمال، وأعداد كبيرة من الماشية. لما سمع الناس خبر الغزوتين الأرباع ضربوا خيامهم في الشهبونية ناحية التيتري، هذا المكان ضرب فيه ناصر بن شهرة خيمته، بالمختصر المفيد ناصر بن شهرة يجمع حوله كل قبائل الأرباع، ويشرع في تنفيذ غزوات ضد كل القبائل التي تقف ضده، هو إعلان الأرباع العصيان على خليفة الأغواط أحمد بن سالم، سمح بن شهرة لقبائل الأرباع، ودون استشارة أحمد بن سالم، أن تدخل أسواق بوغار والثنية، وتشتري ما تريد من الحبوب.

---

[1]سي الشريف بلحرش من أراد حياته وخدمته لفرنسا وقتله للمسلمين يراجع صيف في الصحراء فرمانتان ترجمة كزواي الحاج العربي.

الكولونيل كابراي Cambray،يأتيه على عجل التواتي ابن أحمد بن سالم، ليحذره ويطلعه على المستجدات، ويطلب منه أن يسأل ناصر بن شهرة، وكبار الأرباع عن الأحداث، التي وقعت يوم 23 جويلية، الكولونيل كابراي جاءته الإجابة: أن هذا الفعل قامت به عناصر من الحجاج، وقد غيروا رأيهم الآن، وأن الأمور عادت لطبيعتها الأولى.

مرت أياما قليلة وعاود الغزاة غزوتهم ضد أولاد سعد بن سالم، وأفراد من أوماش، أمام هذه الاضطرابات المتكررة، بدأت ترتفع الأصوات عند أولاد نايل. سي الشريف بالحرش هو الآن صوتهم، طلب من السلطات الفرنسية أن تفوضه في ملاحقة الثوار، وتم منحه الإذن، جهز 500 فارس، وعدد كبير من قوات الجمالة، يوم 2 سبتمبر 1850 ميلادية، وبالقرب من القرارة باغت 40 من فرسان الأغواط وقتلهم. أيام قليلة عاود المباغتة قتل 26 من الرجال، واستولى على قطعان، لما تفاقمت الأوضاع، تدخل الخليفة أحمد بن سالم لينقذ قبيلة الحجاج، وأعطاهم الأمان وقدر مبلغ التعويض بمبلغ 25000 بوجو، وطلب من أحمد بن سالم، أن يتكفل بجمع المبلغ، إلا أن هذا لم يتحقق بل قاموا بأكثر من ذلك، شهر جانفي 1851 ميلادية هي غزوة جديدة يقوم بها الأرباع، غزوا أولاد عيسى، هؤلاء اعتقدوا أن الأمان قد حل، وضعوا خيامهم قرب مسعد، الثوار دفعوا لخليفة الأغواط 12000فرنك، تم إرسالها للقيادة في المدية، وتم تسليم 56 جمل كتعويض خسائر لصغار المتضررين.

شهر أفريل 1851 ميلادية خليفة الأغواط، يراسل القيادة الفرنسية، ويعلمها أن أولاد يحيى بن سالم وأولاد سعيد بن سالم، أنهم طردوا مخازنية الخليفة، ورفضوا دفع الضرائب المستحقة، الخليفة يعلن أن هذه القبائل متمردة، ويطالب بتدخل القوات الفرنسية. إلا أن الجنيرال لادميرال Ladmirault قائد القوات العسكرية في المدية، كان قد تلقى عدة شكاوي ضد الخليفة أحمد بن سالم، وضد المخازنية التابعين له، وما يقومون به من أفعال مستفزة ومضايقات، وأن الجنرال طلب من المتظلمين دفع الضريبة، ثم القدوم وطلب تحقيق العدالة. القبيلتان قبلت دفع الضرائب، بشرط أن تعطى لضابط فرنسي هو من يمسكها، ألح الجنرال أن الضرائب لا تسلم، لا للقياد وللعاملين معهم ولا لمن يضايق الدافعين.

السماء تتلبد بالسحب الداكنة هي مقدمات لثورة قادمة، من أجل ذلك القيادة العسكرية في المدية شكلت فوجا خاصا، وأخضعته لقيادة الجنرال لادميرال. هذا واقع شهر ماي يوم 3 جوان، الفوج

يصل مدينة الجلفة، تم استدعاء القبائل مع حضور خليفة الأغواط أحمد بن سالم، والأغا سي الشريف بن لحرش.

الجنرال أمونة amena قام بتحقيقات واسعة، واكتشف خروقات جسام، وأثبت تورط أحمد بن سالم في جرائم خدمت مصالحه الخاصة، وأن الذين قاموا بغزو أولاد سعد بن سالم شهر ماي 1850 ميلادية، الثوار دخلوا مدينة الأغواط مع الغنائم، التي سلبوها والأكثر من ذلك، أنهم سكنوا مع الأهالي، والخليفة كان يعرف، ولم يرفض هذا الفعل، الذي قام به الثوار. لما جاءه فرسان أولاد سعد طلبا للحماية، لم ينظر في أمرهم وأهملهم، هذا منح فرصة للثوار كي يفروا بما غنموا بعيدا، نعم الخليفة وأخوه لم يتورطا في هذه الأفعال، ولكن أغمضوا أبصارهم، عما يقع ويحصل، أحدهما أبعد خيول أولاد سعد بن سالم، وأفقدهم القدرة على الدفاع عن أنفسهم وقطعانهم، الآخر لم ينقذ بل آوى الثوار وحماهم ،الأكثر من ذلك أن علي ابن الخليفة كان مع الثوار، الذين أغاروا على أولاد عيسى، أولاد عيسى رفعوا شكوى إلى باش آغا التيتري، ليرفع عنهم الظلم، إلا أن خليفة الأغواط أرسل له الهدايا الثمينة ليسكت.

بقاء هذه الوقائع مجهولة، سببها أن أحمد بن سالم أشاع في الناس، أن كل متظلم يذهب ناحية المدية سيضعه في السجن، وأن التقارير التي كان يرسلها ابن الخليفة علي، هي مسموعة وموثوقة من قبل القيادة الفرنسية، والخليفة نفسه كان يسعى لتبقى هذه الأحداث مجهولة وغير معروفة، سنة 1948 ميلادية. الجنرال لادمير يتلقى شكوى من شخص من الأغواط يسمى الحاج علي، بعد زمن من هذه الشكوى، هذا الشخص استغل فرصة قافلة لبني لغواط ذاهبة ناحية التل، لتبيع البضائع للفوج الفرنسي، الحاج علي تحين الفرصة السانحة، وأبلغ القيادة العسكرية ما هو واقع في الأغواط وهي تجهله، لما علم أحمد بن سالم بالوشاية، وعلم مبلغها والواقفين وراءها، أمر المخاليف أن يقتلوا الوشاة، وهكذا كان الأمر والخليفة لم يلاحق القتلة، ولم يقتص منهم.

تراكم المعلومات وكثرتها، دفعت الجنرال لادميرال أن يوقف الاحتقان، وينزل ويخفض من درجة التوتر، أزاح عن هذه القبائل حكم بن سالم، وأخضعهم للسلطة العسكرية في المدية مباشرة، وتم تكليف ضابط من مكتب العرب لتحصيل الضرائب، وأن هذا الضابط تكون له سلطة على قبائل الأرباع، هذا الاجراء سيمنع حتما الأفعال المدانة، التي كان يقوم بها أحمد بن سالم، هذا الضابط كله حيوية ونشاط، يقوم بالمهام التي أسندت إليه، وينزع فتيل التوتر الواقع بين القبائل.

الناصر بن شهرة هو الرجل الوحيد، الذي يمتلك القدرة على سد الفراغ، الذي يتركه أحمد بن سالم بن شهرة سيد من السادة هو سليل عائلة حكم، آباؤه وأجداده توارثوا الحكم جيل عن جيل، قوته وسمته أعطاه النفوذ الكامل على قبائل الأرباع مجتمعة، من أجل ذلك رشحه الجنرال لادميرال لهذه الوظيفة، إلا أن الحاكم العام في العاصمة، رفض الترشيح، وأصر أن أحمد بن سالم، يبقى هو الحليف القوي، وأنه أثبت إخلاصه لسنتين كاملتين 1846 و 1847 ميلادية، في حين كان الجنوب يعج بالثورات، وكان الأمير يقوم بحملته في نواحي الأغواط. بقي بن سالم مخلصا، مع ذلك قرر الحاكم العسكري ضرورة معاقبة أحمد بن سالم، حتى يقف على أخطائه ويتداركها، ومع ذلك يبقى فعله شاهدا عليه، لقد أنفق كل ثروته في تعمير وبناء منشآت في المدية[1]،صفوة القول كما رأى الحاكم العسكري يبقى أحمد سالم هو الخليفة لمدينة الأغواط.

شهر جوان 1851 ميلادية، قبائل الأرباع تأتي للتل لكي تأخذ حاجتها من الحبوب، الأغا ناصر بن شهرة، بقي حاملا لفكره التحرري، ولأن الجنرال لادميرال رأى أنه الرجل المناسب، الذي سيخلف أحمد بن سالم. جاء بن شهرة ليبث شكواه وألمه للكولونيل داريو ، المدير العام للقضايا السياسية، ويظهر له سوء التصرف، الدي يقوم به خليفة الأغواط، وأخبر الكولونيل أنه وفي لفرنسا، ورافض بالمطلق لحكم أحمد بن سالم، وهو يعرف المؤامرات التي تحاك ضده، ويعرف جيدا من يقف وراءها، وان الذي قدم إلى العاصمة، جاء ليحطم ويفسد الأعمال الجليلة، التي قمت بها هو شخص يفترض أنه قريب، وأن هناك مصاهرة، هو لم يراعيها، احمد بن سالم هو الآن يحكم، لأن هناك قرارات اتخذت، بغض النظر إن كان الفعل الذي يقوم به فعل صالح، أو هو فاقد للصلاح.

ترك ناصر بن شهرة العاصمة، وهو غاضب ومستاء، وقرر الرجوع إلى قبيلته، التي كانت تأخذ حاجتها من الحبوب، وهي الآن تستعد للعودة. أحمد بن سالم عرف من جواسيسه، أن قبائل الأرباع تحضر لثورة وعصيان هو وشيك، ما عرفه وتأكد من مصدره، حتى أبلغ الكولونيل داريو الجنرال لادميرال علم الخبر، وطلب وبشكل عاجل ارسال ضابط من مكتب العرب لقبيلة الأرباع

[1]أحمد بن سالم هو الآن متقدم في السن جاءه الغنى من تجارة الحبوب في هذا الموضوع كتب الحاكم العام: « وجوده لن يدوم طويلا هو زمن قليل ونتخلص منه هو صديق شقي ما يمكن القيام به مستقبلا سنعيد تنظيم القبائل والقصور التي هي تحت سلطته» أرشيف الحاكم العام للجزائر. المؤلف

لينظر في الوقائع المستجدة، ويعلم ناصر بن شهرة وكبراء القبيلة، أنه مطلوب منهم الحضور لمقر القيادة بالمدية، وتم إبلاغ الضابط المبتعث، إنه إن صدق الخبر، وتبين أن الأرباع تعلن العصيان وأن بن شهرة ومن هم معه، لم يمتثلوا ويلتحقوا بمقر القيادة بالمدية، هو مفوض أن يستنجد ويأمر قوات القومية التابعة للتتري، والتابعة لأولاد نايل، أن تساعده في مهمته أن يعيد هذه القبائل، إن لزم الأمر للطاعة، هذه المهمة الصعبة تولاها الملازم كاريس Carrus، له معرفة سابقة بقبائل الأرباع، وهو محل ثقة عندهم، إلا أن المهمة الرسمية الظاهرة، التي اطلع بها هي اعادة ناصر بن شهرة ومن معه، وذلك بكل سلمية واقناعهم، أن العصيان والتمرد نتائجه وخيمة ومريرة.

يوم 3 سبتمبر الملازم كاريس، يترك المدية مع قوة من السبايسية عددها ثلاثون، واتجه ناحية مرابض الأرباع في الشهبونية، غير بعيد عن بوغار، أستقبل استقبالا جيدا، وظهر الأمر طبيعيا لكن بعد الظهيرة من يوم 5 سبتمبر بوبكر أخ بن شهرة، دخل إلى خيمته ورحب بضيفه الملازم وبدأ معه في حديث ودي. هنا سمعا صوت بن شهرة، وهو يطلب حضور الملازم خارج الخيمة، ما ترك الملازم الخيمة، حتى شاهد فوضى غير مفهومة، ثم تبين له الموقف، هناك هجوم على قواته السبايسية وبدأت أصواتهم ترتفع، عرف الملازم أنه وقع في المصيدة، وأن المقاومة هي الانتحار، حاول الضابط أن يسكت غضب بن شهرة، ويعيده لحالته الطبيعية، إلا أن هذا لم يتحقق. السبايسية الواقعين أسرى أحسن بن ناصر بن شهرة معاملتهم، وطلب سلبهم أسلحتهم وأحصنتهم، ومنعهم من الهروب ولما أراد بن شهرة رفع الخيم والرحيل، أعاد للمساجين حريتهم، وأخبر الملازم ومن معه، أنه فعل هذا الفعل احتجاجا على فرنسا، وكيف أنها لم تمنحه مرتبة الخليفة.

الملازم كاريس نجا، وأخذ طريقه مترجلا ناحية بوغار، قطع رحلته ليلا هي ليلة الخامس والسادس من شهر سبتمبر، في هذه الظروف العصيبة، أظهر قوة وكرامة هو لم ينجح في مهمته، لأن قبائل الأرباع، قد أعلنت الثورة والعصيان. ما وصل بوغار حتى قام بتجميع القومية، وبدأ في مطاردة الفارين،لحق بهم عند مكان يسمى الورنغ، غير بعيد عن الشهبونية، حراس نزلة الأرباع قاموا بغزوة ضد رحمان والعبادلية، وسلبوهم عدد كبير من الجمال والغنم، أمام هذه التغيرات السريعة القيادة الفرنسية وعلى عجل، طلبت من جلول بن يحيى من جبل العمور، وسي الشريف بالحرش من الجلفة التدخل السريع. لا توجد قوة تستطيع أن تمنع الثوار هم هاجموا قبيلة المخاليف، هذه القبيلة هي التي

تحرس قطعان بني لغواط، وهاجموا بعض فرق الأرباع، هذه هي القلة القليلة التي ستبقى وفية لفرنسا لبعض الوقت، وتحط خيمها في أنحاء ثنية الحد.

الاضطرابات من جديد تعم جنوب المدية، ومع ذلك تم اعتبار عصيان الأرباع حالة معزولة، لأن ناصر بن شهرة بقي يراسل مكاتب العرب، والجنرال لادميرال بقيت لديه قناعة، أن ما قام به ناصر بن شهرة حالة غضب، سرعان ما تتلاشى وتزول في مراسلاته العديدة أظهر تمسكه بالقيادة الفرنسية، وأن الغضب لم يأتيه من فرنسا، بل آتاه من الأفعال التي اقترفها صهره أحمد بن سالم من أجل ذلك، تم اقتراح أن يمنح له حكما مستقلا، وتم التفاوض في هذا الأمر، في هذه الأثناء وفي انتظار الحل المناسب، ناصر بن شهرة انتقل إل قصر الحيران، التحق به أنصاره الهاربين من الأغواط في الأخير هي الصاعقة. تبينت القيادة الفرنسية، أن الرجل يمكر ويخادع، وأن القناع الذي وضعه على وجهه، ما هو إلا قناع الحيلة والمكر، وأن الذي كان يقوم به كله هو الدهاء، هي الصدمة لدى القيادة الفرنسية، إن هذا الذي يسمي نفسه ناصر بن شهرة الماكر المخادع، اجتمع في الرويسات بمدينة ورقلة في الأيام الأولى من شهر نوفمبر، مع شريف ورقلة مُحَمَّد بن عبد الله[1]، هو اسم يكبر ويتعاظم وتسمع به الصحراء، وتنضوي تحت رايته قبائل الصحراء، لحرب فرنسا وأتباعها.

[1] مُحَمَّد بن عبد الله الرجل المجاهد الشريف الأبي ناصر سلطان المسلمين رافع راية الخلافة العثمانية ناصر الحق والدين تلميذ الشيخ السنوسي راجع بالتفصيل حياته وسيرته الزكية تاريخ بني لغواط.

الفصل الثالث: مُحَمَّد بن عبد الله سلطان ورقلة ـ تحالف مُحَمَّد بن عبد الله مع ناصر بن شهرة ـ هزيمة سي الشريف بلحرش في العقرب 17 جانفي 2852 ميلادية ـ عمل الأفواج القتالية التابعة للقادة لادميرال و ديليني ربيع 1852 ميلادية ـ تدريب سي حمزة بمدينة وهران ـ النظام السياسي الجديد ـ بن ناصر بن شهرة وأحمد بن سالم أغاوات على القصور ـ وفاة أحمد بن سالم.

المبحث الأول

لما دخلت فرنسا الجزائر، كان مُحَمَّد بن عبد الله مجرد معلم قرآن، عند أولاد سيدي أحمد بن يوسف فرقة من قبيلة رويسال، مضارب خيامها واقعة شمال تلمسان، سنة 1840 ميلادية تم توظيفه كطالب أي معلم قرآن في زاوية سيدي يعقوب، تابعة لأولاد سيدي الشيخ. العارفون اختلفوا في اسمه، البعض قال أن الاسم الذي عرف به هو ابراهيم بن بوحفص، والآخر قال بل اسمه هو ابراهيم بن عبد الله. ما يتفق عليه الجميع هو تقواه وإيمانه، مع نهاية سنة 1840 ميلادية، ظهرت عليه بوادر تشد الانتباه، بدأ يكثر من العبادات و يوغل في الشعائر من صلاة وصيام، بدأ ذكره يرتفع بين الناس، وتداول من رآه الأفعال الجليلة التي يلزم نفسه بها، وبدأت مجاميع من قبائل رويسال، وبني عامر وضرارة، تأوي إليه وتنظر في حاله.

لما كانت الحرب على أشدها ضد الأمير عبد القادر، مولاي الشيخ أغا الأمير على رويسال كان منزعج من العمل تحت قيادة الخليفة بو حميدة، هذه التبعية أرهقته، وأراد التخلص منها، قرر مولاي الشيخ أن يعلن العصيان عن الأمير، ويخرج من طاعته، وهو لم يجني من الأمير لا القليل ولا الكثير من المنافع، وحتى يقاوم النفوذ الديني للأمير، ويقنع الناس بصدق مسعاه، أراد أن يستعين بنجم هذا الولي الصاعد، والذي ارتفع نجمه في السماء. هذه المرة استقر الناس على الاسم، ولم يختلفوا هو مُحَمَّد بن عبد الله، قرر مولاي الشيخ أن يتراجع، ويقدم القادم الجديد طالب القرآن في الزاوية، وهكذا كان الأمر، مجاميع من قبائل بني عامر وضرارة وجدوا وشاهدوا بأعينهم،أن هذا الولي القادم هو أفضل وأحسن مما سبقه، وهكذا أفل نجم الأمير عبد القادر بينهم.

الكولونيل تامبور Tempoure القائد الأعلى للقوات بوهران، جاءه الخبر من قبل الأغا مصطفى بن اسماعيل، وعرف أن بين مولاي شيخ علي و مُحَمَّد بن عبد الله الآن علاقة وثيقة. قررت السلطة الفرنسية أن تتابع الأمر عن كثب، وتم التوافق على لقاء مُحَمَّد بن عبد الله، من أجل التشاور والتفاهم إن أمكن، وتم تحديد موعد يوم 23 ديسمبر 1841 ميلادية قرب منطقة يسر، لم يأتي مُحَمَّد

بن عبد الله وحده، بل حضر و معه 200 من الفرسان، وأبلغ من وجدهم في انتظاره، أنه ترك عددا أكبر من هذا في منطقة سماها هي سبع شورك. الكولونيل ابلوي ébloui انبهر بقوة الرجل، وسمته وكيف استطاع هذا الرجل، أن يوظف شخصية المسلم بهذه الطريقة الأخاذة، ولعله قد أخذ بعض الصفات من مصطفى بن اسماعيل الحاضر للاجتماع، وأراد أن يتجاوزه، وأن يجعل نفسه في المقام الأول، مُحَمَّد بن عبد الله بكل تأكيد ند وخصم للأمير، ويستطيع أن يملأ الفراغ، لقد تم التوافق معه على انشاء تعاون بينه وبين فرنسا، وأن طرفاه الدفاع والهجوم، أي كل طرف ينصر الآخر وفق المقتضيات، وأن فرنسا تقترح عليه لقب سلطان، يستطيع مُحَمَّد بن عبد الله أن يعود لوهران، ويمنح فرسانه راحة. ما دخل وهران حتى استغل الأمير الفرصة وهاجمه، ما كان من مُحَمَّد بن عبد الله، إلا أن يلوذ و يحتمي بالقوات الفرنسية.

الجنرال بوغود Bugeaud الحاكم العام للجزائر وصل تلمسان، بعدما وصلته التقارير المستفيضة حول ظهور مُحَمَّد بن عبد الله على الساحة السياسية، طلب لقاء مُحَمَّد بن عبد الله، ليكلفه بمهام وعرفت القيادة الفرنسية، أن القوة الحقيقية، التي يمتلكها مُحَمَّد بن عبد الله، بالكاد تتجاوز 60 من الفرسان، إلا أن تعلق الناس به كبير، لهذه الأسباب قررت القيادة، أن تنصبه و تمنحه صفة خليفة لمدينة تلمسان.

الجنرال بادو Bedeauالقائد العسكري لتلمسان، وجد أن الخليفة الجديد غير نافع، بل ومزعج وغير مكترث بأعماله، فطلب منه أن يبقى في بيته، ويعيش بمرتبه، ويتمتع بحياة الخليفة الجديد، إلا أن إجابات مُحَمَّد بن عبد الله على أسئلة الجنرال، تأتي دائما غامضة فلسفية مبهمة، وغير واضحة، ولما عجز الجنرال بادو عن اصلاحه، اقترح عليه الذهاب إلى مكة[1]،وأداء فريضة الحج، لما تردد أعاد الجنرال الاقتراح، أدرك مُحَمَّد بن عبد أن هذا هو أمر ولا بد من تنفيذه. ترك تلمسان والغم يملأ صدره، وأخذ طريقه ناحية مكة، ما وصل مكة حتى لقي سي مُحَمَّد بن علي السنوسي[2]، وتم بينهما تواصل وأخذ ورد.

---

[1]*Archives du Gouvernement général de l'Algérie.*

[2]مُحَمَّد بن علي السنوسي مقدم زاوية له أثر كبير على الأتباع وخاصة أتباع مولاي الطيب استقل وأسس زاوية خاصة به يعتبر من الأولياء الكبار ويعد في الطبقات العليا وهناك من يضعه في

ما قامت الثورة الفرنسية سنة 1848 ميلادية، حتى رافقتها ثورات متنوعة في الجزائر: سي السنوسي[1] واكب الأحداث، وكان يعتقد أن مُحَّد بن عبد الله مؤهل لكي يقود الثورة ضد فرنسا وراهن على قبائل الصحراء، هو مخلص وموافق للترك وافقهم الرأي أن فرنسا يجب أن تقذف في البحر، وحتى ينجح في مشروعه جاء للجزائر سنة 1848 ميلادية، وحتى يتعجل أمره مُحَّد بن عبد الله أخذ بوصايا الشيخ السنوسي. سنة 1849 ميلادية مُحَّد بن عبد الله، ركب سفينة تقله لمدينة طرابلس الليبية، برفقة عزت باشا حاكم طرابلس، ما وصلها حتى ذهب ناحية غدامس[2]، ثم ترك ليبيا واتجه ناحية تقرت. لم يجد ما كان ينتظر، وجد سوء الاستقبال، ثم قرر الذهاب إلى مدينة ورقلة، كانت يومها فوضى عارمة، أراد مُحَّد بن عبد الله أن يستفيد من الوضع، وينصب نفسه حاكما على المدينة، أراد كذلك أن يستفيد من سيدة هي لالا الزهرة، لها شرف ومكانة في المدينة، أوصاها الشيخ السنوي مقدما، أن تحسن ضيافة الزائر الجديد لمدينة ورقلة، هذه السيدة الشريفة هي من ولد الله بن خالد، وهي زعيمة مسموعة الرأي في قومها المخادمة.

لم يحتاج مُحَّد بن عبد الله زمنا، حتى يفرض قوته المعنوية، ويشد انتباه أهل ورقلة لأفعاله وحكمته شهر ماي 1850 ميلادية الملازم كاريس، يبلغ السلطات الفرنسية العليا، عن تحركات هذا الولي الجديد نواحي ورقلة، كاريس جاءه الخبر اليقين من رجل يسمى عدون بن سعيد، هو أمين بني ميزاب في البليدة، عدون ذهب في رحلة إلى بني يزقن، وسمع من الأهالي أحاديث عن رجل يعلن الحرب المقدسة ضد فرنسا، وحتى يصدق عدون ذهب إلى ورقلة، ورأى الرجل المقصود، وكيف أن عرب الصحراء يجتمعون حوله. لما كان مُحَّد بن عبد الله يحشد جنده، بن بابية سلطان ورقلة

الطبقة الرابعة في الفئة المحمدية بنى زاويته في طرابلس الشيخ السنوسي توفي سنة 1859 ميلادية. المؤلف

[1]سي السنوسي المجاهد العالم الورع ناهض الفكر المنحرف للصوفية الضالة دخل الجزائر قبل الاحتلال وجاء مدينة الأغواط ووضع خيمته في المكان المسمى الآن برج السنوسي راجع حياته الجهادية ونصرته للدولة العثمانية تاريخ بني لغواط.

[2]نذكر غدامس الليبية مدينة هجر إليها بني لغواط قديما في حوادث قصبة بن فتوح وسكنوها وهم باقين فيها للآن.

يموت، رجال القصر وبتأثير من لالا الزهرة ورجال من ولد الله بن خالد، طالبوه أن يكون سلطانا عليهم قبل أن يوافق، ويكون هو سلطان ورقلة، بقي زمنا مصليا متبتلا داعيا، بعد انقضاء صلاته أعلن قبوله، وقال أنه قبل ذلك ليسعد من وضع فيه هذه الثقة الغالية، اجتمع القوم وأعلنوا أن مُحَمَّد بن عبد الله هو سلطان ورقلة.

ما تم الاعلان عن الحاكم الجديد حتى قام تمرد ضده، قاده الشيخ أبو حفص شيخ نقوسه، إلا أنه لم يثبت وفر ناحية تيارت، هذا واقع شهر أوت 1850 ميلادية، سلطان ورقلة الجديد أراد أن يعاقب أولاد مولات، هؤلاء لم يحسنوا استقباله، لما حل بديارهم وهو قادم ناحية ورقلة، قام بغزوة جعلت أولاد مولات يهربون ويتيهون في الأرض. سلطان ورقلة الجديد شعر بطعم النصر، أراد أن يعاود الكرة ويؤدب سكان تقرت، الذي فعلوا الفعل نفسه معه، وهو يعرف أن النصر جاءه من فرسانه الأوفياء فرسان شعانبة متليلي، دخل تقرت وهو يعرف أن سليمان بن جلاب، هو قريب وعدو للشيخ حاكم المدينة.

يوم 2 أكتوبر سلطان ورقلة، يدخل تماسين دون مقاومة، وجاءه الفارون المقيمون قرب واد رير ليعلنوا الطاعة، يوم 5 أكتوبر يحدث ما لم يكن بالحسبان، قام بن جلاب بهجوم سريع وخاطف ولأن سلطان ورقلة ارتدى برنس أخضر خص به نفسه، دون غيره، عرفه أعداؤه فأصابوه، ونجا بأعجوبة، ويرجع الفضل في انقاذه لفرسان الشعانبة، فدوه بأجسامهم ليخلصوه من أعدائه، ومن موت محقق. ترك في أرض المعركة 50 من فرسانه، ولم يخسر بن جلاب إلا 6 من فرسانه، يوم 8 أكتوبر بن جلاب أعاد الكرة، هاجم مُحَمَّد بن عبد الله في تماسين، إلا أن الأهالي الحذرين كمنوا في البساتين وألحقوا ببن جلاب خسائر معتبرة، وسقط بعض فرسانه قتلى، هزيمة بن جلاب كانت السبب في فوضى لدى أنصاره، تدافعوا ثم رجعوا إلى تقرت، بعد هذا المد والجزر قرر السلطان، أن يعود لمدينة ورقلة.

أيام قليلة بعد هذه الأحداث، ناصر بن شهرة يصل الرويسات، هو و قبائل الأرباع الثائرين ويلتقي مُحَمَّد بن عبد الله، هي قوة جديدة تظهر وتتشكل وتعطي قوة عظيمة، ولعل الأعظم الذي سيتفيد منه السلطان، قوة وذكاء وقيادة ناصر بن شهرة، هنا شعر شريف ورقلة، أن حلم المعركة المقدسة هو يتحقق أمامه، قبل أن يصل ناصر بن شهرة الرويسات، كتب كتابا لمحمد بن عبد الله هذا نصه:

« إلى الأخ سيدي مُحَمَّد الشريف السلام عليكم من اخوانك من هم يشكلون جماعة الأرباع ونخص بالذكر الأغا بن ناصر سعد بن مبارك ... لقد جاءتنا جماعة سيدي مُحَمَّد بن عبد الله ومعها جماعة المخادمة وجماعة الشعانبة نحن معكم بقلوبنا ونشد المواثيق ونبلغكم أن لا أمل لنا في حكم فرنسا ما نريده هو توثيق علاقتنا بربنا إنك واحد منا ونحن منك ونحن نقبل وصاياك علينا والسلام[1] »

سي الشريف بالحرش تحصل على هذه الرسالة، وأرسلها إلى القيادة الفرنسية بالمدية، هذا وقع يوم 10 نوفمبر 1851 ميلادية، يوم 26 نوفمبر علمت القيادة الفرنسية، أن سعيد عتبة قد انحازوا للسلطان الجديد، وأن أولاد يعقوب قبائل تسكن جبل العمور، ذهبوا ناحية ميزاب لنفس الغرض أي تأييد سلطان ورقلة الجديد، إلا أنهم لما وصلوا بريان غيروا رأيهم، وعادوا أدراجهم ناحية جبل العمور.

أيام قليلة بعد 11 ديسمبر، وصل شريف ورقلة إلى مكان يسمى عقلة مدقين، هو مكان غير بعيد عن الأغواط، وسلب أولاد سعد بن سالم أغلب قطعانهم، لما سمع أولاد نايل الخبر حملوا السلاح وطالبوا بالثأر، هنا تدخل سي الشريف بالحرش وجعل من نفسه مفاوضا، يفاوض باسم أولاد نايل أمام القيادة الفرنسية، وحمل خليفة الأغواط أحمد بن سالم المسؤولية ونعته بالمهمل، من أجل ذلك أرادت فرنسا، أن تقوم بخطوات من أجل تلبية هذه المطالب الشرعية لسي الشريف. يوم 2 جانفي 1852 ميلادية قومية أولاد نايل والأرباع وبني لغواط وجبل العمور، طلب منهم الذهاب ناحية عقلة مدقين، وأنهم تحت القيادة لمباشرة لسي الشريف بالحرش، وفوضته القيادة الفرنسية القيام بالعمليات العسكرية.

حضر سي الشريف بالحرش، ومعه 500 من فرسان أولاد نايل، وحط رحاله في المكان المتفق عليه وعلم أن خليفة الأغواط، ينتظره في بريان مع مجموعة من فرسان حبل العمور، سي الشريف أخذ طريقه ناحية بريان، لما وصلها لم يجد إلا 150 فارس، يقودهم الشيخ علي، ومعه بوزيان وبوجرة من

[1] هذه الوثيقة التاريخية الحمد لله هي الآن محفوظة في أرشيف الحاكم العام تنهي الجدل المفتعل حول تاريخ الأغواط هي موقعة ومشهود عليها من كبار الأرباع والمدينة أتمنى أن تستخرج وتوضع في كل زاوية في المدينة لتخرس أحفاد فرنسا الذين تملكوا المدينة وأساءوا لشرفها وعزتها وعند الله تجتمع الخصوم.

كبراء الأرباع، وعرف أن هؤلاء يثق فيهم خليفة الأغواط أحمد بن سالم. الدين بن يحيى أخ جلول حضر ومعه 150 فارس من جبل العمور، لاحظ سي الشريف أن هذه القوات تحتاج الزاد، وأنها غير آمنة في بريان، وأن الأهالي في بريان أظهروا غضبهم وسخطهم، من أجل ذلك قرر سي الشريف الانسحاب والذهاب إلى بني يزقن، وجد في هذا القصر الترحيب، أخذ حاجته من المؤمن، وتزود مما يحتاج من الطعام والغذاء.

سلطان ورقلة مُحَّد بن عبد الله هو الآن في متليلي، في السر كان ينسق مع بوزيان وبوجرة ووعداه أن فرسان الأرباع، الذين هم الآن مع الشريف بالحرش، يغدروا به في الوقت المناسب. مُحَّد بن عبد الله أخذ طريقه ناحية ميزاب، وصل بقوة تعداد فرسانها خمسمائة، التقى الجمعان في مكان يسمى لقراب، هذا وقع يوم 17 جانفي 1852 ميلادية. بدأت المعركة على الساعة الثالثة زوالا، سي الشريف بالحرش اقتحم المعركة، وقد أحاط به قومية أولاد نايل وتقع المفاجأة، خرجت الأرباع وقسم من أولاد يعقوب، وانضموا لمحمد بن عبد الله. لا مناص قرر سي الشريف بالحرش، أن ينسحب وقومه، بعد الهروب والنجاة، حط رحاله عند ضفة من ضفاف واد الجدي، جنوب جبل بوكحيل.

تملك الغضب سي الشريف بالحرش بعد أن شاهد الخيانة، تأتيه من الأرباع ومن والاهم من فرسان جبل العمور، وقرر أن يبلغ القائد العسكري الفرنسي الأعلى في دائرة بوغار، وأرسل هذه الرسالة: « إن كنتم الفرنسيون الذين أعرفهم أهل الحمية والشجاعة » ومما جاء في الرسالة كذلك: « أنتم هم من سينتقم لي من هذه الخيانة الشنعاء، انتقموا ممن خاننا» القيادة الفرنسية لن تخذله أبدا، لذلك وعلى عجل تحرك النقيب بانPein القائد الأعلى لمدينة بوسعادة ولحق به، وعسكر قريبا منه في مكانه الذي هرب إليه، عند ضفة من ضفاف واد جدي.

الحوادث المتعاقبة أثبتت للقيادة العسكرية، المكلفة بمتابعة البدو المنتشرين جنوب المدية، أن الحاكم الذي يسكن القصر، لا قوة له في التحكم في البدو المنتشرين المتنقلين، وأن مصالحه عير مصالح هؤلاء البدو، الخليفة القابع في القصر لا يمتلك سياسة تعطيه القدرة على تتبع الحوادث، وبالتالي هو يفتقد القدرة على المناورة، ومن لم يصدق هذا ينظر سي الشريف بالحرش، هو في المواقف الحازمة واقف وقوف الجبال، ثابت لا تغيره الأحداث ولا تهزمه. منذ اليوم الذي حالف فيه فرنسا هو الرجل الشجاع الذكي المقدام، والأهم أنه المتمرس على القتال والنزال، لما نقارن بين الرجلين سي

الشريف بالحرش، وأحمد بن سالم، ندرك كم هي الفوارق متباينة وشاسعة بينهما. سي الشريف بالحرش يرسم لنا معالم ما هو قادم، يستشرف لنا المستقبل نحن القيادة الفرنسية، يجب أن نتحرك ونبدع لكي نشكل حاجز بشري قوي، مكون من أهالي وأشتات بشر، هو فعال يحمي بقواه البشرية الذاتية، الحدود الفاصلة بين التل و الصحراء.

يوم 7 فيفري الجنرال راندون Randon،أعطى أمرا للجنرال لادميرال Ladmirault ليشكل فوجا قتاليا في بوغار، تم استدعاء قومية التتري وقومية التل، مجموع رتل القومية هو 1500 فارس، كل مجموعة تكون تحت قيادة الخليفة أو الأغا الذي تتبعه. هؤلاء كلهم يلتحقون بقومية أولاد نايل، كلهم مجتمعون هم تحت سلطة سي الشريف بالحرش، هذا الفوج القتالي تتبعه أربعة فرق اضافية هي كالآتي:

1. كتيبة تابعة للمجموعة الأولى لقوات السبايسية التابعة للفوج السادس الملحق بقيادة المطارة الإفريقية التابع للقوات المسلحة للأهالي.
2. كتيبتان تابعتان للفوج 12.
3. كتيبة مدفعية الجبال.

التنظيم السياسي الجديد، الذي سيخضع له الجنوب، جاء كأوامر من قبل الجنرال راندون لقائد الفوج، وجاء الإملاء هكذا: سي الشريف بالحرش تحت قيادته كل أولاد نايل المنتشرين جنوب المدية، أما أحمد بن سالم العاجز عن أداء مهامه، والذي لم يستطع أن يملأ الفراغ، ولم يقتدر على القيام بالمهام المناط بها، يأتي هنا للمدية ويستقر بها، ويكفيه أن يدير هنا. أعماله في المدية وهي كثيرة، قد يفلح في التجارة والمال، أين أخفق في السياسة والأعمال، ولأننا نعترف بالخدمات التي قدمها، سنمنح أحد أبنائه رتبة أغا ونخصص له مرتبا يعيش به، ويستطيع أن يدير الابن الأغواط والقصور الملحقة بها[1].

---

[1]لم يمنح رتبة أغا لأن والده أسدى خدمات لفرنسا بل لأنه من عائلة حكم تضمن الاستقرار أحمد بن سالم رحمه الله رجل حكيم له ما له وعليه ما عليه بميزان الملوك والرجال تبقى السياسة هي فن الممكن والحرب كما قال عليه الصلاة والسلام خدعة.

الحاكم العام لم يكتفي بإبعاد أحمد بن سالم، بل أكد على أمر هو غاية في الأهمية والخطورة، يتعلق بقبائل الأرباع، مما جاء في المأمورية: «قبائل الأرباع مصدر قلق لنا، يجب إعادة تنظيمها مع مقتضيات مصالحنا، هذه القبائل قبائل الأرباع أحدثت ثورات واضطرابات، هي جد مزعجة. دخلت في صراعات مع أولاد نايل، من أجل ذلك هي من اليوم تحت تصرف سي الشريف بالحرش، أقول يجب أن تعزل قبائل الأرباع، ويجب أن تخضع للسلطة الفرنسية، ولن نمنحها الحق أن تتولى نفسها وأن تفوض من يحكمها. انهم يريدون أن يفوضوا منهم من يحكمهم، لن يكون لهم هذا أبدا بعد يومنا هذا، كلما انزعجوا وغضبوا نحن لهم بالمرصاد، انزعاجهم وغضبهم في النهاية يخدم مشروعنا السياسي».

حتى يصل مدينة الأغواط الجنرال لادميرال، سلك نفس الطريق التي سلكها قبله الجنرال ماري مونج سنة 1844 ميلادية. يوم 22 فيفري لادميرال ترك طاقين، يوم 4 مارس عسكر قرب أسوار مدينة الأغواط، بعدما أعطى تعليماته لأحمد بن سالم وطالب بحضوره للمعسكر. ما جاءه حتى أبقاه في المعسكر وتلطف معه في الحديث، بعد ذلك الجنرال أخذ طريقه ناحية قصر الحيران، هذا القصر هو باق لغاية هذه اللحظة بأيدي الثوار من قبائل الأرباع، دخله دون مقاومة وحوله لمخزن للمؤن والحاجات، هذه المؤمن جعل على حراستها مفرزة من قوات السبايسية. يوم 13 مارس الجنرال أعاد أدراجه ناحية الأغواط، ما وصل المدينة حتى عرف أن قافلة مؤن قادمة من بوغار، وأن الفوج الثاني للمشاة الإفريقية الخفيفة هو قادم من شرشال، وحتى تأتي القافلة الأغواط، مرت عن طريق ثنية الحد، ثم مرت بمنطقة طاقين، ثم مرت على تاجموت ووصلت الأغواط، وصلت آمنة ولم تسجل حوادث تذكر، الفوج الثاني عرف مسار مغاير، لما أخذ طريقه ناحية الأغواط، جاءته الأوامر أن يلغي مهمته، ويعود أدراجه ناحية التل، وهذا ما وقع.

أضحى الجنوب منطقة ملتهبة تعصف بها الثورات، وامتدت الثورات من جنوب وهران ووصلت جبل العمور. سي حمزة[1] أغا أولاد سيدي الشيخ، له نفوذ ديني قوي على أتباعه، وعلى القبائل التي

[1]سي حمزة أغا لبيض سيدي الشيخ لغرابة رجل قتال سفاك استباح دماء المسلمين من أكابر المجرمين والسفاحين الذين عرفهم تاريخ الاسلام هو ووالده وأبناؤه فتحوا الصحراء لفرنسا خاضوا كل الحروب ضد المسلمين سي حمزة اعتمد نظرية الابادة اقرأ تاريخه الدموي وحياته هو وأبناؤه مفصلة في تاريخ بني لقواط.

يحوزها، علم بالتقدم الذي أحرزه سلطان ورقلة مُحَمَّد بن عبد الله، وحتى يزيح هذا الخطر الوجودي الذي يتهدد فرنسا، اجتمعت حوله قبائله قبائل لبيض سيدي الشيخ، وأعلنوا النصرة لفرنسا، وأنهم ذاهبون ناحية الجنوب، لدحر سلطان ورقلة ومن هم معه.ل وقف انتفاضة الصحراء العارمة المتأججة القائد ديليني Déligny، جمع في تيارت كتيبة مشاة مشكلة من المجموعة الثانية لقوات السبايسية والقومية، واتجه ناحية جيري فيل Géryville[1]، وطلب من سي حمزة أن يأتيه، وحتى يكمل الوظيفة التي جاء من أجلها ديليني، وحتى يكون في موقع عمليات حربية، سي حمزة عسكر عند واد زرقون على مسافة قريبة، جنوب شرق لا لمية. سي حمزة نزل واد زرقون، واستقر به المقام، نصب معسكره قرب أولاد سيدي الشيخ، سي حمزة أرسل ثلاث خيول للقائد ديليني، ليعلن وبشكل رسمي الطاعة والولاء للحكم الفرنسي، إلى غاية هذه اللحظة سي حمزة هو بعيد عن القائد دليني.

الجنرال لادميرال ومن مدينة الأغواط، حذر سي حمزة من التردد، وطلب منه أن يلحق بالسلطة الفرنسية، وعلى عجل الجنرال ترك مدينة الأغواط، واتجه ناحية تاجرونة، أين عسكر هو وجنده وضع خيمه قرب منابع واد زرقون. ما سمع سي حمزة خبر قدوم لادميرال، حتى انتقل وهو يظهر القلق والبؤس وعدم الرضى، ناحية زقار وتوقف عند جدران بريزينة، بقيت ضفة واد زرقون هي مجال حركته بين ذهاب وإياب في الأثناء، كانت القافلة العسكرية القادمة من المدية تتحرك، هي الآن في أعالي مياه واد زرقون. يوم 2 أوت نقع حوادث تغير مسار العملية، القائد دليني ولحركات غير متوقعة من الثوار، يغير مساره ويصل ناحية ستيتن، لمراقبة قصر بريزينة ورسول[2]. هذه القصور تمون أولاد سيدي الشيخ الغرابة، وكذلك لغواط كسال، النتيجة من هذا التحرك العسكري الثنائي قافلة المدية والمفارز القادمة من تيارت، سي حمزة فقد القدرة على الحركة، وجه له القائد دليني الأمر بالقدوم. يوم 5 أفريل منتصف اليوم، سي حمزة يلقى دليني، تم اللقاء عند أسوار

---

[1] *Géryville* هي مدينة البيض الآن.

[2] برزينة رسول هي مدن واقعة الآن بولاية البيض.

رسول، واعتبر أن حضوره هنا جاء بالقدر[1]، الذي لا مهرب منه ولا ملجأ. زمن قليل بعد اللقاء سي حمزة يعلن الطاعة والخضوع، وحتى يؤكد هذه الطاعة الكاملة، ما جاء المساء حتى ضربت قبائله خيمها، وجعلتها على شكل دوار قرب المعسكر الفرنسي، ثم تحركت قبائله بعد اعلان الطاعة شمالا، لتلتحق وتعود لمضاربها المعتادة.

يوم 7 أفريل القائد دليني، أخذ طريقه ناحية التل، هذه المرة برفقته سي حمزة، هو يمشي وقوات القومية تحيط به، والعلم الفرنسي مرفوعا عاليا خفاقا في السماء، هو مرفوع في وسطهم، ندم سي حمزة عما أظهره من تردد، وأعلن الندم واعتذر للقيادة الفرنسية عن تردده، وحتى يظهر صدق نواياه وأمام الجميع، أخرج ثلاث رسائل هي بحوزته أرسلها مُحَمَّد بن عبد الله يدعوا للحرب المقدسة ضد فرنسا، هذه الرسائل هي كالآتي:

1. رسالة إلى سيدي الشيخ بن الطيب رأس المهاجرين في الصحراء في رأس العين بني متار وهران.
2. رسالة إلى سيدي مُحَمَّد المكي شخصية كبيرة عند بني سناسن والمغاربة الموجودون عند الحدود.
3. رسالة إلى سيدي مُحَمَّد بن ملوك المقدم لسي مُحَمَّد بن سنسن ممثل الطلبة أي القراء منطقة الشرق[2].

رسائل كتبها مُحَمَّد بن عبد الله بلغة دينية قوية حماسية، تحرك عواطف الأهالي والعوام، وهي تؤجج الكره ضد فرنسا وأثرها وقوتها، لم يؤثر في القريبين المتواجدين في جبل العمور، وجنوب المدية فقط

[1] مناورة بين سي حمزة والقيادة الفرنسية سببها الصراع داخل بيت حمزة زاوية لبيض سيدي الشيخ والتنافس على خدمة فرنسا حتى أن سي النعيمي أخ حمزة حاول اغتيال سي حمزة أمام العساكر الفرنسية أراد سي حمزة أن يقنع قبائل لبيض سيدي الشيخ أنه هرب من فرنسا وفرنسا هي التي لحقته نظرية المكتوب عند العامة سي حمزة كان يجمع بين القدرات العسكرية الفائقة وكذلك الدجل وكان يقوم بأفعال الخوارق المعتادة عند الصوفية.

[2] *Archives du Gouvernement général de l'Algérie*.

هو خطاب مؤثر، يؤثر حتما في الشعوب المنتشرة جنوب وغرب الجزائر، لأهمية الوضع وشدة خطورته، الجنرال بليسي Pélissier[1] استبدل سي حمزة بأخيه سي النعيمي، واستدعاه لوهران ليخضعه لتدريبات خاصة تؤهله، لكي يقوم بالوظائف العظيمة التي تنتظره.

الشخصية القوية والحيوية ونفاذ البصيرة، والقدرة على القراءة الصحيحة، مكنت القائد دليني من ابطال تمرد أولاد سيدي الشيخ، ومنعت من انتفاضة درع قوي وحامي للصحراء. الفضل كل الفضل لهذا الرجل، القائد الديني المسموع له، قوة وسمت عند أتباعه، هم ليسوا أتباع لقائد هو سي حمزة، هم خدام وعبيد له، بإشارة منه يجتمعون، تحت رايته ويموتون من أجله. الجنرال لادميرال اطمئن قلبه، وهو يرى ويسمع هذه الأفراح المتواترة، جيوش من العرب هي الآن معه، قبائل تخدمه هي تحت امرته، لما تواترت هذه الأخبار، ترك تاجرونة، وذهب ناحية قصر الحيران، ليعيد نظام القبائل الواقعة جنوب المدية، وحتى تكتمل سعادة الجنرال، ها هو رجل آخر من رجال فرنسا الأوفياء سي الشريف بالحرش، تعلن القيادة الفرنسية رسميا، أنه خليفة أولاد نايل جنوب المدية وتم تعيين كذلك الابن الأكبر لأحمد بن سالم، وهو بن ناصر رتبة أغا، تخضع لسلطته: الأغواط وقصورها: العسافية، تاجموت، الحويطة، عين ماضي، وكذلك قبائل المخاليف الزرق، هؤلاء يشرفون على قطعان عائلة بن سالم، يبقى الاستثناء وهو أن قصر عين ماضي، لا يخرج عن سلطة أغا الأغواط، ومع ذلك له خصوصية أن الخليفة التجاني هو من يشرف عليه. عائلة بن سالم ترفع صوتها وتعلن العصيان، يحيى بن معمر أخ الخليفة أحمد بن سالم، هو وعائلته يعلنون الحرب والتمرد على فرنسا جهارا ونهارا، نعم بعد توقيف أحمد ن سالم عن مهامه، بقيت عائلة بن سالم عدوا لدودا لفرنسا وبعدما افتضح أمرها، وانكشفت نواياها السيئة ضد فرنسا، و عقوبة لهذه العائلة المارقة المسماة عائلة بن سالم[2]، تم توقيف مرتب الأغا بن ناصر بن سالم، والمقدر بقيمة 1200 فرنك، وحتى يكتمل

---

[1] Pélissier يسمي نفسه ويسميه الأهالي إبليس رجل دموي هو وسي حمزة سيكون لهم الدور الأول في إبادة سكان الأغواط بليسي يخطط وسي حمزة ينفذ.

[2] عائلة بن سالم عائلة حكم وجاه الدعاية التي قادها الحركة خدام فرنسا بعد الاستقلال في الأغواط تقول أن عائلة بن سالم هي من أدخل فرنسا للأغواط يبرئون المتهم ويتهمون الضحية ألم تقم فرنسا بهد قصبة بن سالم انتقاما ألا لعنة الله على الكاذبين.

الفصل، بقية باقية من الأرباع عند ضواحي تاجرونة جمعهم الجنرال لادميرال، هؤلاء أعلنوا تمردهم وعصيانهم والخروج عن طاعة أغا الأغواط.

الجنرال لادميرال حل قرب قصر الحيران، هو مقفر قليل من البساتين تحوطه، طلب بإلحاقه مباشرة للسلطة الفرنسية، وتنطبق عليه القواعد العامة للحكم العسكري .السبب أن جل ساكنيه رحلوا ناحية الجنوب، والتحقوا بالثائر ناصر بن شهرة، هذا الإجراء سيمكن القيادة العسكرية الفرنسية من الضغط على المتبقين، وجعل العصاة الذين هم الآن في الجنوب، يعودون ويطلبون الأمان، بعدما يقروا بهزيمتهم. رغم شدة هذه الإجراءات، لا الثوار عادوا ولا المتبقين طالبوا الأمان، يوم 25 أفريل الحاكم العام يأمر الجنرال لادميرال، بترك قصر الحيران، قبل أن يترك المكان، لم يجد الجنرال لادميرال أمامه إلا جدران القصر فهدها وأسقطها أرضا، وعاد الجنرال أدراجه، لكن هذه المرة أخذ طريق التل.

أحمد بن سالم وهو في بوغار يمرض مرض الموت[1]، زمن ويموت، قررت عائلته أن يدفن في مدينة الأغواط فحمل إليها، حضر الجنازة الخليفة التجاني، وطلب من أبناء أحمد بن سالم التريث والتعامل مع فرنسا مؤقتا، للحد من الأخطار القادمة، ونصحهم ألا يفعلوا ما فعل أحمد بن سالم، لما واجه فرنسا وأعلن لها العداء وآثر عدم الخضوع لسلطتها، للأسف لا أحد سمع نصائحه، وسرعان ما نسيها بني لغواط، ولم يعرفوا أن الخطب العظيمة قادمة زاحفة نحوهم.

[1]أحمد بن سالم رحمه مدفون بمقبرة سيدي يانس قبره وبعض عائلته رفع عليه بناء يشبه الضريح موجود كما هو لغاية الآن من أجل حماية القبر من القبائل التي ستغزو الأغواط.

اعتقال جاسوس بريطاني في مدينة الأغواط ـ هزيمة سلطان ورقلة في متليلي 22 ماي 1852 ميلادية ـ تمرد يحيى بن معمر ـ الجنرال يوسف في الأغواط ـ الشيخ علي وبن حميدة ـ سلطان ورقلة يغزو جبل العمور ـ تمرد وثورة بني لغواط دخول مُحَمَّد بن عبد الله الأغواط.

المبحث الثاني

لما كان الجنرال لادميرال يقف عند أسوار الأغواط، عرف بوجود رجل غريب دخل المدينة اسمه عبد الله بن ابراهيم، أصله من مكة تربى وترعرع في مدينة تافيلالت المغربية، يظهر نفسه كالمتوسل، يلبس اللباس الرثة القديمة، ويعيش على صدقات المحسنين. بعد خروج القافلة العسكرية من الأغواط، تغير أمره لبس اللباس الجديد الغالي، وملأ يداه بالذهب.

لما علم خبره الاغا بن الناصر بن سالم، أخبر الجنرال يوسف، ما تأكد من الخبر حتى أبلغ قيادة الكتائب، الجنرال من المدية أرسل الشيخ علي و ستة من قوات السبايسية، وتم إلقاء القبض على هذا الغريب، تم القبض علية نهارا جهارا، وهو يتسوق في سوق المدينة، وتم حمله لمقر القيادة بالمدية. هو شاب سنه 26 سنة كثير الأسفار، له محصول علمي لا بأس به، لم يفصح عن الذهب الذي يحوزه، ومن أين يأتيه، ولماذا هو سخي على غير العادة، يوزع المال دون حرص ولا ترتيب. عبد الله بن ابراهيم أرسل رسالة للجنرال يوسف: « عبد الله المكي إلى السيد الجنرال يوسف السلام عليكم، هذه الرسالة من عندي، أنا عبد الله المكي الذي حُمل لك من مدينة الأغواط ! أنا من أشراف بني شيبة من مكة، عادتنا نحن الأسفار والرحلة والتعرف على البلدان. إن لي رفيق تركته في الأغواط، هو عنده رسائل، الأولى أرسلها لي عبد المجيد من القسطنطينية، والثانية أرسلها لي الشريف مُحَمَّد بن عون سلطان مكة، ورسالة ثالثة أرسلت لي من النمساويين. أنا لم أستطع حمل هذه الرسائل معي، لأنني لم أكن أحملها لحظة اعتقالي، أنا هنا غريب لقد وضعتني في السجن، أرجو أن تطلب بنقلي ناحية العاصمة هناك سأجد رجال يعرفونني، ويعرفون عائلتي وأصولي، ويكفي أن موطني الذي ولدت فيه هو مكة، وأهل مكة يعرفونني أنا وعائلتي الأشراف، الذين يسكنون العاصمة هم بالضرورة يعرفونني لأنني شريف مثلهم، لما تعلم السلطات في العاصمة مقامي وشرفي هذا حسن ! إذا وقع والسلطات الفرنسية لم تقر بشرفي ونسبي، سأخاطب القنصلية البريطانية في جدة، هم

يستطيعون التعرف على عائلتي في مكة، ويعرفون نسبي وشرفي، هذا ما أردت أن أبلغه لكم أما احتجازي فأراه غير نافع ولا مجدي!1268 هجرية.

تم الابقاء عليه في سجن المدية، وتم التعرف على وظيفته، هو جاسوس تابع للمخابرات البريطانية. جاء للصحراء ليعيق حركة فرنسا تجاه المغرب أراد أن يحدث اضطرابات في الجنوب تم نقله من سجن المدية ثم إلى العاصمة وتم ترحيله إلى مكة.

شريف ورقلة مُحَمَّد بن عبد الله هو الآن أكثر قوة ونفوذا، حوله بن ناصر بن شهرة، ومن معه من قبائل الارباع و الحرازلية وأولاد سيدي عطا الله مع الشريف، كذلك أولاد عتبة و المخادمة[1] من ورقلة و شعانبة متليلي، وكذلك سعيد أولاد عمار من تماسين، ورجال من ميزاب وبعض خيم لغواط كسال، وأضف لهم مجاميع ممن كان يمتهن اللصوصية وقطع الطرق، كلهم يحلمون بيوم الغزوة وجلب الغنائم.

شيخ تقرت عبد الرحمن بن جلاب توفييوم 25 جانفي 1852 ميلادية، ابن عمه سليمان بن علي بن جلاب استحوذ على السلطة، وأعلن الطاعة والخضوع لفرنسا، ومع ذلك أبقى على روابط قوية مع مُحَمَّد بن عبد الله. هذا الحدث وانتقال السلطة في تقرت، فتح الأسواق أمام شريف ورقلة، ليدخل أسواق تقرت هذا فتح مبين، قبل ذلك كان سلطان ورقلة ممنوع من دخول هذه الأسواق، هذا تسبب في نقص للبضائع، وصول الحاكم الجديد لمدينة تقرت، جعل قبائل الأرباع تأخذ حاجتها كاملة من الحبوب والتمور بشكل واسع، وأضحى بإمكان مُحَمَّد بن عبد الله ارسال الحبوب والتمور، بواسطة مجموعات تابعة له إلى القرارة، ليفك عسرتها.

أمام هذه التطورات والتحركات المقلقة لمحمد بن عبد الله، جاء الرد من القيادة الفرنسية، بدأ قائد الكتيبة في مدينة بسكرة كولينوCollineau في الحركة والمناورة، مع 54 من قوات المطاردة الإفريقية، 32 من قوات السبايسية، 80 من قوات زمالة شيخ العرب، ومجموعة من القومية، من ناحية أخرى النقيب بان Pein القائد الأعلى لمدينة بوسعادة، تحرك في مناورة مع قوات سي الشريف. الغرض من هذا التحرك والمناورة، هو منع مُحَمَّد بن عبد الله من

[1] المخادمة تركوا مُحَمَّد بن عبد الله بسبب خصام وقع بينهم وبين الناصر بن شهرة وسبب الخلاف امرأة أراد ناصر بن شهرة أن يتزوجها وتطور الخلاف إلى خصومة. المؤلف

الانسحاب، يوم 22 ماي صباحا القائد كولينو Collineau حشد 700 من فرسان القومية كانوا يعملون عمل الترصد والاستكشاف، وجعلهم قوة مضافة، كل هذه التحركات وبقي الوضع على حاله. دون انذار مسبق وفي وضح النهار، الشوافون[1] رصدوا حركة وجلبة كبيرة في متليلي، وبالضبط عند ضفاف واد جدي، شاهدوا 2500 بين فارس ومترجل، هنا علمت القيادة الفرنسية، أن شريف ورقلة حل هو وجنده، ووضعوا خيامهم وتهيؤوا للغداء. أمام هذه القوة المعتبرة، التي رصدها الشوافون، بداية ترددت قوة القومية، ثم اندفعت قوات المطاردة الإفريقية، وتحمست أكثر قوة السبايسية وفرسان زمالة شيخ العرب، أعلن القائد كولينو بداية الهجوم المباغت بنفخ البوق. كانت حربا خاطفة وحقيقية، واستطاع أحد رجال قوات المطاردة الإفريقية، أن يصل للشريف ويقاتله، ودخل معه في نزال التحمت فيه الأجساد تلقى الشريف ثلاث ضربات من سيف خصمه، استطاع أن ينجو وتفرق جنده، بعدما ترك مُحَّمد بن عبد الله في ساحة المعركة 150 قتيل.

القوة الفرنسية خسرت 11 من قوات المطاردة الإفريقية، و 6 جرحى من نفس القوة، عدد من قوات القومية أصيبوا، عدد من جند مُحَّمد بن عبد الله ماتوا عطشا، أثناء انسحابهم وهروبهم، ومع ذلك استطاع الشريف أن يصل واد إتل. كولونيل بوسعادة أراد أن يقطع عليه الطريق، ويمنعه من الانسحاب، لما كان قائد الكتائب لمدينة باتنة الكولونيل دوسوفو Desvaux يقوم بمناورة هجومية، اكتشف أن مُحَّمد بن عبد الله قد وصل القرارة، لأول مرة شعر الفرنسيون بالفرح العظيم، وهم يشاهدون خصمهم اللدود هاربا فزعا، هذا النصر سيعزز وجودنا ويكسب حلفاؤنا الثقة.

قبل أن يصل إلى مدينة بوسعادة، النقيب بان Pein قرر أن يعاقب أولاد الساسي ثوار من أولاد نايل، يوم 15 جويلية فاجأهم عند واد قمرة، إلا أن النصر لم يأتي سريعا كما توقعته القيادة العسكرية، ومع ذلك حققناه، ويعود الفضل للفرسان والقوات المقاتلة للأهالي التابعة

[1] الشوافون نظام جاسوسية منظم دخل كل بيت وخيمة وأشهره بعد النظام الخاص بالقيادة الفرنسية نجد نظام الشوافين عند سي حمزة استطاع أن يحسم المعارك قبل وقوعها وكان يجند العجائز والدجالين وغيرهم كثر.

لقسنطينة، والشكر كل الشكر للملازم كوستا Costa،هو رجل ثابت قوي له مهارات وكفاءات قتالية من النادر أن تجد مثلها عند هؤلاء القادة، كوستا جسدها وحققها وهو يقاتل أولاد الساسي.

بني ميزاب ما زالوا يرسلون المقاتلين لشريف ورقلة، وما زالوا يبعثون المؤن والحاجات التي يريدها مُحَمَّد بن عبد الله، والأكثر من ذلك أنهم يبعثوا له ما يحتاج من الذخائر، ويشجعون قبائل الصحراء على القتال تحت رايته. بطلب من الجنرال يوسف، الجنرال راندون منع تجار التل أن يبيعوا الحبوب لبني ميزاب، وأصدر أوامرا صارمة بمنع الأرباع من شراء الحبوب، إلا وفق التزامات ومقتضيات شديدة، يعبر عنها بتصريح رسمي، ولا يسمح لقبائل الأرباع بالتحرك عبر الطرق، إلا بعد استصدار إذن خاص من مكتب العرب، يمضيه ويوقعه كبار الضباط التابعين للقيادة العسكرية، كل قافلة لا تحمل التصريح تصادر مباشرة.

معركة متليلي تركت سلطان ورقلة يعيد ترتيب قواته، واحتاج شهر جوان و جويلية لكي يعيد تجميع الفرسان والمشاة، قواته من المخادمة ومتليلي، ولأنها تلقت إصابات كبيرة، آثرت الرجوع لمدينة ورقلة والتحصن بها. بدأ بعض المترددين يشككون في الشريف، ويقولون لوكان شريفا كما يدعي لانتصر على أعدائه، هنا أراد مُحَمَّد بن عبد الله، أن يعيد الثقة لأنصاره فكلمهم عن سيرة النبي مُحَمَّد[1]،وأنه كما عرف الانتصار يوم بدر، عرف الهزيمة يوم أحد وقرأ عليهم من القرآن :«إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (140) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (141) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (142) وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (143)» آل عمران

الشريف عرف أنه يحتاج لعمل سريع، يعيد الثقة ويدفع جنده ليخوضوا المعارك القادمة، لما علم بني لغواط أن القافلة العسكرية تركت المدينة، ظهرت موجة احتجاج ضد عائلة بن سالم، هذا الاحتجاج وقع في غياب الـآغا بن ناصر، سبب غيابه عن المدينة، أنه كان يدفع الضرائب

[1] *Camille Roussot, ut sup., t. II, p. 30.1*

للسلطة الفرنسية في المدية. عائلة أحمد بن سالم وسكان المدينة تجمعوا حول يحيى بن معمر أخ أحمد بن سالم، أعلن يحيى بن معمر بصفته من كبراء عائلة بن سالم، الحرب المقدسة على فرنسا وطلب من مُحَّد بن عبد الله، أن يأتي الأغواط ويدخلها، وأن أبوابها مفتوحة له. ما سمع سلطان ورقلة الخبر، وأن يحيى بن عمر كبير عائلة بن سالم هو وأهل المدينة، يدعونه للمدينة ليعلن منها الحرب المقدسة، هي فرصة ثمينة تمكنه من الوصول للتل، وتخرجه من الصحراء صعبة الحياة والتضاريس. هناك مشكلة عانى منها سلطان ورقلة، فاقت كل مشاكله، وهي عدم قدرته على تحصيل الحبوب، جيشه والمناطق التي حل بها تعرف المجاعات، القليل الذي كان يحصله من عند بني ميزاب هو قليل بالكاد يذكر، في ظل هذه الأحداث يقع ما هو غير متوقع، يمرض مُحَّد بن عبد الله مرضا حقيقيا، يقعده طريح الفراشفي ورقلة، خلفه في القيادة ناصر بن شهرة، ترك الشريف يصارع المرض، وأخذ طريقه ناحية الأغواط. وصل قصر الحيران وجده محطما، طالب برفع جدرانه وأسواره، بن ناصر حصن القصر وأراده قلعة حماية، سي النعيمي أخ سي حمزة خرج عن طاعة فرنسا، وأعلن العصيان وأخذ طريقه هو وأولاد سيدي الشيخ الغرابة، ووصل ورقلة، أين مُحَّد بن عبد الله يصارع المرض.

الجنرال يوسف كان يراقب التطورات عن كثب، ورأى أن الخطب جلل من أجل ذلك راسل الحاكم في العاصمة، ليعلمه عن ضرورة تكوين قوة عسكرية قاهرة تمسك هذه الشعوب الثائرة في الصحراء، وأن لا استقرار ولا أمان في الصحراء، إلا بإخضاع مدينة الأغواط. لما كان الجنرال يكتب الرسالة للحاكم العام، حسم الجنرال يوسف في نفسه اقتحام المدينة، ومن هذا اليوم أضحى الجنرال يوسف هو مهندس الاقتحام، يوم 5 سبتمبر قضي الأمر الذي فيه تستفتيان، الجنرال راندون Randon ثمن الفكرة، فكرة الجنرال يوسف، واعتبر أن اقتحام الأغواط هو الحل الوحيد، لإخضاع شعوب الصحراء.

مما جاء في رسالة الجنرال يوسف نقرأ: « الأغواط باب ومن جهل ذلك فهور لا يرى ولا يسمع » ونقرأ في الرسالة: « إن الفوضى العارمة التي تجتاح المناطق، عائلة بن سالم عاجزة عن إيقافها لن ننتصر إلا لما نحول المدينة إلى قطاع عسكري، يحكمه ضابط فرنسي، بهذا فقط ستكون الأغواط نقطة متقدمة في الجنوب، منها نكتسح الأراضي، ونخضع المناطق الجنوبية في الجزائر منها ننطلق، ومنها نصل إلى الآفاق التي نطمح إليها دون عناء، ولا نصب. لما نمتلك الأغواط

نمتلك جبل العمور، نخضع قبائل أولاد نايل، ما يأتي بعد التل سيكون ملك لنا، نحن من نملكه ونديره، لما نسقط المدينة سيجوع الجنوب، لن يجدوا الحبوب، ستتوقف قوافل التل المحملة بالغذاء والطعام، وعوض القوافل سنكون نحن من يدير التجارة، سنفقرهم ونغتني نحن يوما، سترى كيف ترتفع المؤشرات والأسهم الفرنسية في الصحراء، نحن وغيرنا يعرف أن الصحراء هي الجنة والأغواط بابها.»

اقتحام المدينة في مثل هذه الظروف صعب وغير متيسر، وحتى تقره القيادة العليا، يحتاج بحث وتحضير ودراسة، إلا أن الأحداث بدأت تخرج عن السيطرة، وكان لا بد من التحرك العاجل. مجاميع من أولاد نايل وفرق كاملة من القبيلة المنتشرة حوالي بوسعادة، تعلن العصيان والثورة، وظهور ثائر منهم يسمى التلي بن لكحل[1] أخذ قومه واتجه ناحية قصر الحيران ليلتحق بالثوار وقائدهم ناصر بن شهرة، غير بعيد عن قصر الحيران، ومع غياب بن ناصر بن سالم المدينة كل المدينة في ثورة عارمة، حاول الشيخ علي أن يعيد إخضاع المدينة للسلطة الفرنسية، إلا أنه هو وأنصاره هزموا.

ما فك حيرة الجنرال يوسف، وهو يرى تسارع الأحداث، إلا الملازم العبودي، هو من الأهالي من ضباط المجموعة الأولى لقوات السبايسية، طلب منه الجنرال، أن يذهب ناحية الأغواط ويعين الشيخ علي في مهمته، ذهب مع 42 من فرسان السبايسية، إلا أنه علم أن هناك من ينتظره ليرده، ومع ذلك أعاد وأرسل له الجنرال يوسف أمرا، بإلقاء القبض على يحيى بن معمر وأسره، واحضاره مقيدا إلى المدية مقر القيادة العسكرية. ما علم يحيى بن معمر الخبر، حتى ترك المدينة يوم 24 سبتمبر، وذهب ناحية قصر الحيران، من غد عائلته وخدمه التحقوا به، لم يستطع العبودي والشيخ علي من القيام بأي فعل في قصر الحيران. ارتفعت الأصوات تطالب بحضور الشريف مُحمَّد بن عبد الله، المطالبة جاءت في وقتها، الشريف استعاد عافيته وصحته ترك ورقلة وانتقل إلى قصر الحيران، وصلها وجد في استقباله بن ناصر بن شهرة.

---

[1]التلي بالكحل من فرسان أولاد نايل الأحرار أراد أن يسقط خيانة سي الشريف بالحرش تاريخه وسيرته الجهادية هو وقومه تحتاج لكتابة وقراءة جهاده ومقاومته منتشرة بين الكتب والوثائق تحتاج لمن يجمعها ويقدمها.

الجنرال يوسف حل بمدينة الجلفة، ليوفر الحماية للعمال، الذين هم منهمكون في بناء بيت القيادة لسي الشريف بالحرش، حاول الملازم العبودي أثناء رجوعه القيام بمناورة عسكرية خاطفة تستهدف مُحَمَّد بن عبد الله، تحرك في قوة تعدادها 850 من المشاة، وما يتبعها من فرسان أشرف الكولونيل لينير Liniers على حركته، لكن ما تقدم العبودي من الشريف مُحَمَّد بن عبد الله، حتى تراجع هذا الأخير ناحية القرارة ليحتمي بها.

لتفاقم الأحداث القافلة العسكرية تعاود الرجوع، وتدخل مدينة الأغواط، علم الجنرال يوسف علم اليقين، أن خيانة يحيى بن معمر أمر دبر بليل، وأنه ليس حادثا عابرا، وأنه هيأ نفسه منذ زمن بعيد، وأن الأخبار المتواترة، تقول أنه حمل ثروته وأخذها ناحية بريان عند حلفائه بني ميزاب، وأن الأسلحة والذخائر التي تركها ماري مونج أثناء بعثته، يحيى بن معمر سلمها لمحمد بن عبد الله. هكذا تكشفت خيوط اللعبة التي لعبتها عائلة بن سالم، من الخطورة الكبيرة أن يترك الأغا بن سالم بن ناصر في وظيفته حرا غير مقيد، وكما فعلنا مع والده نفعل معه، يأتي إلى المدية، ويترك السياسة ويشرف على أموال والده أحمد بن سالم، التي تركها وهي كثيرة. هناك بديل ومن العائلة نفسها، هو شيخ علي ابن أحمد بن سالم، رجل حيوي وقوي، إلا أنه يخضع لنفوذ عمه يحيى بن معمر من أجل ذلك، الجنرال يوسف يرى أن تركه دون رقابة أمر في منتهى الخطورة، وعبر عن هذه الخطورة بقوله: « لا أتخيل أنني أجد أفضل منه » حتى يرفع الغموض عن هذه العبارة يكتب في تقريره يوم 10 أكتوبر 1852 ميلادية: «أعلمك سيدي الحاكم العام، وأضعك في الصورة، وعما يحدث في مدينة الأغواط، وحتى نبقي على هيمنتنا في هذه المنطقة البالغة الأهمية، وهي غير بعيدة عن مسرح عملياتنا العسكرية. أقترح منح لقب قايد لنرفعه وبالتالي ننصحه، ومن ثمة نحرسه، إنه رجل ذكي ألمعي، له قيم اكتسبها من عائلته لن أسلمه المدينة وحيدا، سأقسمها نصفين الجانب السياسي يمسكه الشيخ علي، أما من نثق فيه وأفعاله وتفانيه لنا يثبت ذلك، هو ضابط من الأهالي من الفوج الأول السبايسية السيد بن حميدة، خبرناه وجربناه في عمليات معقدة قام بها، وحقق النتائج الباهرة، هو يخدمنا بشرف وأنفة قل نظيرها، هو من يمسك القسم الثاني من المدينة، وأنت تعرف ما أعنيه.»

السيد بن حميدة يقود 25 من قوات السبايسية، ومليشيا من الأهالي تعدادها 200 عنصر القبائل المتحالفة تمنحه 350 فارس هؤلاء وظيفتهم، تعطيل كل مناورة يقوم بها مُحَمَّد بن عبد

الله وحتى يتم التكفل بقوات مُحَّد بن حميدة مجتمعة، وحتى لا تكلف خزينة الدولة نفقات الجنرال يوسف صادر ممتلكات يحيى بن معمر ومن معه.

« أنا أؤكد» الجنرال يوسف يقول، ويضيف قائلا: « لقد أعددنا لجنة تفتيش، تتحرى وتتبع ثروة يحيى بن معمر ومن هم معه، وكيف وصلت هذه الأموال لمعسكر مُحَّد بن عبد الله. لقد اجتمعت لجنة التفتيش في الأغواط، وأحصت من الأموال بين نقد وحبوب ما قيمته 6038 فرنك من ناحية أخرى، الخليفة التجاني علم أن يبحث عن ممتلكات يحيى بن معمر. أبلغني على عجل أن لديه أمانات صاحبها يحيى بن معمر، هي أموال ومجوهرات وذهب أرسلها يحيى بن معمر، لما وصل السيد الجنرال لادميرال اسوار الأغواط الخريف الماضي، لقد أرسلت ضابطا من الأهالي، لكي يحوز هذا المال. قامت لجنة التفتيش بعدها وتقييمها، أنها تقدر بمبلغ 8535 فرنك، في سياق الحديث أريد أن أعلمك عن الجهود الحثيثة، التي يقوم بها الخليفة التجاني، إن له الأثر العظيم على الشعوب المنتشرة في الجنوب، هذا الولاء منحه هالة من القداسة، لقد منحني وبإرادته الخالصة مخزن من المال، يفترض أنه أمانة عند الخليفة. يجب أن يكون خضوع الخليفة التجاني تاما كاملا، ونحن سنكون بالضرورة أوفياء له أعلمك أن من قام بهذه المهمة، وجلب هذا المال الوفير، هو السيد بن حميدة، وحتى نفرحه دفعنا من الأموال المجلوبة، شهرا مقدما لمئتين من عسكره و خمسة وعشرين من الخيالة، هم الآن تحت أوامر السلطة في مدينة الأغواط.»

عاد الأمن إلى مدينة الأغواط، هي فرصة لكي يذهب الجنرال يوسف إلى مدينة الجلفة، قبل أن يصلها مر بمسعد و دمد، يوم 17 أكتوبر سمع أن سي النعيمي في قوة قوامها 200 فارس هو يهدد تاجرونة، يوم 19 أكتوبر تتواتر الأخبار، أن مُحَّد بن عبد الله، يريد أن يخضع قبائل جبل العمور.

لأن أثار هزيمة متليلي باقية، ومحو هذه الأثار تحتاج حركة سريعة من قبل الشريف، وحتى لا يقلق أهل الصحراء، وحتى لا يخسر موقعة أخرى، الشريف مُحَّد بن عبد الله، تفادى الدخول معنا في معركة. الشريف ترك مدينة القرارة في قوة قوامها 1200 فارس وأخذ طريقه ناحية الشمال، تجنب المرور بقصر تاجرونة، واستغل ليلة 16 و 17 أكتوبر، ولج جبل العمور من خلال ممر في واد الملاح، جلول أبلغه فرسانه عن تحركات مُحَّد بن عبد الله، إلا أنه لم يتحرك،

واصل مساره وفجأة فاجأ العجالات، وقتل منهم 15 من رجالهم، بعض من قتلهم الشريف من أصحاب الخيم الكبيرة، وسلبهم بعض قطعانهم. واصل الشريف مناورته، فاجأ الماخنة من جبل عمور، قائدهم يحيى بن زيدان، أعلن الطاعة والولاء لمحمد بن عبد الله. واصل طريقه في قلب بلاد جبل العمور، ثم استدار ناحية بوعلام والقناطر، وخرج عن طريق تامنديرت على ضفاف واد الناصر، ثم قام بغزوات ضد فرق لغواط كسال، هؤلاء هربوا في غير نظام ناحية الشمال. الكل فر وهرب الاستثناء جاء من أولاد بورزق، يضعون خيمهم شرق جنوب ستيتن، هؤلاء أظهروا مقاومة. يوم 17 الشريف يقيم في تامنديرت، يوم 18 أكتوبر توقف في منطقة الفرش، وجد الماء ولم يجد عليه حراسة، وصل به المطاف غير بعيد عن الرسول، قبائل لغواط كسال خافت على مخزونات الحبوب المودعة في قصر بريزينة والرسول، فأعلنوا الطاعة والولاء لمحمد بن عبد الله، ما شذ عن هؤلاء إلا أولاد بورزق، أعلنوا الحرب والعصيان على الشريف.

الجنرال يوسف تصله تحركات مُحَمَّد بن عبد الله، وحتى يوقف هذا الزحف، استدعى قومية أولاد نايل، وقرر أن يتولى هو القيادة ليوقف مناورة الشريف، ويبقي على البقية الباقية من الأرباع ويمنعها من التمرد والذهاب نحو الثوار.

تأتي أخبار سيئة من مدينة الأغواط، الملازم ولد بن حميدة منع الناس من حبه واحترامه، لأنه أحضر وفي رابعة النهار نساء من المدينة وأدخلهم عنده. هذه الحادثة الصادمة حركت النفوس وأثارت الغضب والسخط، وأغضبت بني لغواط، ولد بن حميدة تعرض لتهديدات، وتوعده بني لغواط أنهم سيأسرونه ويأخذونه مقيدا ليحكم في أمره مُحَمَّد بن عبد الله. لما علم الناس ما يقوم به سلطان ورقلة، وكيف هو غير عابئ بالقافلة العسكرية، ويتحرك بالقرب من أسوار الأغواط، زادت الثورة عند الناس، وأضحى إعلان العصيان قاب قوسين أو أدنى. يوم 29 أكتوبر تدخل مدينة الأغواط قوافل محملة بالحبوب قادمة من التل، هي مخزون البلد للشتاء القادم ولأن بن حميدة عالم بأحوال العرب، وحركة قوافلهم، أخبر القيادة العسكرية عن وقوع حدث غير معتاد، العادة أن الجمال الآتية من التل ضمن قوافل الحبوب، أول ما تنتهي مهمتها، ترسل مباشرة إلى المراعي. يخبر سي بن حميدة القيادة ويقول: هذه المرة بني لقواط تركوا الجمال في المدينة، ولم يخرجوها والفاهم يفهم. هذه الاشارة الذكية من هذا المخلص، جعلت فرنسا

تعرف أن بني لغواط سيرسلون الجمال إلى اخوانهم في جيش مُحَمَّد بن عبد الله، والتقارير المتواترة من قبل الشوافين، تقول أن الشريف حاجته كبيرة جدا للجمال. القيادة العسكرية الفرنسية تعتقد أن ما يقوم به مُحَمَّد بن عبد الله، هو مناورة لجلب الأنظار، وتخطي هزيمة متليلي. بن حميدة قال: لا ليست مناورة هي الحرب، ولما لم يقتنع صغار الضباط بمقالته، ذهب ليخبر ويقنع الجنرال يوسف، أن شريف ورقلة يعد للحرب، وأخبره خبر اليقين، أن بني لغواط يعدون السلاح ويعلنون بين أنفسهم النفير. سي بن حميدة أمر فرسانه من السبايسية أن يتركوا المدينة سرا، وأن يخرجوا من الباب الغربي كلهم خرجوا، إلا أربعة لم يصلهم التحذير بقوا في المدينة. بن حميدة خرج في هدوء تحت جنح الظلام، يوم 31 أكتوبر عند أسوار الأغواط، التقى مع رفقائه وهم قومية الأرباع وقائدهم مُحَمَّد بن الطيب، وكذلك بن يحيى بن عبو، كلهم بعد الزوال أخذوا طريقهم ناحية الجلفة[1].

---

[1]لأنه ترك موقعه دون أمر من قيادته، ودون أن يطلق طلقة واحدة من بندقيته، كان على الملازم بن حميدة أن يقدم إجابة وافية عن هذا السؤال أمام مرؤوسيه، وهو متهم بارتكاب الجرم بن حميدة أجاب، أنه فعل فعله هذا، لأنه اكتسب ثقة الجنرال يوسف، وهو لا يفعل إلا الفعل الصحيح في الوقت المناسب. الحاكم العام ليس بإمكانه أن يغفل الفعل، الذي وقع وهو يقدر الحيوية والثقة العالية، والتفاني في خدمة القيادة العسكرية، وأن هذا الرجل أثبت في كل المواقع اخلاصه و تفانيه. إلا أنه كان بإمكانه البقاء في قصبة بن سالم والتحصن بها، وانتظار قدوم قافلة الجلفة لتسعفه، يوم 13 ديسمبر 1852 ميلادية، تم تحويل بن حميدة للتحقيق أمام مجلس تحقيق، يتكون من الشخصيات الآتية:

الرئيس: القائد روس ***Rose*** من قادة القوات الأهلية ***tirailleurs*** الجزائر.

الأعضاء: النقيبكاستيكس***Castex*** من قادة القوات الأهلية ***tirailleurs*** الجزائر.

النقيب دوبراي***du Barail*** الفوج الأول السبايسية.

الكاتب: الملازم بورت ***Berthe*** الفوج المتحرك 60.

المجلس وصل للنتائج التالية:

أولا: « الذي دفع بني لغواط للثورة التعصب للدين وليست هي الأفعال والممارسات التي قام بها بن حميدة.»

لما علم الأحلاف وأولاد سيرقين هروب، بن حميدة ومن هم معه تدافعوا ناحية القصبة قصبة بن سالم، ليأخذوا البارود وما تحويه من مقتنيات هي في غاية الأهمية، إلا أن هذا التدافع على الغنائم كان السبب في حرب أهلية بين الحيين، سقط 12 قتيلا وحسم الأحلاف المعركة لصالحهم. بعد تجاوز فتنة تحصيل الغنائم من القصبة، اجتمع بني لغواط على رأي واحد، وأرسلوا ست من الخيول كعادة العرب إلى مُحَمَّد بن عبد الله، إعلانا للنصرة وأنهم سيخوضون معه الحرب المقدسة ضد فرنسا. أبناء أحمد بن سالم التواتي وشيخ علي رفضوا فعل بني لغواط، التواتي ترك المدينة وذهب ناحية عين ماضي، ليحتمي بالخليفة التجاني، ولحق به بعض الرافضين لبيعة مُحَمَّد بن عبد الله، شيخ علي بقي متربصا خائفا في المدينة ثم حزم أمره وذهب ليحتمي بالجنرال يوسف، هروبه احتاج منه ليلتان ليلة 4 و 5 من شهر نوفمبر.

الشريف مُحَمَّد بن عبد الله سلطان ورقلة، وحامي حمى الأتراك يدخل الأغواط ناصرا منتصرا رفعه الناس على الأعناق وهو يرفع يداه، ويدعو لأهل المدينة، وأهل المدينة يريدون ويطلبون أن يذكرهم في دعائه، هو شريف ودعوته مستجابة. طالب مُحَمَّد بن عبد الله من الناس أن يخوضوا الحرب المقدسة ضد فرنسا، وقال أنني لا أقاتل الفرنسيين ولن أبدأهم بقتال، فعلي هو أنني أدافع عن الدين والبلد، ووضع معسكره عند أسوار المدينة القوية، جاءه السكان كل السكان، وأقسموا أمامه أن يموتوا دون دينهم، ودونه وهم سعداء لما يموتوا تحت أنقاض مدينتهم شهداء، قالو له: الموت تحت أنقاض الأبنية والأسوار، تلك هي التجارة الرابحة، ليخفف من الوطء الجنرال يوسف، أرسل لجماعة الأغواط خطابا، أنهم إذا سلموا مُحَمَّد بن عبد الله يكون لهم العفو. لما وصل الرسل ليكلموا جماعة المدينة، أسمعوهم صوت البارود وأردوهم قتلى، وكتبوا هذه الرسالة الموجزة وأرسلوها للجنرال يوسف: « الأغواط الآن هي مسلمة تبتغي الشهادة وما عند الله خير و أبقى. »

ثانيا:« أبناء بن سالم حذروا السلطات مما قد يقع إلا أن الذي فاقم الوضع هي أن المجموعات داخل المدينة أسرعت للسلاح لكي تلوذ به وبعد خروج بن حميدة أغلقت الأبواب.»

لقد تم اطلاق سراح بن حميدة المرجع: أرشيف الحاكم العام الجزائر. المؤلف

الوضعية تجاوزت الخطوط الحمراء، الجنرال يوسف يرسل من معسكره القائد فور Faure، ليضع الحاكم العام في العاصمة، أمام الأحداث وليتلقى منه الأوامر.

المبحث الأول

الشعور بالخيبة وأنت ترى هذه التغيرات على مسافة قريبة من القافلة العسكرية، المتواجدة في الجلفة وهي واقفة وعاجزة عن مجاراة الأحداث في الأغواط، المسافة الفاصلة بين الثورة والتمرد والقافلة، هو ما يزيد عن 120 كيلومتر بقليل، الحاكم العام أصدر أمرا بتحرك القافلة من الجلفة والذهاب ناحية الأغواط، مع أخذ كل ما يمكن أن يعينها في مهمتها القادمة، والتحضير لموسم هو قادم يحتوي المحافظات الثلاث، الجزائر و قسنطينة و وهران ومعسكر وسعيدة مجتمعة، وحتى يرفع الغموض عن أمره هذا، طالب بتشكيل خمسة أرتال قتالية: الأولى من كتيبة الجزائر العاصمة مقرها الجلفة، تحت قيادة الجنرال يوسف، الثانية من كتيبة قسنطينة مقرها بوسعادة، تحت قيادة القائد النقيب بان Pein،الأرتال الثلاثة المتبقية تتكون من كتيبة وهران ومعسكر وسعيدة، كلها تحت قيادة الجنرال بليسي Pélissier.

قافلة الجلفة وهي فوج قتالي، يتشكل من وحدات قتالية من القوات المسلحة للأهالي، المعروفة باسم Tirailleurs التابعة للجزائر العاصمة، تحت قيادة القائد روس Rose،الوحدة القتالية الثالثة الأولى قوات الزواف، تحت قيادة القائد برواس Barrois،وحدة قتالية من الخط القتالي رقم 360 مع كتائب قتالية تعدادها 300 مقاتل الفوج الثاني للمشاة، الخفيفة الإفريقية الفوج الثاني والرابع من القطاع العسكري، التابع لقوات المطاردة الإفريقية، تحت قيادة الكولونيل ليشتلين Lichtlinفوجان قتاليان من قوات السبايسية، تحت قيادة دوبرايdu Barailو مارتين Martin،قائد فوج المدفعية مدفعية الجبال فراسك Francq،يضاف له 20 من الهندسة العسكرية، ويضاف له طاقم تجهيز، تنضاف لهذه القوة الرئيسية، كل قوة القومية التابعة لدائرة بوغار والمدية، هذه القوة مجتمعة هي 2200 محارب بالأسلحة البيضاء، 500 خيال نظامي، أكثر من 1200 من قوات القومية.

الكولونيل ليشتلين Lichtlin نظم جهاز استطلاع ومراقبة قوي وفعال، وحتى يقوم بوظيفته كاملة استعان بفوج من قوات المطاردة الإفريقية، وكتيبة من قوات الزواف، نشرت نقاط مراقبة وترصد

غطت محيط الأغواط في امتداده الجغرافي. هذه النقاط رصدت حركة الشريف مُحَّد بن عبد الله ناحية قصر الحيران، لما علم الجنرال يوسف الخبر، ترك قوة حراسة في الجلفة، واتجه ناحية الأغواط لما أراد أن يترك معسكر الجلفة، قسم القافلة العسكرية إلى قسمين، الأولى سماها الفوج المتحرك هذا الفوج شكله كله من قوات الأهالي المقاتلة، قوة عسكرية يشكلها الأهالي، حضروا من الجزائر العاصمة، هؤلاء يركبون الخيول والبغال والجمال. القسم الثاني من الفوج القتالي، يتكون من المشاة والهندسة العسكرية، والاسعاف وحملة المتاع، والمكلفون بالنقل، هؤلاء يستعينون بالبغال والجمال.

الفوجان غادرا الجلفة منفصلين، يوم 17 نوفمبر ليلا اجتمعا في وادي الصدر من غد، عاودا نفس الحركة السابقة، واجتمعا مجددا عند واد بن زيام. هنا تولى الجنرال يوسف قيادة الفوج المتحرك، بعد الضحى ترك الجنرال موضعه، واتجه ناحية قصر الحيران، كان أمل الجنرال يوسف، أن يجد مُحَّد بن عبد الله، ويجد معه الأهالي الثائرين، على الساعة الرابعة صباحا ما تحرك الفوج، حتى كانت المفاجأة مجاميع بشرية هاربة وخائفة، الجنرال يوسف عرف السبب، قوات السبايسية، التي تقدمت الفوج قامت بعملية غزو واسعة، استهدفت 13 دوار لأولاد نايل، وأخرى لقبائل الأرباع. مجموعة من القومية الأعداء التابعين للأهالي، يحضرون لكمين، إلا أن كتائب من قوات الأهالي المسلحة و قوة السبايسية، أحبطت الكمين وأفشلته هذا وقع يوم 19 نوفمبر. الفوج الثاني تحت قيادة لينير Liniersمن القوة 60 يوم 19 نوفمبر، ومع بزوغ الفجر، أخذ طريقه ناحية العسافية، هناك اتفاق على أن يتقاطع الفوجان، المسير نحو العسافية لم يكن سهلا هو صعب ومرهق، الفوج يحتاج الآن إلى 2 كلومتر حتى يصل العسافية في الأثناء الجنرال يوسف، ومع بداية الصباح حقق انتصارات باهرة، تمكن من قتل 200 من جند مُحَّد بن عبد الله، واستولى على 20000 من الماشية و 2000 من الجمال. لم يصدق الجنرال الحماس الذي عرفته قواته بعد هذا النصر الخاطف، وهم يشاهدون القتلى، ويجمعون الغنائم من شدة الفرح نسي المقاتلون العطش والجوع، وذهبوا فرحين مستبشرين سعداء إلى معسكرهم في العسافية، أين جعله الفوج المتحرك مكانا لتجميع القوات، هذا اليوم قطعت القوات مسافة أربعة وخمسين ونصف كيلومتر.

الجنرال يوسف خصص يوم 20 نوفمبر يوم راحة وتخزين للمؤن، وخاصة الغذاء، هكذا أضحى قصر العسافية هو المقر العام للقوات، الذي يُمكن من غد قوات الجنرال يوسف بالتحرك ناحية الأغواط بعد المناورة الخاطفة، وخسارة الشريف الرجال والمال، ها هو الآن يلوذ ويحتمي بأسوار المدينة ويجمع قواته، يوم 21 نوفمبر قرر الجنرال يوسف الحركة، بعد ساعتين من الحركة شاهد الجنرال وهو

يقترب من المدينة سحابة من البشر، ترفع الأصوات وتضج وتتوعد الجنرال ومن هم معه بالموت، هم يقفون على الضفة اليمنى لوادي مزي، ويشيرون لجند الجنرال يوسف أن يأتوهم. عرف الجنرال أنها قوات مُحَمَّد بن عبد الله، ما اقترب حتى شاهدهم الجنرال بشكل أوضح، هم رجال يقفون على الضفة اليمنى للوادي، يحتمون بجدران البساتين، يرفعون أياديهم وبنادقهم، وبضعهم يطلق البارود ليسمع القادمين، علم الجنرال أن هؤلاء لا أمل فيهم، وقرر أن يبدأهم بالقتال، قبل ذلك أخذ له موقعا يبعد عن المدينة بمسافة كيلومتر واحد، وأعطى الأوامر للقيام بمناورة لإخراج العرب، خارج جدر البساتين من أجل أن يغافلوا ومن ثمة يتم القضاء عليهم، قام الجنرال بتحويل فوج قتالي، خلف القوات المهاجمة من أجل الحراسة.

كتيبتان من قوات المطاردة الإفريقية، ردت هجوم قومية عدو، أرادوا وقف حركة قوات الأهالي المقاتلة، في هذه المواجهة أصيب النقيب ستايل Staël بجراح خطيرة، فقد حياته بعد يومين قوات الأهالي المقاتلة استبسلوا وقاتلوا بشراسة، الكتيبة السابعة تحت قيادة الملازم باتييPattierدخلت المعركة للمساندة، وتدخلت كذلك كتيبة القائد جيو كوبي Giacobbi،دخلت لتضغط وتساند. بعد معركة حامية الوطيس[1]تراجع العرب ناحية البساتين وغابات النخل للحماية، تيقن الجنرال أن مطاردتهم واللحاق بهم سيغير مجريات المعركة بالكلية، أثناء المعركة قطعة من خمسة موضوعة داخل قلعة عبد الله، أطلقت مقذوفات سقطت وسط الفوج القتالي، مقذوف قطع رجل مقاتل من قوات الأهالي، نهاية اليوم أحصى الجنرال مقتل 4 وجرح 14.

الجنرال يوسف تراجع ليخرج قواته عن مدى المدفعية، وأعاد حشد قواته عند القوات الحارسة للمعسكر، أين حطت القافلة العسكرية، وأين وُضعت أكياس المؤن، موقع المعسكر واقع يسار ضفة وادي مزي. أراد الجنرال أن يمنع وصول الماء إلى المدينة، بداية وضع حراسة على منابع الماء، وطلب من الحراس، أن يعتلوا قمم الجبال المحيطة بالمعسكر، شكل الجنرال كتيبة مساعدة تتشكل من 70 من قوات المشاة، وعناصر من قوات الهندسة المختصة في الحفر والثقب، كتيبة المساعدة زُودت بالمتفجرات ولوازمها و70 من سلالم التسلق، هذه القوة المساعدة وعناصر الهندسة، انتظرت الليل لتقوم بمهمتها، وهي تحطيم سدود قنوات الري، ومنعت المياه من التدفق ناحية المدينة.

22 نوفمبر اليوم التالي القافلة العسكرية بقضها وقضيضها تراجعت ناحية العسافية، لإسعاف الجرحى وتجاوز المعوقات التي عرفها الفوج القتالي يوم 23 نوفمبر، الجنرال يوسف عاد لمدينة الأغواط، هذه

[1]القوات المذكورة كلها من الأهالي باستثناء القادة أو الوظائف التخصصية الخاصة يطلع بها الضباط الفرنسيون.

المرة ليس للحرب، بل لبناء معرفة كاملة وتقييم الوضع على ضوء المستجدات، وما عرفته القوات من إخفاقات. ما اقترب من جدران البساتين الخارجية هو وقوته الاستطلاعية، حتى أتته رشقات بنادق وطلقات مدفعية، إلا أن قوة الحماية المرافقة للجنرال، وهي من قوات الأهالي المسلحة، قامت بمهمتها وواصلت مسارها دون عوائق تذكر، تقدم الفوج القتالي، وأخذ له موقعا يمين ضفة الوادي، وتم نشر قوات كافية عند سفح الجبل. خطة الجنرال هدفها إخراج بني لغواط من تحصيناتهم، للدفاع عن دورهم وبساتينهم الواقعة في أطراف المدينة، علم سكان الأغواط علم اليقين وذلك يوم 21 نوفمبر، لما شاهدوا القافلة العسكرية تقف أمام أسوارهم، أنها لن تتراجع وستذهب إلى الحدود القصوى، وأن الحرب واقعة لا محالة.

الجنرال يوسف متحمس، أراد أن يحسم المعركة بمفرده، ولا ينتظر قدوم الجنرال بليسي، تعجل أمره وأراد أن يهاجم المدينة بمفرده، إلا أنه قبل أن يصدر أمر الهجوم، جمع مجلس الحرب المشكل من القادة العاملين تحت إمرته. المجلس رفض بالإجماع فكرة الهجوم على المدينة، وقدموا ملاحظة للجنرال يوسف، وهي أن مجموع القوات بالكاد هو 1500 مقاتل، والفوج لا يمتلك مدفعية ميدان لفتح الأسوار والمسارات، وهذا يجعل القوات المهاجمة تتسلق الجدران، وهنا هي تحتاج السلالم هذه مقدمات تجعل اقتحام المدينة غير ممكن، ولو افترضنا فرضية النجاح، التكلفة تكون كبيرة ومعتبرة سنسجل إصابات كثيرة، والمصحات لا تستوعبهم، ونحن نعاني من قلة الدواء والمستلزمات العلاجية والهدف من الهجوم، ليس هو اقتحام المدينة هو هدف ثاني. الأول هو أسر مُحَمَّد بن عبد الله وقادته، وكبار المقاتلين معه، ونزع هيبتهم من النفوس، يضيف المجتمعون:« نحن لا نمتلك قوة فرسان كافية للمطاردة، تلاحق الهاربين والفارين، بل هذه القوات هي بالكاد تحرس المعسكر، وتدافع عنه إن القوات التي جمعها مُحَمَّد بن عبد الله، ليس من اليسير غلبها ومن ثمة أسرها. »

الجنرال بليسي غير بعيد عن الأغواط، هو الآن قرب لبيض سيدي الشيخ، أما القائد بان هو الآن بنواحي بوسعادة، هؤلاء وضعوا خطة بموجبها تتقاطع الأفواج القتالية في نقطة محددة، ويكون مركز التقاطع هو الجنرال يوسف. القوات مجتمعة لها قوة مدفعية كافية، تمكنها من هد وإسقاط الأسوار كل أسوار الأغواط، ولها قدرة كافية كذلك على حسم كل التحركات الجماعية هي تملك قوة إبادة خارقة[1].

الجنرال يوسف منع أي استعراض عسكري أو مواجهة مع العرب وانتظر قدوم الجنرال بليسي ومن الاحتياط أحضر كل ما تركه في العسافية من متاع ومؤن وذخائر، و تعجل القائد بان بالقدوم وأن

[1]الكاتب يتكلم لغة المنتصر هو هنا يشير لمعركة الفرسان معركة عظيمة وثقها فرمانتان أونجان في كتابه صيف في الصحراء الكتاب ترجمته وفيه سرد موثق لهذه المعركة.

يكون دعما لقواته، ومن أجل الإسراع، أرسل له أن يتبع أسلوب حركة القوافل، ويستعين على أمره بمراكب الجياد السريعة.
يوم 24 نوفمبر صباحا تم تغيير المعسكر، وتم الرجوع للأول الذي وضع يوم 21 نوفمبر، أي تم ترك ناحية اليمين المقابلة للمدينة، والرجوع لناحية اليسار من ضفة وادي مزي، هذا المعسكر يبعد عن منابع الماء للمدينة بمسافة 2 كيلومتر، ومع ذلك بقي الرشق بالبنادق مستمرا طول اليوم، وجزء كبير من الليل. أمام هذه التطورات، تم توزيع السلاح على نصف الفوج القتالي، واقتربنا من القمة الصغيرة الواقعة شرق المدينة على ضفة الوادي من اليسار، وفي موقع يواجه المدينة تماما، أحضرنا مدفعية اختصاص جبال، وقمنا برمي مجموعة كانت تجتمع داخل المدينة، المدافعون تدافعوا وانتشروا وذهبوا لإحضار أسلحتهم، ومن قلعة عبد الله أرسلت القطعة رقم 5 كرة حديدية، قتلت فرسا لأحد جنود السبايسية، يوم 26 قوات القومية المكلفة بالحراسة، رصدت التحركات حول المدينة، قالوا أن العرب خرجوا وهم يقومون بعمليات قنص، وذلك بشكل اعتيادي.
يوم 27 على الساعة 11 صباحا، القوات المتجهة إلى العسافية، التقت مع قوة عسكرية، هي قوة دعم قادمة من الجلفة، هذه القوة وصلت نواحي المدينة على الساعة الرابعة مساء. يوم 28 الجنرال يوسف بقي في العسافية، ما حل المساء حتى وصل القائد بان وقواته، هي مشكلة من ثلاث كتائب الكتيبة الثالثة للقوات الإفريقية، تعداد أفرادها 250 مقاتل، ومفرزة لقوات الأهالي المسلحة التابعة لقسنطينة تتشكل من 125 فارس نظامي. قطعت مسافة 207 كيلومتر في مدة ثلاثة أيام، قوات الجنرال يوسف وقوات القائد بان، اجتمعت ويوم 1 ديسمبر، أخذت طريقها ناحية الأغواط منتصف النهار القوات المساعدة وقوة الهندسة، وضعت سدود لمنع تدفق الماء ناحية الأغواط، هذا العمل له فائدة ثانية أنه يساعد القوات، أن تنتقل من الضفة اليسرى إلى الضفة اليمنى، حاول بني لغواط منع سد العيون للإبقاء على تدفق الماء ناحية الأغواط، إلا أن قوة من قوات الأهالي المسلحة، أفشلت عملهم وتمكنت القوة المساعدة وعناصر الهندسة، من القيام بأعمالها في أمن وأمان.
لما علم أن الجنرال يوسف توقف عند أسوار مدينة الأغواط، الجنرال راندون Randonتذكر معركة الزعاطشة[1]، وعلم أن الفوج القادم من وهران والفوج القادم من الجزائر، لا يستطيعان حسم المعركة شكل على عجل في التل فوج قتالي، ليجعله قوة احتياط أثناء الحاجة، وقرر الحضور لمدينة الأغواط قبل ذلك زار مقر القيادة بالمدية، ليتباحث مع القادة مسرح العمليات والأعمال المرتقبة، إلا أن بليسي رفض، أن ينافسه أحد شرف غزو، واقتحام مدينة الأغواط.

[1]معركة الزعاطشة أستشهد فيها عدد كبير من فرسان الأغواط حاربوا تحت قيادة المجاهد الشهيد سي موسى بن حسن.

القيادة العسكرية في وهران شكلت ثلاثة أفواج قتالية، وحددت لها ثلاث نقاط للتمركز هي: لبيض سيدي الشيخ، العريشة، سعيدة، من التشكيلات التي تم استدعاؤها: التشكيل الجديد الفوج الثاني لقوات الزواف، تم تشكيله بمرسوم صادر يوم 13 فيفري 1852، بطلب من الجنرال راندون يوم 4 نوفمبر الكولونيل كلير Cler قائد التشكيل الجديد، نيابة عن الكولونيل فينوي Vinoy الغائب، تلقى الأوامر بتشكيل فوجان قتاليان، كل فوج يضم 600 مقاتل، الفوج الثاني والفوج الثالث، كل واحد منهما يتشكل من 5 كتائب، كل كتيبة فيها 125 مقاتل، القائد الأعلى للفوج القائد موران Morand، يشاركه في القيادة دولافوس Delafosse، الكولونيل كلير هو من يحمل راية قوة التشكيل الثاني الزواف، ليكون هو المتقدم ويحرض التشكيل الجديد على النزال.

الفوج القتالي التابع للجنرال بليسي:

1. 2 فوجان من القوة الثانية زواف.
2. 1 كتيبة مدفعية ميدان (قطعة من ثمانية وقطعة مدفعية ميدان.)
3. كتيبة مدفعية ميدان.
4. فوجان من التشكيل الثاني قوة المطاردة الإفريقية.
5. 8 سلاح الهندسة العسكرية.
6. كتيبة من قوة الأهالي المسلحة التابعة لوهران.
7. مفرزة الاتصال والتحضير.

الفوج القتالي الجنرال بوسكران:

1. الفوج 50 متحرك.
2. كتيبة مدفعية جبال.
3. 400 مقاتل من الفوج الأول الإفريقي 3 كتائب 35 سلاح الهندسة العسكرية.
4. مفرزة الاتصال والتحضير.

يوم 19 نوفمبر الفوج القتالي التابع للجنرال بليسي، وضع معسكره قرب القصر القديم للبيض سيدي الشيخ من أجل بناء مقر قيادة، يوم 20 نوفمبر الفوج القتالي التابع للجنرال بوسكران، اجتمع أولا حتى يتم جمع الأفواج القتالية كلها، بقوة تعدادها 3000 رجل، يوم 21 إلى يوم 25 نوفمبر تلاحقت كل الأفواج من كثرتها وقوتها، غطت مساحة القصر القديم، وتجاوزته لمساحات خرجت عن مساحة قصر لبيض سيدي الشيخ القديم.

يوم 22 نوفمبر الجنرال بليسي علم، أن الجنرال يوسف ترك مدينة الجلفة، وهو يأخذ طريقه ناحية قصر الحيران، أين يتحصن الثوار هناك، إلا أن الشوافين نقلوا معلومة أخرى مؤكدة، وهي أن أغلب الأرباع و الحارزلية الثائرين، أنهم موجودون بنواحي الأغواط، وأنهم وضعوا خيمهم وقطعانهم سرا عند واد النسا، وأنهم يحضرون الماء من بريان والقرارة. هذه المعلومة غاية في الأهمية هي كشفت خطة مُحَمَّد بن عبد الله، فهم الجنرال يوسف من الشوافين، أن الثوار عسكروا عند واد النسا، حتى يكونوا في مركز حركة وذهاب، يمتلكون القدرة على التوجه إلى الأغواط كقوة دعم، أو ينسحبوا إلى مناطق آمنة، هي القرارة وبريان، والغاية من هذه الخطة حماية القطعان من الوقوع في يد المهاجمين. هذا الوضع لم يرد في خطة اقتحام المدينة، وعلم الجنرال يوسف أن هذا الوضع الجديد سينسف خطة القيادة الفرنسية نسفا، لما حل يوم 25 نوفمبر جاء بالحل السحري، الذي لم يتوقعه أحد، كلمح البصر جمع حوله قوة جديدة ضاربة في زمن قياسي، هذه القوة هي: قومية أولاد سيدي الشيخ الغرابة، لغواط كسال، الماخنة، الحميان الشراقة، وأضاف لهم قوة مشاة من القصور التابعة لهؤلاء مجموع هذا الجيش 700 فارس و 500 مشاة. ما أخفاه وكتمه الجنرال يوسف وتركه في نفسه سرا، ولم يخبر به أحد هو السلاح السري، هكذا أعلن وأخبر الجنرال يوسف عن سلاح سيغير معطيات المعركة، ويحسمها قبل وقوعها. هذا السلاح اسمه سي حمزة[1]،أول ما قام به الجنرال يوسف أنه حول سي حمزة قوة ضاربة تهاجم الأعداء، ضم هذه القوة الجديدة للقوة الرئيسية، وما تحركت القافلة حتى تحرك معها سي حمزة وجنده، وأخذ وضعية الهجوم، ترك تاجرونة وسار مع مسارات وادي زرقون.

يوم 25 نوفمبر قوات القومية تجتمع أمام مقر القيادة في لبيض سيدي الشيخ، من مكانهم هذا سمعوا النجاحات التي حققها الجنرال يوسف في قصر الحيران، وكيف أن جمع من الثوار فروا ناحية بريان مهمة سي حمزة أضحت عاجلة وحاسمة، ومع ذلك النجاحات التي حققها مُحَمَّد بن عبد الله والثوار

---

[1]بعد انشقاق سي النعيمي أخ حمزة والذي استولى على أموال تابعة لأخيه سي حمزة فاجأ الجنرال بليسي وأعلمه أنه مستعد لقتال مُحَمَّد بن عبد الله ومن هم معه وليفصح عن إيمانه العميق تجاه فرنسا قال لهم: حتى تثقوا في مسعاي وإخلاصي لكم سأترك في وهران عندكم زوجتي وأبنائي ذُهل الجنرال بليسي مما سمع ورأى من إيمان وإخلاص وقرر أن يتمهل قليلا ولا يندفع مع حماسة سي حمزة وكإجراء سريع الجنرال بليسي عينه على رأس أولاد سيدي الشيخ. المؤلف

غمرت الناس،وأشعرتهم بالارتياح.القيادة قررت أن يكون الخليفة القادم هو سي حمزة، وإكراما له منحته القيادة بوق يجمع ويفرق به جنده، وضابط يخضع لأوامر المارشال بن عتاب، يوم 26 نوفمبر الجنرال بليسي أحاط به رجال ثقات وأوفياء، ولكي يرتاح بعد هذا العناء أخذ له عطلة، الفوج القتالي المتواجد في العريشة،طلب منه أن يتحول ناحية الفكامي، حتى يكون قوة دعم عند الحاجة.

يوم 26 نوفمبر سي حمزة عسكر في منطقة تسمى دويدة، نفس اليوم الجنرال بليسي تأتيه أنباء أن محمد بن عبد الله هرب إلى مدينة الأغواط، جاءته الأوامر أن يتجه ناحية الأغواط، وأن يتولى قيادة الفوج وقيادة العمليات العسكرية. يوم 27 نوفمبر تحرك وترك لبيض سيدي الشيخ، وأبقى على المرضى فقط، وأبقى كذلك بعض من قوة المشاة، و 22 من كتيبة الهندسة العسكرية، وضعهم تحت قيادة ملازم من الهندسة العسكرية، مهمتهم، هي إكمال مقر القيادة في لبيض سيدي الشيخ يوم 27 بليسي عسكر عند ستيتن، قطع المسافة 25 كيلومتر، يوم 28 وصل بوعلام أخذ مسار واد مخازنه، قطع المسافة 40 كيلومتر. يوم 29 وصل منطقة خنق الملح، قطع المسافة 30 كيلومتر،وصل تاجرونة،قطع المسافة 36 كيلومتر. يوم 1 ديسمبر وصل الحويطة،قطع مسافة 36 كيلومتر،يوم 2 ديسمبر على الساعة الخامسة صباحا، الجنرال بليسي مع قيادة الأركان الخاصة، وفوج قتالي خفيف يتشكل من كل الفرسان التابعين لكتلة النخبة الحاملة لعلامة النسر، للفوج القتالي الثاني زواف، مع مفرزة للهندسة التابعة لقوة المدفعية اختصاص جبال. بقية الفوج يتبع قوة مدفعية الميدان،هذه تُركت تحت قيادة الجنرال بوسكران، هذه تأخرت،ما تحركت إلا على الساعة السادسة صباحا وأخذت طريقا مخالفا هو أطول، السبب أن الطريق هو أصلح لحركة عتاد وقوافل مدفعية الميدان.

الفوج القتالي الخفيف يوم 2 ديسمبر على مسافة تبعد عن مدينة الأغواط، بمسافة أربعة عشرة كيلومتر ونصف، توقف الفوج لينتظر قدوم قافلة ماء أرسلها الجنرال يوسف. ما وصلت حتى أخذ الجنرال حاجته كاملة من الماء،قافلة الماء أخذت طريقها جنوبا، عبر مسار ثنية الرمل، على الساعة الثالثة بعد الزوال على ناحية اليسار، وعلى مسافة تقل عن عشرة كيلومتر بقليل، شاهد الجنود ظلال خضراء وارفة محاطة بغابة نخل عظيمة في منخفض، هذه الخضرة قلاع داكنة اللون وصومعة مسجد عالية بيضاء ناصعة، كلهم أشاروا وقالوا: هذه هي مدينة الأغواط[1].

[1] *Souvenirs d'un officier du 2° de zouaves Paris, Lévy, 1859, 12° p. 27*

الجنرال بليسي وضع معسكره عند قدم رأس العيون على الضفة اليمنى لوادي مزي، على مسافة 2 كيلومتر من منابع الماء[1]،أراد بليسي أن يجعل معسكره، يقابل إقامة الجنرال يوسف. لما أراد الفوج أن يحط رحاله، انهالت رشقات بنادق، إلا أن هذه الرشقات، لم تحدث إصابات ما وضع معسكره الجنرال بليسي، أعطى أوامر الاستعداد والتهيؤ لقوة القومية القادمة من الجزائر، والمشكلة من الأهالي وهي: سريتان من الفوج الأول مطاردة إفريقية، والفوج الأول من قوات السبايسية، و 4 كتائب هي كالآتي: 2 من الفوج الأول زواف، واحدة من قوات الأهالي المسلحة لمنطقة الجزائر العاصمة، وكتيبة الحفر والثقب التابعة للخط 60 القتالي، يوم 3 ديسمبر هذه القوات كلها مجتمعة طلب منها التعرف على المكان.

---

[1] كل الكتب تتكلم عن منابع الماء وما أصل تسمية رأس العيون وهناك حكايات تحكى غير قابلة للتصديق منها أن فرنسا وضعت أعمدة الجسر على العيون هذا يحتاج لبحث علمي يقوم به أهل الاختصاص لتفسير هذا الخبر المتواتر والمجمع عليه والسؤال: أين هي منابع مدينة الأغواط ؟

استطلاع والتعرف على الساحة 3 ديسمبر 1852 ميلادية - خطة الهجوم - عمليات 3 و4 ديسمبر 1852 ميلادية - الهجوم ناحية الغرب - الجنرال بليسي الهجوم ناحية الشرق - الجنرال يوسف، احتلال مدينة الأغواط 4 ديسمبر 1852 ميلادية.

المبحث الثاني

يوم 3 ديسمبر صباحا، علم الجنرال يوسف أن قوة من القومية الأعداء، تحتل المنطقة الفاصلة بين الواحة والمعسكر، الجنرال أبلغ بليسي، وهذا الأخير كلف القومية التابعين له بالاستعداد، وعلى السريع شكل فوجا قتاليا منهم، وامتطى صهوة جواده، هذا الفوج القتالي يتشكل من القوات التالية: أربعة كتائب ومفرزة مدفعية اختصاص جبال، في الأثناء وهو يمتطي جواده مع قوة القومية، سمع رشق كبير بالبنادق، ثم علم أن الرشق واقع من ناحية الباب الغربي، وبالتحديد أسفل الجدران منه هنا علم بليسي، أن قوة القومية هي الآن في حالة اشتباك مع العدو. لما أراد بليسي أن يتقدم مسافة ناحية غابة النحل، لم يشاهد العرب وهم يختفون داخل البساتين، ومنهم من تقدم ووقف وراء الجدر، ومنهم من شرع في إطلاق رشقات، ضد بليسي وقوته المتقدمة. أمام هذا الوضع الجنرال طلب بوقف حركة الفوج، وطلب من قوة المدفعية قصف مواقع داخل البساتين، وأمر أن يكون عدد رميات المدفعية عشرين، ثم قام بعملية تراجع ثانية، ليمكن المدفعية من مكان مناسب، يعطيهم تغطية أكبر للمكان المراد استهدافه، بعد حركة من الجنرال استطاع الفوج، أن يصل سلسلة الجبال الصغيرة واقعة غرب المدينة. بعد أخذ هذا الموقع اتجه إلى مكان يسمى عنق الأسد، هو واقع بين القمة الثانية والثالثة، بداية من المدينة، هذه القمم كلها اعتلاها العرب، وهم واقفون عليها مدافعون يستترون بالصخور الكبيرة، من هؤلاء من ترك موقع الدفاع، وتحرك حركة هجومية ليمنع وصول فرق الاستطلاع. أمام هذا الوضع، طلب الجنرال بليسي من قوة الأهالي المسلحة التحرك، واحتلال هذه القمم، استطاعت قوة الأهالي المسلحة، أن تنتزع القمة الأولى، وظهر تدافع من الطرفين المدافعون وقوة الأهالي المسلحة، للفوز بالقمة الثانية.إلا أن هجوم مباغت قام به بني لغواط استهدف يمين القوة التابعة للأهالي المسلحين، هذا الهجوم المباغت أسفر عن سقوط قتلى وتمكن بني لغواط من تحرير القمة، ومناطق تابعة لها. أمام هذا الإخفاق تدخلت كتيبة الزواف وقائدها بزيار Bessières، لتتمكن من حيازة القمة من جديد واعتلتها، في الأثناء قامت كتيبتان بفتح الطريق ناحية القمة، التي يرتفع عليها ضريح سيدي الحاج عيسى، الرجال العرب المتحصنون خلف الصخور انسحبوا، وتبادل المهاجمون والمدافعون طلق النار، وقع المدافعون في كمين جعل انسحابهم في غاية الصعوبة، ومع ذلك نجحوا لما احتموا بالدفاعات والصخور، ووجدوا النجاة الكاملة في البساتين وغابات النخل.

الكتائب التي شرعت في الحركة توقفت وتراجعت، لأن بني لغواط قاموا بهجوم مضاد، الجنرال بليسي ولرد هذا الهجوم،طلب من الكتيبة الثانية زواف التدخل، وطلب من قوة المتفجرات التابعة للقوة 60 من منع العرب من التقدم، ووقف الهجوم، وطلبهم باستهداف قوة بني لغواط الكامنة يمين المنحدر وطردها، وإعادة السيطرة على المواقع التي افتقدتها قوة المهاجمة،التابعة للجنرال بليسي. رغم الرشق العنيف استطاعت وقف قوة الهجوم،و تمكنت معها القيادة العسكرية الفرنسية من حيازة منخفضات القمة، التي يرتفع عليها الضريح، عرف بليسي أن معلوماته حول المناطق ومسار العمليات غير كافية،طلب الجنرال من قواته ترك المواقع، التي تم الاستحواذ عليها استطاعت القوات أن تقوم بعملية انسحاب موفقة، وتركت كل المواقع.ما وقع الانسحاب حتى خفف بني لغواط من حدة هجومهم، وعادوا لمواقعهم المحصنة، هذا الانسحاب الذي قاده بليسي بنفسه، انتهى الساعة الحادية عشرة صباحا، ما خفف الحمل عن الجنرال بليسي،وأزال عنه الهواجس هو قدوم الفوج القتالي في نفس هذا التوقيت،وقائده بوسكرانBouscaren، ووصوله للتو مناطق مدينة الأغواط.

البحث عن المعلومات وتقصي الحقائق، كلف القيادة الفرنسية الكثير، قتل ضابط وثمانية من الضباط أصيبوا، وستون اصابات لدى الجنود، الوضع خطير من أجل ذلك الجنرال بليسي، يعقد اجتماعا طارئا على الساعة الثانية عشرة ونصف زوالا.اجتمع الجنرال، نقباء سلاح الهندسة، وكذلك المدفعية. محور الاجتماع هو وقف الهجوم على مدينة الأغواط بشكل نهائي، وأن الجنرال الآنلا يفكر بأي هجوم، حتى يسمع ما يقنعه من الضباط المجتمعون. نقباء الهندسة اقترحوا الهجوم القوي المندفع، وطالبوا باحتلال القمتان المشرفتان على المدينة في اتجاه شرق غرب، ما بين القمتين هو محصور بين جدارين، تَملُك هذا الحيز هو قوة مضاعفة للحماية والرصد، ما ينفتح عن الحيز الواقع بين القمتين، يكشف الامتداد والتداخل بين البساتين وغابة النخل، ومن يرتفع فوق هذا الحيز يستطيع أن يشاهد بالبصر الجدران النهائية، وهي ترتفع قليلا عن الأرض، التي هي تفصل الأغواط عن الامتداد الطبيعي للجغرافيا الخارجية للمدينة. المعلومات التي نمتلكها يضيف بليسي،حول المدينة وضواحيها، وما رأيناه هذا الصباح،يعطينا اليقين أن بداية الهجوم الناجح، لا تبدأ إلا عند قمة الجبل الواقعة غربا، هو كاف سيدي الحاج عيسى[1]،الذي يطل بالكامل على مدينة الأغواط هذا الكاف

[1]اختيار الكهف وقمة سيدي الحاج عيسى ليس اختيارا استراتيجيا عسكريا الأحداث القادمة ستظهر الخطأ السبب هو الحرب النفسية التي خضعت لها القوات المهاجمة وكلها من الأهالي أقنعوا هؤلاء أن مدينة الأغواط غضب عليها سيدي الحاج عيسى وهي الآن تنال عقابها وان كان الحاج عيسى قد مات فها هو من ضريحه يدير المعركة هذا ليس قولي أنا ناقل فقط راجع بالتفصيل الأحداث هذه في كتاب صيف في الصحراء فرمانتان ترجمته للعربية وفيه تفاصيل عن هذا المسمى

ميزنه، النتوءات الصخرية المتراصفة الممتدة طوليا، هي هكذا في كل مساراتها، تحمل نفس التضاريس، التي تُكون جغرافية جبل تيزغرارين، بالمطلق في هذه السلسلة لا تجد إلا اثنان أو ثلاثة أو أربعة أمتار، تتقاطع بشكل مستعرض بواسطة كتل صخرية ضخمة. هذه الكتل الصخرية تتجانس مع بعضها بشكل غير منتظم، يجعلها صعبة التسلق على خلاف المنحدر الأيسر، أين الصخور الكبيرة تتجانس بل وتلتحم مع بعضها البعض، وهذا يجعلها سهلة للارتقاء، وكذلك من أراد أن يتخطاها،لأن هذه المنطقة تكثر فيها القواطع الصخرية، وتكثر فيها النتوءات. الأهالي في هذه النقطة، ومنذ زمن شيدوا أعلى القمة قلعة هي للحماية والحراسة،زُودت بفتحات رؤية، تمكن من الرؤية بزاوية كاملة، هي مكونة من طابقين مع جدار حماية، وهناك قلعتان مثلها واقعتان على جانبي القمة بمسافة سبعة أو ثمانية أمتار أسفل من الأولى، أمام أسوار المدينة نجد قمة قسمت قسمين: القسم الأول ينتهي بسفح يرتفع عليه ضريح سيدي الحاج عيسى، الثانية هي أبعد تستحوذ على ما يقرب من 15 متر، وتلتقي مع الأولى بواسطة طوق صخري شديد الانحدار، إن السيطرة على هذا المكان[1]، يعزل المقاتلون المتحصنون في غابة النخل والبساتين، ويعطي حركة وانسيابية للقوات المهاجمة.

لما قامت الأفواج مجتمعة بعملية هجوم، تحصن المدافعون بالأسوار، ولم يظهروا إلا في أبراج المراقبة التي تعلو الأسوار، خطة الهجوم تقتضي أن تبدأ القوات عملياتها من قمة جبل كاف داله، الواقع شرقا الغرض من الهجوم تشتيت قوة المدافعين، وزرع الخوف فيهم.بدأت القوة المهاجمة تتقدم خطوات معدودة، كاف الدلهالواقع شرقا صعب التسلق، لم يستطع المهاجمون مواصلة الزحف على طول الجبل الكتل الصخرية الكبيرة، تعيق الحركة وتمنعها، القادة والمهاجمون عرفوا أن الاستمرار هكذا ضرب من الخيال، أقرب سفح يحيط بكاف الدله، ينتهي غربا على شكل مثلث قائم الزاوية ينفتح ناحية الجنوب، حتى يصل قدم الجبل. بالمختصر جبل الدله لم يتح للقوات المهاجمة، أن تنصب قطع مدفعية، ولا أن تجعله بداية لهجوم حقيقي في كل الأحوال، هو غير مهيئ للعمليات القتالية نتائج العملية الفاشلة، جعلت المعدات القتالية كلها مكدسة عند قدم الجبل، لتخفيف الوطء قامت قوة المدفعية بإطلاق قذائف ناحية الغابة والبساتين، لتطهيرها من المدافعين، هذا الفعل الذي تقوم

سيدي الحاج عيسى وكيف استغله التحالف الماسوني الصليبي في إدارة المعركة والمهندس الذي هندس اقتحام العاصمة والأغواط هو نفسه الجنرال يوسف.

[1] المكان المقصود هنا هو الجبل والسفح المطل على حي الشطيط ونظيره المقابل المطل الآن على المدينة ولأهميته الاستراتيجية شيدت عليه فرنسا أكبر ثكناتها العسكرية الموجودة لغاية الآن.

به المدفعية،سيمكننا من مسك زمام المبادرة، ويظهرنا أمام العدو قوة ظاهرة منتصرة، سَيُحبط المدافعين ويجعلهم يتراجعوا للمواقع المنخفضة في المدينة، ولن يجدوا إلا سطوح منازلهم العائلية الجميلة لكي يعتلوها، هذه المنازل التي تنتشر على سفح جبل الدخلة، وكذا الأمر عند كاف سيدي الحاج عيسى، هو المشهد يكرر نفسه، اليقين عند القادة أنه من ملك كاف الدله وكاف سيدي الحاج عيسى، حسم المعركة لصالحه، وأضحت الأغواط ملك يمينه.

الجنرال بليسي قائد القوات والمشرف على العمليات العسكرية، هو نفسه من يشرف على العملية بمجملها، وترك لنقيب الهندسة العسكرية برونو Brunonالمسؤولية على عملية الهجوم ناحية الغرب، وتحت مسؤوليته مباشرة النقيب في الهندسة العسكرية شوانجالSchœnnagel، مهمته التكفل بالهجوم من ناحية الشرق.النقيب في مدفعية الميدان التابع للجنرال يوسف، وهو ضابط برتبة نقيب، أشار بضرورة تغيير وضع قطعة المدفعية لتحسين الرمي، وذلك بجعل القطعة تأتي وراء الضريح مباشرة على المنحدر الشمالي للقمة، التي يرتفع عليها الضريح، والغاية من تحريك القطعة يوضح النقيب: «سنتمكن من تغطية السفح الجنوبي للجبل.» إلا أن الجنرال اعترض، وطلب أن توضع قطعة المدفعية داخل الضريح وفوق القبر مباشرة[1]،لأن هذا الوضع يمكننا من تغطية سفح الجبل من الجهتين المتقابلتين، وبالتالي نمتلك القدرة على تحديد مواقع الرمي التي نبتغيها.

[1]وضع قطعة المدفعية فوق القبر لتأكيد نبوءات المسمى الحاج عيسى من أجل ذلك قوة المدفعية لبني لغواط أصابته بثلاث قذائف مدفعية حطمته وكان هذا نصرا عظيما ويوما من أيام الله استطاع بني لغواط هزيمة الجنرال يوسف في هذه المعركة وتكبده الخسائر الكبيرة القصة الكاملة بالتفاصيل في كتاب صيف في الصحراء وشهد شاهد من أهلها ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين.

الفصل الخامس: غزوات سي حمزة ضد الثوار 4 ديسمبر 1852 ميلادية ـ خضوع بني ميزاب ـ مقترحات الجنرال بليسي من أجل احتلال واخضاع مدينة الأغواط ـ رجوع الأفواج إلى التل ـمهام القيادة العليا في الأغواط ـ تشكيل طاقم الجمال ـ وفاة سي أحمد التجاني ـ تشكيل وتنظيم دائرة الأغواط 22 جويلية 1853 ميلادية.

المبحث الأول

الجنرال بليسي فوض لهذه المهمة الجنرال بوسكران، ونائبه العقيد كلير، والنقيب برونو، جعل تحت سلطته فوج قتالي يتكون من ثلاث كتائب، زواف الأولى والثانية، تتبع الفوج الثاني زواف، مع فوج قتالي ثاني، يتبع الفوج الأول، يتبع قوة المشاة الإفريقية الخفيفة، هذ الفوج يتبع قوة الأهالي المقاتلة ناحية وهران مع مفرزة مدفعية الميدان. تضاف لها قوة الهندسة، مشكلة من عشرين عنصر مع كتيبة نخبة، تابعة للجنرال يوسف، وتم منح النقيب المسؤول عن فرع الهندسة 500 كيس من مواد الاستهلاك، وتم وضع سواتر وأكياس حماية، لتشييد موانع تحمي قوة حماية المدفعية، المشكلة من كتيبة ونصف. لما أراد العقيد كلير ترك مقر إقامته، جاءه الجنرال بليسي ومد له يده ليصافحه فشد على يده بقوة، وتمنى له النجاح والتوفيق، وقال له: « تذكر يا كلير جيدا،» ثم صمت برهنة ثم واصل كلامه قائلا: « أدعوك لتناول وجبة الغداء غدا قبل الزوال، فوق أعلى سطح في قصبة بن سالم.[1] »

ترك الفوج القتالي المعسكر يوم 3 ديسمبر على الساعة الرابعة مساء، وعسكر جنوب مدينة الأغواط، حتى يمنح فرصة كاملة للقوة المكلفة بتحضير المواقع، أن تنهي مهامها كاملة. القوة العاملة تمت حراستها من قبل قوة الحماية، التابعة للفوج الثاني القوة الثانية زواف، طُلب منها أن تأخذ لها موقع عند قدم الجبل من الناحية، التي يفترض أن يبدأ منها الهجوم، هذا الموقع هو واقع بين الضريح والبساتين بمسافة هي 600 متر على الساعة السادسة مساء، الكتيبة زواف التابعة للمجموعة الثانية حازت القمة الأولى للجبل، ساعة بعد حيازة القمة، كتيبة مدفعية جبل تقدمت 50 مترا أمام المعسكر، ووجدت فرصة لرمي القلاع، التي يتحصن بها المدافعون، قاموا بإطفاء القناديل والسرج.
الثامنة مساء، تم تشكيل فوج قتالي من أجل حيازة قمة الضريح، كُلف بهذه المهمة أربعة فرق زواف هذه الفرق، هم تحت قيادة القائد موران مع وحدة عمال تابعة للفوج الإفريقي الأول، ومع مفرزتين للهندسة للحفر والثقب، هاتين المفرزتين هما تحت قيادة النقيب برونو. عمال الحفر والثقب كل واحد

1 *Souvenirs d'un officier du 2e régiment de Zouaves, p. 33*

يحمل أدوات العمل، واثنين من أكياس الأرض، كتيبة مدفعية الجبال سايرت حركة القوة المهاجمة من أجل احتلال التل، المحاذي للضريح للتمكن من القمة، التي يُرفع عليها الضريح، هذا يجعل القوة المهاجمة في موقع قوي، يحسم المعركة: « الأمر اليومي الذي صدر لنا هو عدم الرد على النيران الآتية من قبل العرب، الأوامر كلها جاءت من عند العقيد كلير، كلم قواته من الزواف قائلا: (الشرف والعزة لمن استطاع منكم أن يرتقي ويحافظ على شرف الفوج فوج الزواف، هذا الفوج الذي سطر المجد لأكثر من واحد وعشرين سنة، وخلد مجد الفوج الأول السابق. كما فعل السابق سيفعل اللاحق، هو المجد نفسه الذي نبتغي تحقيقه، هي الشجاعة نفسها، هو الاقدام نفسه، هكذا نكون وهكذا كنا، نحن اليوم من يكتب أجمل الكلمات في صفحات التاريخ، تاريخ النصر والانتصار.) الفوج الصغير قرر أن يكمل مهمته، مهمة العزة والشرف، القلق خيم على الحاضرين في الإقامة الخوف يأتيهم من الاخفاق، الذي قد يلحق بهذا الفوج الذي هو الآن يغامر. بعد خروج هذا الفوج الصغير ومرور عشر دقائق على تركه مركز القيادة، مهمته حاسمة ستحسم المعركة منذ البداية، ونجاحهم يعني أن القيادة ستمسك مفاتيح الحل، القائد موران عبر عن امتنانه بالثقة، التي حضي بها من قبل القيادة العليا، وحمل الحربة حربة البندقية عاليا، وأشار ناحية الأعداء المتحصنين، وراء الأسوار والجدر[1].»الهجوم الذي قام به الفوج، أسفر عن قتيل وثلاثة جرحى من الفوج الثاني زواف، أما الفوج الثاني زواف خسر أفرادا مهمة من قواته، خسر ثلاثة منهم النقيب فرانس Frantz، واثنان وثلاثين جرحى، منهم النقيب بزيار Bessières، وجرح كذلك الملازم في القيادة العليا بوكيت Boquet، وجرح كذلك الملازم روميارRomière.

نقيب الهندسة برونو، فتح واجهة الضريح المواجهة للساحة، وأزال زركشة البناء، وجعل القبر يواجه الساحة، التي ستحتدم فيها المعارك. ما كُشف القبر حتى استقرت قربه، كتيبة مكونة من عمال وأعوان هندسة الحفر والثقب، بعد العمل طلب من كتيبة مدفعية الجبال، أن تستقر في المكان المحدد لها، وتم اختيار لها مواقع فيها صخور، تعطي قطع المدفعية نوع من الحماية، والمكان هو السهل المحاذي للضريح. نقيب الهندسة وتحت وقع نيران بني لغواط، أراد أن يجهز أماكن آمنة، وأن يستعين بأكياس الرمل، ويؤمن ناحية اليسار للقطع، وفي نفس الوقت أمر العمال بفتح طرق ومسارات تيسر حركة قطع المدفعية. الساعة الثانية بعد منتصف الليل، استطاعت قوة الهندسة، أن تؤمن منطقة وصلها رجال المدفعية، تمكنوا من وضع قطعتين في المكان المناسب، رغم خطورة العملية، لم تكلف إلا ثمانية جرحى.

---

[1]المرجع السابق.

النقيب برونو هو وكتيبة زواف، رجع إلى المعسكر الذي يقيم فبه الجنرال بوسكران، حتى يعلمه عن الأعمال التي قام بها، ويطلب منه حضور قوة المدفعية. الجنرال أمر قوة المدفعية بالتحرك، وطلب من كتيبتين أن ترافقها، النقيب تحرك بمجموعته الصغيرة، وجعل أجنحة وقاية تؤمن حركة المدفعية وتمنع احتمال تعرضها للمخاطر، ما وصل نصف المنحدر، والذي لا يتجاوز علوه 200 متر، حتى واجه رشق كبير بالبنادق، وتواصل الرشق، ولم ينقطع حتى وصلت قوة المدفعية، ومن رافقها الضريح، وضعت قطعة مدفعية فوق أرضية الضريح أي فوق القبر مباشرة، رغم كل ذلك لم يصب أي واحد من طاقم المدفعية، ولا حصان واحد، وتم فتح أجنحة القطع، وتم تهيئتها لتقوم بأعمالها القطعة نوع ثمانية، وضعت فوق الولي سيدي الحاج عيسى مباشرة، والقطعة الثانية نوع خمسة عشرة وضعت جناح الضريح الأيمن، الساعة السادسة صباحا يوم 4 ديسمبر، انتهت أعمال التهيئة والتحضير، ومن ثمة تم الاستعداد للهجوم.

الساعة السابعة صباحا، الجنرال القائد العام وصل هو وأفواجه القتالية ناحية الخنق، أين يتصل الجبلين، وحتى لا تواجه قواته نيران بني لغواط، نشر القوات بين الثنايا وبين مواقع الصخور، لضمان الحماية، كل هذا التحضير والترقب في انتظار لحظة إعلان بداية الهجوم، ثم جاءت الأوامر بالزحف ناحية الضريح. قاد الزحف الجنرال بوسكران وقوة القيادة معه، لما أراد الجنرال تسلق المرتفع الذي يقود ناحية الضريح، العرب أطلقوا رشقات بنادق دفعة واحدة، طلقة قوية هشمت فخذ الشجاع الجنرال بوسكران. القائد العام للعمليات أمر بفحص الاستعدادات، وأمر بفتح النار على القلعة المرتفعة الواقعة ناحية اليمين، وكذلك فتح النار على مركز المراقبة الواقع بين القلعتين، بني لغواط المحاصرون ردوا بعنف على القوات المتقدمة، وحاولوا ضرب قطعة المدفعية الواقفة، فوق القبر والقريبة منه، واستطاعوا ذلك بواسطة قطعة مدفعية، نصبت قريبا من القلعة الواقعة ناحية اليسار إلا أن التسديد وبسبب درجة الميلان، وصل للضريح، ولم يصل للقطعتين، أثناء التراشق و في خضم القصف، واستهداف الضريح بشكل خاص، وبعد التمكن من تحطيمه بالكلية من قبل قطعة المدفعية لبني لغواط، وتناثره فوق القمة والسفح، وتساقط حجارته وزخرفته، وبفعل تطاير الشظايا أصيب الملازم أرموند Armand، أصابته قطعة صخر متناثرة. أمام هذا الوضع قام العقيد كلير بتنظيم عملية الهجوم في الأثناء وهو يقوم بعمله، جاءه الأمر أن يأتي ويمسك قيادة الأفواج، لينوب الجنرال بوسكران الجريح. هنا تدخلت قوة الاسعاف من أجل حمله، والذهاب به ناحية بطارية الإسعاف المسعفون أرادوا أخذ طريق الجبل، ومحاذاة القمة، إلا أن نار الأعداء كانت قوية، وجاء الرمي من الناحيتين، الناحية المواجهة لبني لغواط، وحتى الناحية الأخرى التي يفترض أنها مؤمنة وفي حالة ذهاب وإياب، قوة السبايسية المكلفة بحمل الجنرال، وجدت نفسها في موقف حرج ومقلق، ولأنها تراجعت وهي تحمل الجريح، رجعت للنقطة التي أصيب فيها الجنرال، هنا أصيب

السبايسي الحامل للبوق، وجاءه الموت. الساعة الحادية عشرة صباحا، حققت القوة المهاجمة خرقا مسافته بين 30 و35 مترا، نقيب الهندسة أعلن أن الوضع الآن يسمح له بنصب موقع متقدم يُمكن قيادة العمليات من تحديد لحظة الهجوم الحاسمة، وأن من يعلن ذلك هو الجنرال يوسف نفسه القيادة أمرت بتقدم كتائب الهجوم، كتائب الهجوم مشكلة من 12 كتيبة زواف، الفوج الأول من هذه الكتائب المهاجمة هي تحت قيادة القائد بروا Barrois، الفوج الأول زواف مع أربعة كتائب لنفس التشكيل، تهاجم من ناحية اليمين، كتائب الزواف التابعين للفوج الثالث والمفرزة الثانية، هم تحت قيادة مالافوس Malafosse، يشكل القوة التي تهاجم ناحية اليسار الكتائب التابعة للفوج الثاني زواف، هي تحت قيادة موران، تم ضم فوج احتياط قتالي، وظيفته دفع القوة المهاجمة الواقعة ناحية اليمين، هذا الفوج فوج الدعم، قوته أخذت من قوة الحراسة والرصد، التابعة لبطارية الحصار الحاملة لراية النسر للفوج الثاني، كتيبة من القوة العاملة التابعة للهندسة قائدها النقيب برونو Brunonبدأت تحركها.

« قوة الرصد الواقفة على أبراج المراقبة، أعلنت بداية تحرك قوات الزواف في الأثناء القوات التي يقودها الجنرال يوسف، التي تقوم بأعمالها ناحية شمال المدينة، واجهتها قوة مهاجمة كبيرة، جاءتها من ناحية الجنوب، الفوجان القتاليان العاملان ناحية اليمين واليسار يقومان بأعمال بطولية، وكذلك القوات التي أشرف عليها في هذه الملحمة العظيمة، الفوج الذي يقاتل ناحية اليمين. يتقدم منتصرا لا يوقفه أحد، خسائره بالكاد تذكر من شاهده هو يشاهد سرعة الحركة والمناورة، ميدان معركته هو الامتداد الواقع أسفل المنحدر الصخري، الممتد ناحية مركز المراقبة، الفوج الواقع ناحية اليسار المشكل من كتائب الزواف، كتيبة تابعة للفرقة الثانية الملحقة بالفوج الثالث، قُذفت على هؤلاء الأطفال الضائعين الحائرين، الذين لا علم لهم، لا بالقتال ولا بفنونه. تقدموا والعرب يرشقونهم، لأنهم شجعان تجاوزوا الأرض الصخرية، التي تفصل بين غابة النخل، وبين منخفضات مدينة الأغواط في هذا المكان هم بين نارين، يأتيهم الرشق من كل مكان، هذه القوة المهاجمة وصلت إلى قدم القمة المرتفعة، فوق الجبل وصلوا، وما فقدوا من الرجال إلا ثمانية عشر، هم الآن خارج المعركة الكتيبة الاحتياطية تساير، وتدعم عن قرب الفوج الشمالي، الذي يخوض معاركه ناحية شمال مدينة الأغواط. هذا الفوج لم يسجل اصابات حقيقية، هو كذلك تقدم ووصل ناحية الجدار المحطم الجنرال بليسي يتابع سير المعركة، ليس وحده قيادة الأركان تمشي معه، ممن مع الجنرال المقدم قائد الفوج الثاني زواف، ومعه كتيبة من حرس الخنادق، هو نفسه انتقل ناحية برج المراقبة، حتى يتبين الوجهة الصحيحة، التي تمكن القوات من الاقتحام واحتلال المدينة. أنا الآن مع قواتي معي 12 كتيبة من قوات الزواف، نحن الآن كلنا واقفون عند قدم القمة، قمة صخرية بالكاد نثبت عليها، نعم نحن وصلنا هنا بفضل هؤلاء الجنود الشجعان، بفضلهم نحن الآن نملك المبادرة مبادرة القتال والنزال معهم

نتجاوز العوائق، ونركب الصعاب نتقدم، ولا نتوقف. تكفينا السلالم القصيرة لنصل لمبتغانا، ها نحن هنا نصل القمم العالية السامقة، يوصلنا سلاحنا ونوقف أعادينا، نحن نأتيهم كما تأتي كرة الثلج تجرفهم تحملهم هناك بعيدا، نحن السادة الأشاوس، لا يخيفنا العدو، ولا نرقب فيهم إلا ولا ذمة. ها نحن الآن نهاجمهم، ونأتيهم من حيث لا يحتسبوا، أنا الآن مع جندي أرقب الهجوم من هذا المكان العالي المطل على المدينة، وأرى العدو بني لغواط يتراجعون ينسحبون، يتركون القمم المطلة على مدينتهم هم أشتات، ينزلون ناحية اليمين وناحية اليسار، خائفون فزعون مساكين. لما هربوا ما وجدوا إلا أحيائهم القريبة، هم يلتجئون لها خائفين منهم من آثر الذهاب ناحية البساتين وغابة النخل ينسحبون طالبين النجاة، يظنون أننا لا نصل إليهم، نعم أنا أشاهدهم، لقد تركوا مراكز الحراسة ومواقع القتال نعم هم يتراجعون، بعضهم وصل حدود غابة النخل، لا أعرف ما هو الشيء، الذي هم يبحثون عنه الآن مرتفعات هي كذلك تسقط، أسقطها هجومها نحن من نهاجمهم ولا نخافهم، أنا أراها من هنا من القمة التي أعتليها، الآن هي تسقط. هذا ما أراه في نفسي وأجده في خيالي، أنا أشاهد الجنرال بليسي والفرح يغمره، هو يشاهد اندفاع القوات، وكيف هي تكتسح المواقع، يطلب من فوج الدعم أن يتحرك ناحية اليسار، ويأمره أن يأخذ طريقه عاجلا ناحية قصبة بن سالم، أما المقدم كلير هو يقدم وكتائبه من الأفواج الثلاثة القتالية، ليقتحم القلعة التي يتحصن بها بني لغواط، ها هو الآن يأتيهم من أمامها وعن يمينها. مسكينة هي قصبة بن سالم، هي حائرة من يمنع عنها هجوم جنودنا النقيب فرني Fernierوقواته الزواف، يرافقه المقدم دو ليني de Lignyمدير الشؤون العربية لمقاطعة وهران، هم ومن معهم يحاولون خلع الأبواب والشروع في الاقتحام، المدافعون يتراجعون هم يهربون ناحية الأدوار العليا لمنازلهم، من يقف الآن على سطوح المنازل، حرابنا تصله تأتيه تمزقه وتقتله. المقدم قائد الفوج الثاني زواف، يتذكر ما قاله له الجنرال بليسي، كيف ينسى قوله وفوجه متوج براية النسر، هذه الراية يرفعها الأبطال فوق شاهد منارة المسجد، الزنجي الأسود قائد السود[1]الذي كلفه محمد بن عبد الله بحماية المسجد، يسقط ميتا قتله الأشاوس حاملي راية فرنسا.»

---

[1] le chef des Nègres هذا هو لفظ الكاتب وهو لفظ عنصري يرفع في الحروب الصليبية وهو يعني سكان الأغواط من ذوي البشرة السمراء وهي العائلات الكريمة المعروفة وهم أصهار السيد أحمد التجاني ومنهم من تكفل بنشر دعوته هؤلاء الأبطال الشهداء العظماء كلفهم محمد بن عبد الله وناصر بن شهرة بالدفاع عن المسجد مسجد الأغواط الكبير ـ كانت له منارة مرفوعة ـ وأن لا يسمحوا للصليبيين والكفار المارقين من تدنيسه بعد اقتحام المدينة استشهدوا دون المسجد ولهم خبر في كتاب صيف في الصحراء ما بقيت منهم إلا قلة قليلة شردوا وتم الانتقام منهم وعوملوا كإخوانهم

« تم اقتحام مدينة الأغواط، وتمت حيازتها، هذا النصر المبرق المبهج لم يخلو من خسائر، فقد الفوج الثاني زواف ستون من رجاله، هم الآن خارج المعركة ولا يشهدونها، القائد موران وهو يقود فوجه القتالي لاحتلال قصبة بن سالم، أصيب إصابة قاتلة دفع ثمن نجاحه وتألقه في المعركة، دفع من نفسه دما، هو البطل الشجاع حامل راية النسر، هو المعمد باليسوع .. هذا الضابط الشرس قائد الفوج الثاني زواف له روح الفرسان العاشق الملهم صانع الإمبراطوريات " هذا طبيعي هو ابن رجل عظيم حديدي من بناة أمجاد نابليون العظيم " موران ليلة اقتحام المدينة، المقدم العامل تحت سلطته طلب منه أن يسمح له ويتشرف بارتداء معطفه الرمادي، ويرتديه فوق اللباس الرسمي للجندية الفرنسية. هذا المعطف الرمادي إذا ما ارتداه، سيكسيه كساء البطولة، ويعرفه بين جنوده وسيخيف حتما أعداءه، البطل موران لما شرع في اقتحام التحصينات والموانع، هو نفسه من نفخ في البوق، ليعلن لقواته من كتائب الزواف بداية الهجوم، ولأنه متميز البوق الذي نفخ فيه هو صغير ليس كالباقي، وهو عادة يعلن به بداية معاركه. جاءته الاصابة القاتلة، لما كان يقتحم هو وقوة المطاردة التابعة له الأسوار، حمل بين الحياة والموت، وصل إلى معسكر الزواف ليستقر فيه، قبل ذلك وهو محمول إلى المعسكر، مر بكتيبتين من قوات النخبة التابعة للخط الهجومي رقم 50، حضي منها بالتقدير والتوقير العسكري. نظر إليهم وهو بالكاد يخرج أنفاسه، كلمهم وخاطبهم بشدة وحزم المقاتل، وقال لهم: " الشكر لكم والسعادة التي لم أعرفها أنا ستعرفونها أنتم حتما في هذه اللحظات أنهي حياة الجندي" نعم هو لا يخطئ، حاول الأطباء بتر فخذه، إلا أن النهاية قد عاجلته، أخوه الملازم لويس Louisفي نفس القوة، هو كذلك تعرض لإصابة، لما كان يتقدم كتيبته.»

« لم يتأخر الجنرال بليسي، حتى يحقق الوعد، ويعلن البشارة هو نفسه، صعد سطح قصبة بن سالم طلب من المقدم الآمر للفوج الثاني زواف، أن يعيد تجميع قواته ليستكمل السيطرة، ويخضع المدينة وأن يمد يد المساعدة للجنرال يوسف. هذا الأخير هو و فوجه تسلقوا الجدران الواقعة شمال الساحة لمدينة الأغواط، وحاولوا أن يدخلوها، العقيد كلير جاءته الأوامر، أن يحدث تقاطع بين القوتين وتكون النقطة هي الساحة نفسها، وأن تكون مهمته هي دفع المدافعين عن الساحة، و أن ينسحبوا ناحية البساتين وغابات النخل، لأن هؤلاء العرب ما زالوا مصرين على الدفاع، وجاءت الأوامر صارمة وواضحة: احتلوا حمام العرب الواقع وسط المدينة، لما وصلنا لهذا الموقع أي ساحة المدينة المقدم قائد الفوج الثاني زواف، شاهد بالقرب من الباب الذي ينفتح على غابة النخل، رجل عربي محاط باثنين من رجال ميزاب هم يتبعونه ويحرسونه، بعد ذلك غابوا داخل الحدائق. إنه الشريف مُحَمَّد

في المدينة معاملة العبيد وما زال ورثة الصليبين الحركة يمارس هذا الفعل الشنيع عليهم ليومنا هذا والله المنتقم الجبار.

بن عبد الله معافى لا جرح فيه، ولأنه منهزم هو خائف ورجال ميزاب يحرسونه، قوات الزواف استطاعت أن تقتحم أحياء المدينة الضيقة، هي متعرجة وملتوية وتنعدم فيها الحركة، والأكثر من ذلك أن البيوت مرتفعة أكثرها لها طابق علوي. قوات الزواف تواصلت مع قوات يوسف، شكلوا فوجا قتاليا واحدا، وتمكنوا من حيازة المباني المؤدية للبساتين وغابات النخل، هذا الجزء بالمدينة[1] هو بالكاد يدافع وبالكاد يوقف القوة المهاجمة.»

«ما تقدم الفوج القتالي ناحية قصبة بن سالم، لفت انتباه الجنود بيت محصن، تتعالى منهم أصوات بكاء وعويل، أصوات جد مرتفعة هي لنساء وأطفال، ما يصل إلى مسامع الجند إلا القليل المستغيثون، بكاؤهم وصريخهم بالكاد يتجاوز جدران البيت المحصن. عرف الجنود أن البيت هو بيت الخليفة أحمد بن سالم، وأنه الآن ملجأ يهرب له الضعفاء، كلهم نساء وأطفال، بيت الخليفة في البداية اعتصمت به عوائل بن سالم من أقارب وأصهار، ثم التحق بالبيت الفارون الهاربون الهائمون على وجوههم، مع شدة النزال أضحى هو المأوى والملجأ، والظاهر أن مُحَمَّد بن عبد الله قد حجز فيه عائلة بن سالم كرهائن، قوة بني ميزاب واجهت المقتحمين، ومنعتهم من الوصول إلى قصبة بن سالم الكتائب الغازية لم تنتظر، ردت على الهجوم وتمكنت من مسك قصبة بن سالم، وأول ما قامت به قوة الهجوم هو الولوج إلى هذا البيت، بيت الخليفة بن سالم. تم اقتحام البيت، ودخل المهاجمون الفناء الأول إلا أن قوة بني ميزاب واصلت الدفاع، وتراجعت وراء ناحية فناء كبير، هو محاط بأبنية تسكنه عائلات يهودية، هذه الأحداث كلها يراها الأطفال والنساء والعجزة، في هذه اللحظة المقدم قائد الفوج الثاني زواف، فتح بابا صغيرا خلف البيت، دخله هو وبعض الضباط وجنود من كتائب الزواف فعرف ما يعانيه هؤلاء، ما رآه الخائفون حتى طلبوا حمايته ومسكوا ببدلته العسكرية الرسمية، لكي يحميهم. هذا الضابط النبيل هاله ما رآه من أشلاء ودماء وقتلى وصرعى، استطاع ضباط الفوج الثاني زواف، الذي دخل البيت أن يوقف المجزرة، واستطاع هذا الشهم، أن ينقذ أكثر من ثلاثمائة من بني لغواط، هي العائلات العريقة التي تسكن المدينة، وتم تحويلهم للقصبة الكبيرة، واستطاعت القوات المهاجمة، أن تحصي خمسمائة راية وجدتها في بيت الخليفة أحمد بن سالم.»

« الساعة الثانية بعد الزوال، مدينة الأغواط هي ممسوكة من قبل القوات الفرنسية، الجنرال بليسي لم ينس وعده أن يتناول الغذاء فوق سطح بيت الخليفة بن سالم، ما حل منتصف النهار حتى نزل ساحة المدينة، والتقى بالمقاتلين الذين اقتحموا دار الخليفة أحمد بن سالم، ذكر بليسي المقدم كلير أن

[1] الجزء من المدينة هو قصبة بن سالم مكانها الآن جامع الصفاح لأن بيت بن سالم رحمه الله اسمه بيت الصفاح القريب من زقاق اليهود موجود لغاية الآن والمعركة التي يصفها هذا الصليبي في مذكراته هي معركة قصبة بن سالم هو الحقد على الخليفة بن سالم.

حيازة بيت الخليفة مسألة حياة أو موت، وأن الوعد الذي قطعه سيحققه مهما كانت الأسباب والدواعي، وزاده من الشعر بيتا قائلا: اسمع يا كلير سأتغدى اليوم فوق السطح الأرفع من بيت أحمد بن سالم خليفة بني لغواط. الجنرال بليسي حقق وعده، وصل وسط أنقاض بيت بن سالم، وجد نفسه وسط القتلى، وهو يسمع من يضج بالصراخ والألم، ومن هو في سكرات الموت، نساء أطفال عجزة قطعتهم السيوف والحراب. بليسي منتشي فرح وسعيد، وما زاد فرحته وغمره بالمسرة، لما أحضر له الجند راية بني لغواط التي حملوها، وهم يدافعون عن مدينتهم، طلب بليسي أن تفرش الزرابي الأغواطية الغالية الثمينة ليدوسها هو بأقدامه، وهكذا فعل، رفع بصره وحدق في أنحاء المدينة، ما أوقف بصره إلا بداية حدود الصحراء، ها هي الأشلاء جثث الأعداء تملأ المكان، هو يوم النصر، لا نساء موشحات بالحايك، ولا ممسكات الذهب والفضة، ولا الشدّة المطعمة بالعقيق ولا خلخال العربيات يرن في أقدامهن، هن الآن سبايا. بقية باقية من رجال بني لغواط هي الآن تدافع، فرشت الزرابي الغالية، التي حاكتها النساء الأغواطيات بأناملهن، وطلب بليسي أن يحضر الجنرال يوسف ويأتيه لقصبة بن سالم. احتاجوا لفرش أكثر، فرشوا الأرض وتدافعت القيادات لتحضر الوليمة، وليمة النصر، وحدث ما قد يفسد الفرح، من أراد أن يحضر الوليمة انتبه لعدم وجود الموائد الفضية، التي تحمل عليها الفناجين وأواني أطايب الطعام، لما شاهد جنود الزواف حيرة قادتهم جعلوا من سيوفهم وخناجرهم، التي ذبحوا بها وبقروا أشباه موائد يحمل عليها الطعام. مشهد جميل أضحك كل الحاضرين، وحتى تكتمل السعادة، ولأن أواني تحضير القهوة غير متاحة، تطوع جنود الزواف وحضروا القهوة في أوعية الجندية، ليكرموا الضباط الذين عملوا وحققوا معهم هذا النصر العظيم.»

« جاء المساء وقبل حلول الظلام بقليل، ابناء أحمد بن سالم وبعض أعيان المدينة، هربوا لمعسكر الجنرال يوسف. بشرهم الجنرال أن عوائلهم بقدرة قادر نجوا من موت محقق، وأن قولهم أن القوات الفرنسية استهدفت العزل غير صحيح، بل نحن من أنقذهم من الشريف وعصابته، ومن مات منهم أخطأه الرجال. الجنرال بليسي عين المقدم كلير قائدا عاما لمدينة الأغواط، وطالبه من التخلص من النساء، وعدم ابقائهم بين الجنود، لأن هؤلاء الجنود وهم في نشوة النصر، قد يقومون بأفعال تفسد خطط المعركة، من النساء المجتمعات الطالبات للنجاة نساء يهوديات، يرتدين اللباس التوراتي عيونهن سوداء، سمراوات لونهن مزج بين بياض وسمرة خفيفة من النادر أن تجد مثل هذا الجمال في هذه الصحراء، بعد مسك المدينة المسلمات واليهوديات يتدافعن، يقبلن أيادي الضباط الفرنسيين

ويمسكهن من معاطفهن يترجونهم، أن يحميهن ويمنعوا عنهن الاعتداء، ويتركهن يخرجن من قصبة بن سالم، ويذهبهن لأهلهن وذويهن سالمات عفيفات.[1] »

الهجوم من ناحية الشرق كاف داله:

ليلة 3 ديسمبر الجنرال يوسف قائد قوة الهجوم ناحية الشرق، عند كاف داله تحديدا تولى قيادة الفوج القتالي، الذي يقوده الضابط بين المتواجد عند يسار ضفة وادي مزي، هو في مسافة رمي لمدفعية مدينة الأغواط، قدرها كيلومتر ونصف. هذا المدى يبعده عن رمي المدفعية، وظيفة هذا الفوج مراقبة الحيز المكاني الذي تشغله الواحة والبساتين، والفاصل بين معسكر الجنرال يوسف ومعسكر بوسكران. الجنرال قدم التعليمات للفرق والكتائب التي ستقوم بالهجوم في اليوم القادم، مع التأكيد على جدوى الوضعيات القتالية. يوم 4 ديسمبر الساعة الرابعة صباحا، تحرك الفوج القتالي لينتقل من يسار ضفة الوادي إلى يمينها، يمين الضفة خلاف يسارها تكسوها البساتين وغابة النخل وهي من الناحية الجغرافية، تغطي المنطقة الجنوبية لمدينة الأغواط، هذا الحيز الجنوبي هو المكان الذي حدده الجنرال بليسي لبداية الهجوم، وأن هذا الهجوم حتى لا يخفق، يجب أن يخضع لقواعد صارمة وهي كالآتي:

فوج الاقتحام:

يتشكل من مفرزة من الهندسة العسكرية، فصيلة من كتيبة مساعدة، تحمل معاول أدوات الثقب آليات الطرق، معدات حفر المناجم، أكياس فارغة، هؤلاء هم تحت قيادة نقيب الهندسة العسكرية شوانجالSchœnnagel،تضاف لهم فصيلة من المتطوعين، تؤخذ من مختلف الاختصاصات هؤلاء وظيفتهم التسلق، يستعينون بالسلالم، يضاف لهم كتيبة من الفوج الثاني مشاة خفيفة، وأربع كتائب من قوة الأهالي المسلحة الرماة التابعة لناحية الجزائر، ومثلها التابعة لناحية قسنطينة.

[1] الراوي ليس هو مؤلف الكاتب هو ضابط صليبي قائد لقوة من قوات الزواف متحمس يعتقد أنه من القديسين الذين خاضوا الحروب الصليبية ضد المسلمين ما يقوله صحيح والتفسير الذي قدمه خاطئ هذا البيت لم يجعله مُحَمَّد بن عبد الله لمسك رهائن عائلة بن سالم كما يدعي لأن القائد ناصر بن شهرة هو صهر أحمد بن سالم والقائد يحي بن معمر هو أخ الخليفة بن سالم هذا البيت أمنه بني لغواط كعادة المسلمين لكل هارب وهرب له النساء والأطفال مُحَمَّد بن عبد الله فوض حمايته لقوته الخاصة المسؤولة عن أمنه وهي جنود بني ميزاب الأشاوس الأبطال لما اقترب المهاجمون اشتبكت معهم قوة بني ميزاب جدة والدي الحاج مُحَمَّد رحمه الله هي الزهرة بنت عريف ممن هرب لهذا البيت هي وأمها ونجتا من المحرقة وقصتها مبسوطة في كتاب النحو للشيخ عطا الله كزواي وضعت له مقدمة ونبذة تاريخية من أراد أن يعرف القصة يطالع الكتاب هو مطبوع.

فوج الاحتياط:

يتشكل من أربع كتائب من الخط القتالي 60، مفرزتان الأولى تابعة للفوج الأول مطاردة إفريقية وفصيلة قوة السبايسية، وتضاف لها قوة القومية.

تبدأ قوة المدفعية التابعة للجنرال بليسي في القصف، بعد دقائق معدودة من مغادرة فوج الجنرال يوسف وذهابه ناحية المواقع المحددة له يمين ضفة وادي مزي. الجنرال هارونغا harangua وظيفته أن يتولى الأماكن الوعرة والمسالك الصعبة، التي تؤدي ناحية المدينة، لما يحقق هذه الغاية، ويسقط هذه الأماكن الوعرة من يد بني لغواط، يأخذ كل الاجراءات المتاحة، التي تمكنه من الاستيلاء على البيوت بالتدريج والتعاقب.

قمة كاف داله والقلعة التي تتوجه، والمنحدرات الصخرية التي تشكله، وكثرة المدافعين الذين يقفون عليه، هم مستعدون للموت دونه، الساعة العاشرة صباحا عرف الناس أن الجنرال بليسي، قد شرع في هجومه، كانت البقية الباقية من الجدار المانع تسقط، وأضحى مسلك برج المراقبة سالكا، ما تقدمت قوات بليسي، حتى سمع الجميع وقع تفجير عظيم، اهتزت له الأرجاء. ما ارتفع غبار التفجيرات وانقشعت الأجواء، حتى شرعت كتائب الهجوم في التدافع ناحية القمة، التي يرتفع عليها ضريح سيدي الحاج عيسى، مع التزامن مع هذا الفعل، قوات الجنرال يوسف بدأت حركة هجوم عند قدم جبل داله، بدأ بني لغواط في الرد على الهجوم الكاسح، بالرشق بواسطة البنادق، واتسعت مساحة الرشق، وبدأ المدافعون في الرد من البساتين وغابة النخل. المدافعون تشاركوا كلهم في الدفاع وركزوا على كاف داله وقمته، أين يأتي من قبله الهجوم، النزال عزل منطقة فاصلة، جعلها منطقة خالية بين المتنازعين، حددها مجال الرمي لكل فريق، تم نشر فرقة من الفوج الثاني للقوات الإفريقية ولحمايته، تم نشر قوة من قوة الأهالي المسلحة الرماة لحماية جوانبه، وتم اختيار مفرزة من قوات السبايسية، كانت كامنة خلف قمة الكاف المقابل لكاف داله، الواقع على ضفة الوادي، ناحية اليسار، هذه القوة أرادت إخراج المدافعين الواقفين على ضفة الوادي الناحية المقابلة، أي ناحية اليمين. قوة الفرسان أُمرت بالتحرك تحركت على شكل أرتال، الرتل يبدأ من معسكر الجنرال بوسكران، وينتهي عند كاف داله، ولمنع عمليات القنص، مفرزة من العمال يقودهم العريف لافيت Laffite من التشكيل الثاني لقوة الهندسة العسكرية، العريف وقوته اقتحمت البساتين، وهي تحاول الوصول لداخلها، وذلك بفتح مداخل في الجدر وفتحات، بالحفر والثقب للسماح لقوة الأهالي المسلحة الرماة باقتحامها. كتيبة قوة الأهالي الرماة فرع الجبال محمية بواسطة كتيبة مشاة، تحركت مهرولة ووصلت قدم كاف داله على بعد مائة متر من البساتين، شرعت في إطلاق النار في نفس الوقت، شرعت قوة الهندسة بتفجير العبوات، وتم التوافق على خطة واحدة، تسمح بتسلق الكاف كاف داله والوصول لقمته، وجاءت الأوامر كالآتي:

ملحقة الهندسة العسكرية تتشكل من القوة الآتية:

1. فصيلة من كتيبة العمال يقودها النقيب في الهندسة شوانجال.
2. فصيلة من المتطوعين من كل القوات والفروع، تحمل السلالم وظيفتها التسلق.
3. 4 كتائب من قوة الأهالي المسلحة الرماة قطاع الجزائر، ومفرزة من نفس القوة قطاع قسنطينة.
4. 4 كتائب من القوة 60 قوة دعم.

ما بدأت هذه الأفواج في التقدم ناحية الأمام، حتى تعرضت نهاياتها لرشق كبير من قبل المدافعين أكثر الرشق جاء من الحدائق وغابة النخل، أما القوات المتقدمة جاءها الطلق الكبير من قمة الجبل ومنحدره الوعر صعب التسلق. بالكاد وصلت القوات المهاجمة المنتصف، الفاصل بين القمة والسفح للوصول ناحية القمة، القوة المهاجمة فجرت شحنة متفجرات كبيرة، وضعت في المنحدر الصخري تحت غطاء التفجير، تمكنت القوة المهاجمة من الوصول إلى قمة الجبل، مع العلم أن أخذ وترك القمة هو مستمر بين المهاجمين والمدافعين، إلا أن قوة المهاجمين والتحكم في الرشق، أوقع خسائر كبيرة في قوة الدفاع، أمام هذا التقدم بني لغواط يتراجعون في فوضى وغاب عنهم النظام، من منع نفسه من القتل وجد له حماية وراء الجدران، التي تقف وراءها البساتين المحاذية تماما لقدم الجبل، الواقعة شمال القمة. هذه البساتين يمكن الدخول إليها بواسطة الباب الشرقي، استطاعت القوة المهاجمة أن تصل قريبا من قلعة سي عبد الله، واستطاعت أن توسع مجال هجومها، حتى تصل ناحية الباب الشرقي، ما وصلوا الباب حتى وقعت القوات المهاجمة في معترك قتال، سلاحه البنادق وجاء أكثر الرشق والقنص من ناحية قلعة سي عبد الله، والبساتين القريبة والمنازل الموجودة، خارج نطاق المدينة، إلا أن قوة الأهالي المسلحة الرماة، التي كانت واقفة خلف الأفواج القتالية المهاجمة استلمت المهمة، وواجهت المدافعين ببسالة وقوة، واقتحمت معقل المعركة، وهو منحدر الجبل القريب من الباب الشرقي[1].

---

[1]الباب الشرقي هو القريب الآن من مسجد الدراويش والمكان هو الجبل الذي يرتفع عليه الآن الضريح الكاذب المسمى ضريح سيدي عبد القادر وترتفع عليه قلعة سي عبد الله ما زالت موجودة ومكان القلعة هو أول بيت بني في العهود التاريخية الأولى بناه بني لغواط وتأسس عليه فيما بعد قصر بن بوطة والمعركة هذه وقعت في حي الضلعة الآن إلا أن أحفاد الماسونية الصليبية بعد الاستقلال نزعوا الباب الشرقي وغيره من الأبواب وأهملوا القلعة التاريخية وتركوا الضريح نكاية في المجاهدين وجعلوا المدينة بين ضريحين كاذبين ضريح الحاج عيسى ونظيره عبد القادر الجيلالي ودمروا معالم المدينة التاريخية بالكلية والله ناصر المؤمنين.

أرادت القوة المهاجمة أن تقتحم المدينة، عبر اقتحام الباب الشرقي، الملازم فارسيني Versini من الخط القتالي 60، استطاع أن يقتحم الباب الشرقي، لما تمكنت فصيلة العمال من تحطيمه رغم قوة المعركة وشدتها، لم يأتي التحطيم سهلا، لأن القوات المكلفة عجزت عن مواصلة عملها، إلا أن النقيب شوانجال، وهو تحت وقع القصف، استطاع أن يزيح الباب بواسطة فأس، ساعده في مهمته الصعبة هذه عمال الهندسة العسكرية. تمكن العمال كذلك من اسقاط ثلاث أبراج مراقبة، أحد هذه الأبراج سقوطها مكن القوات المهاجمة من الوصول مباشرة ناحية قلعة سي عبد الله، هذا البرج واقع على جدار صغير للحماية، البرجين المتبقين هما للمراقبة والدفاع، واقعان فوق الجدار الكبير، هذا الخرق في الدفاعات، وخاصة سقوط الأماكن القريبة من قلعة سي عبد الله، أفسح المجال للقوة المهاجمة أن تدخل المدينة قبل ذلك ولما تم الخرق، القوة المهاجمة وجدت لها مكان بين القلعة وضريح سي عبد القادر، هذا مكان في غاية الأهمية، لأنه يعطي لقادة الأفواج رؤية شاملة للأحياء، وتكون هي نقطة تمركز، تسعف في جعل الانتشار المنظم ممكن ومقدور عليه. استطاع القادة أن يشاهدوا من مكانهم هذا كل الزوايا، الحدائق وغابة النخل ونهاياتها، وسلاسل الأحياء وتدرجات المساكن، وضبط المرتفع من المنخفض، المدينة هي الآن خارطة قابلة للقراءة الصحيحة. قيادة العمليات لم تتعجل أمرها طالبت بحشد كل القوات المهاجمة بين نقطتين، هما قلعة سي عبد الله والباب الشرقي في ظل هذه الحركة المتسارعة، الفوج الثاني للقوة الافريقية مكن قوات من قوة الأهالي المقاتلة الرماة، أن تقتحم مناطق رخوة في الجدر المحيطة بالبساتين، وتلج بعض المناطق، وتمكنت من فتح طريق يقود ناحية المناطق الملتوية الصعبة، وعرة التسلق.

مقدمة الفوج القتالي المهاجم، استولت بشكل كامل على المكان خلف قلعة سي عبد الله، وبدأت في احتلال المنازل بالتدرج من فوق إلى أسفل، وأضحى كاف داله جزيرة منعزلة محاطة، واستعان المهاجمون بالمعاول والفؤوس وأدوات الثقب، لفتح مداخل في الجدران، واستعانت الفصائل المتخصصة بالسلالم للصعود للأسقف، وأضحت العملية هي الانتقال من فناء بيت لآخر عبر خرق الجدران. استطاعت القوات المهاجمة احتلال كل المباني العالية[1]،إلا أن الأمور أخذت منحى آخر تحولت المعركة إلى معركة مدن، استبسل فيها بني لغواط ودافعوا دفاعا مستميتا عن بيوتهم، والكثير منهم مات دون بيته وأهله، هذا التغير سيمنح فرصة للأفواج المقاتلة أن تعود للخطة الأولى، وهي

[1] معركة المدن هذه مسرحها الآن الحي المعروف بزقاق الحجاج وما جاوره الكاتب اكتفى بالوصف العسكري إلا أن الحوادث بتفاصيلها مفصلة في كتاب صيف في الصحراء ملحمة الأغواط من ملاحم الاسلام العظيمة ضد الصليبية والماسونية.

أن يلتقي الفوجان الكبيران ويتقاطعان في وسط المدينة أي ساحتها، لما يتحقق هذا التقاطع، يكون هذا إيذانا ببداية سقوط المدينة.
قوة المطاردة قوة السبايسية قوة القومية، شكلوا فوجان وأخذوا وضعية الأرتال، حاصروا مدينة الأغواط من كل النواحي، ولا سيما البساتين، وغابة النخل والمنافذ صغيرها وكبيرها، الغرض من كل ذلك منع الفارين والقبض على القادة، وهم كثر، وأكثرهم خطرا الشريف مُحَمّد بن عبد الله، ناصر بن شهرة، يحيى بن معمر، و التلي بالكحل[1].هؤلاء كلهم انتظروا الليل وهربوا، ما سقطت المدينة حتى كانت المجزرة فضيعة، المساكن، خيم القادمين من خارج المدينة المنتشرة في الساحات، الشوارع أفنية البيوت غصت بالجثث، السلطة العسكرية قامت بإحصاء، بعدما سجلت آلاف الشهادات، جمعت من الأغواط فقط، وصلت لرقم هو 2500 قتيل، أما أعداد الجرحى فهي غير قابلة للحصر. نعم يمكن أن تقع هذه المجزرة، الجنود واجهتم قوة، يأتيهم القتل من فوق رؤوسهم من ثقوب في الأسطح من تحت أقدامهم، لما غضبوا فعلوا فعلتهم هذه، لما يدخلون المنازل، وحتى يحموا أنفسهم، كانوا يقتلون كل من يجدونه بالداخل، بقية باقية قليلة من بني لغواط، هربت ناحية البساتين وغابة النخل بعد أيام خرجت، لترى ما حل بالمدينة.
سقوط مدينة الأغواط، أثره على الصحراء كل الصحراء عظيم، نحن نكلم العرب ونقول لهم، فليفقهوا ما نقول: إن فرنسا لما حازت الأغواط، حازت جزائر ثانية، وطنها ليس التل، بل وطنها هو الصحراء الكبرى.
« تطهير المدينة من الجثث احتاج وقتا وجهدا، استعانت القيادة العسكرية بأفواج كاملة، تعمل اليوم كله، ومع ذلك عجزت، بعد ثلاث أو أربع أيام من اقتحام المدينة، الجنرال بليسي تفقد بعض من المقابر الجماعية، وشاهد أن الأعمال بطيئة، وهي ضد إرادته. طلب حضور القائد الأعلى المكلف بالدفن المجاني للجثث، هذا الضابط هو شابرونChabronرجل متميز وكفء من الخط القتالي الخامس، وبخه الجنرال بليسي بقسوة، وذكره بقلة نشاط رجاله وكسلهم، وعدم قدرتهم على اتمام الأعمال المنوطة بهم.شابرون لم يرد بحدة ولا تشنج رد جوابه قائلا: « سيدي كيف نقبر الجثث بالسرعة التي أنت قتلتهم بها ! .» تراجع الجنرال وزمجر، وأخرج كلاما مألوفا حين يغضب، ثم رد على شابرون قائلا: « ما قلته أنت الآن هو ليس إلا حماقة.» الجنرال بليسي كتم غيضه، ومع ذلك لم يحقد على الضابط شابرون، ولم يعاقبه.»

[1]التلي بالكحل الرجل المؤمن المجاهد قاد أولاد نايل من أجل الدفاع عن مدينة الأغواط.

يوم 7 ديسمبر الجيش الفرنسي، أكمل مراسيم الجنازة الرسمية بكل حزن وأسى، وما يمليه الواجب والشرف العسكري في حق قائد الفوج موران جاءه الموت بعد الاصابات التي لحقته، تم دفنه في البرج بعد أيام قليلة الجنرال بوسكران هو كذلك يجد نهايته[1].

---

[1]الجنرال بوسكران الرجل الشهم الشجاع حامل روح الفروسية العرب يسمونه بوشكارة ـ صاحب الكيس ـ لأنه كان يحمل دائما بيسراه كيس تبغ ويعرف بكثرة تدخينه حتى لما أراد الأطباء بتر ساقه نتيجة اصابته في المعارك أصر على التدخين مات في غرفة صغيرة في قصبة بن سالم والآن اكراما له تم رفع برج في مدينة الأغواط وسمي باسمه حزن عليه الضباط والجنود لأنه كان لهم أبا. المؤلف

عودة الحرب ضد مُحَّد بن عبد الله ـ بعثة ورقلة، انتصارات سي حمزة ـ التنظيم السياسي للجنوب ـ مُحَّد بن عبد الله وسليمان بن جلاب ـ تمرد أولاد أم الخاوة ـ هزيمة أولاد أم الخاوة في تينجيرث 17 أكتوبر 1854 ميلادية.

المبحث الثاني

يوم اقتحام مدينة الأغواط، سي حمزة غزا الثوار غزوات عظيمة، ونشر الرعب في قصور بني ميزابلقد رأيناه، يغادر لبيض سيدي الشيخ يوم 26 نوفمبر 1852 ميلادية، أراد التحرك ناحية بريان أين وضع الثوار معسكرهم، يوم 27 كان في منطقة سي أحمد بن عباس، يوم 28 وصل آبار المقرشي غرب لا لمية، يوم 29 وصل المنيعة وصلها عن طريق واد زرقون على بعد 48 كيلومتر جنوب لا لمية، وصل حدود بلاد العطش[1] كما يسميها العرب، وحتى لا يوقفه الظمأ والحاجة إلى الماء، قرر أن يسرع الخطى ويغامر، أركب قواته الجمال واقتحم بلاد العطش، دون خوف ولا تردد.

يوم 3 ديسمبر رجاله الراكضون المسرعون، وقفوا عند واد صطافه، وجدوا راعي غنم أخبرهم أن قرب الوادي يتواجد أنصار لمحمد بن عبد الله، أخذ سي حمزة الراعي وجعله دليلا له، واصل طريقه ليلته هذه قطع فيها أرضا صعبة، مساراتها صخرية عصية عن الحركة والولوج، على حين غرة وصل بساتين بريان، ووقف عند ضفة واد النسا، ما طلع النهار خرج من الوادي إلى ناحية السهل بقي أمامه بعض الكيلومترات حتى يصل، قبل أن يصل شاهد مضارب خيم[2] ليست بالقليلة.

قوة سي حمزة الآن خمسمائة مشاة و خمسون من فرسان النخبة، هذه القوة العسكرية هي الآن احتياط مهم، يحيط بقوة المارشال دوس لوجيس بن عتاب des-logis Ben-Attab، آمر قوات السبايسية.

[1] بلاد العطش هي الأرض الصحراوية الممتدة بين الأغواط وبلاد ميزاب راجع صيف في الصحراء.

[2] القادة مُحَّد بن عبد الله ويحيى بن معمر وناصر بن شهرة أمنوا قطعان الغنم في مناطق يحميها الحلفاء بني ميزاب وتواجدوا في أماكن لا يعلمها إلا الله إلا أن حمزة خليفة لبيض سيدي الشيخ حقق معجزة في الحركة والوصول للهدف لا تقتدر عليها الآن الجيوش الحديثة الكاتب لم يتكلم عن الفظائع التي قام بها في أرض ميزاب راجع حياة حمزة في فصل كامل في كتابي تاريخ بني لقواط تناولت حياته هو وإخوته ووالده وأبناؤه ومن جاء بعدهم تعتز بهم فرنسا ليومنا هذا وتُسَوقهم على أنهم علماء ومفسرون وأئمة مساجد.

ما رفع صوت البوق بوق قوة السبايسية، قامت القومية وهاجمت العدو، حاصرت مضارب الخيم ولأن الفعل فاجأ الجميع، وقعت الجمال غنيمة في يد القومية، وتساقطت الواحد بعد الآخر، وتم رفع خيم ناصر بن شهرة، ولأن جند الخليفة سي حمزة هم عطشى،تقاذفوا على القرب يسلبوها من أعدائهم. هؤلاء الأعداء هم أمام صدمة،ما عرفوا كيف جاءهم سي حمزة، ومن أين جاءهم، وما هي الطريق التي سلكها حتى وصلهم. تدافع الأرباع لإنقاذ المخيم وأهله، تدافع الأقوياء الأشاوس، إلا أن الغزوة المفاجئة أكملها سي حمزة، وحاز غنائمها، والغنائم هي قطعان الغنم التي أمنها ناصر بن شهرة في هذا المكان الآمن. بعد هذا النصر الباهر، سي حمزة تراجع دون خوف ولا وجل، ناحية المنيعة تراجع قوة سي حمزة لم تكن سهلة، حاجته للماء وعطش الجنود لم يوقف عزيمته، يوم 13 ديسمبر وصل مدينة الأغواط ودخلها دخول المنتصر.

اقتحام مدينة الأغواط وحيازتها، وقفت عنده القيادة العسكرية الفرنسية، ووصلت إلى نتيجتين حاسمتين هما: الأولى هي مادية حيازة الأغواط هي حيازة الصحراء هي الأمان المادي، الثانية هي معنوية يجب أن يعلم أهل الصحراء، أنكم لن تكونوا أقوى من بني لغواط، ولن تمنعنا حواجز الرمال أن ننتقم بمقتضى عدالتنا، نحن وأننا نصل لعدونا نقتله ونفتك به، والعبرة لمن يعتبر.

سقوط الأغواط تأتي نتائجه باهرة مبهرة، بني ميزاب حلفاء بني لغواط ونصرتهم، يطلبون الأمان من فرنسا، جماعة بني ميزاب ووكلاؤها يوم 12 ديسمبر 1852 ميلادية،يرسلون رسالة للجنرال بليسي هذا نصها:

« باسم الله وحده[1]!

جماعة بريان كبيرهم وصغيرهم:

نحن نعلمكم كما وقع في الماضي هو واقع في المستقبل، أننا تحت طاعتكم وقيد تصرفكم، وأفعل بنا ما تحب وتريد، إن أحمد بن سالم لم يكن عدلا معنا، رأس علينا رجلا نحن لا نقبله ولا نحبه،لقد صبرنا حتى وصل الموسى العظم. لقد هربنا من حكمه، ولم نجد من يكفلنا، حتى جاء هذا الرجل[2]وأعلن وصايته علينا، ارتضيناه لنخيف العرب، ولأنك جئتنا نحن الآن نتركه، ونهرب ونلجأ إليك، إن هروبنا إليك هو الهروب للعدل، ونحن نحترمك احترام الآباء، إذا جعلتنا و أنزلتنا منزلة الأبناء سنكون لك طائعين، كما كنا من قبل، أرسل لنا الأمان.

أرسل لنا الأمان، إن رجال بريان يقولون لك: إن اليوم الذي أعلنت فيه الأرباع الحرب، يوما ما أردنا الحرب، أردنا السلام، إلا أن السلطان هو من أجبرنا ، نحن اليوم نعلن الطاعة،نحن أطفالك

---

[1]*Archives du Gouvernement général de l'Algérie*.

[2]الرجل مُحَمَّد بن عبد الله. المؤلف

أرسل لنا الأمان، وان لم تفعل أنت الفرنسي والفرنسي يأبى الخيانة، أخبرهم وأعلمهم بما تحب وتريد ولو أبيت وتمنعت، فانه لا مفر إلا إليك، نحن بين يديك فاقض ما أنت قاض فينا.»

الجنرال بليسي يرد ويضع شروطه:« إلى من يسكن المدن: غرداية مليكة بني يزقن العطف بنورة بريان مع القرارة السلام !

هي اثنان وعشرون سنة ونحن نعرفكم، تعرفون من نحن وما يمكن أن نفعل، لأن أطفالكم وتجاركم يترددون على مدننا، وقلنا لكم أن فيكم رجال عقلاء، الآن ما تفعلونه يكذب ما تقولونه. منذ سنتين وأنتم تغذوا أعداءنا في قصوركم، تكفوهم حاجة المأكل والمشرب، قطعانهم وخيمهم تأوي إليكم، أنتم من شجعهم على التمرد والعصيان، كونوا لنا أعداء ظاهرين، ولا تكونوا لنا أعداء بوجهين، لا تلعبوا معنا من يلعب هذه اللعبة مع فرنسا، هو الخاسر لا محالة.

أنا عارف ببلدكم، وأعرف حاجتكم للتجارة، افتحوا عيونكم، أنا ناصح لكم، إذا الله أعمى بصيرتكم وأضحيتم عميان سيأتيكم عذابي بمساعدة الرب، سأجعلكم تتوبون وتعودون عن غيكم.

ما يأتيكم أمري، أرسلوا مشايخ جماعتكم لسي حمزة هو وكيلكم عندي، أطردوا الأعداء وأخرجوهم من قصوركم على عجل، ولا تجعلونني أنتظر الجواب، الرب يقول: ﴿والذي لا يحب الرب يسوع مستوجب تلك اللعنة لأنه حرم المسيح ما يستحقه وحرم نفسه كل فوائد الفداء فيبقى عرضةللدينونة التي توجبها خطاياه﴾. اعتبروا تفكروا، لكم أطفال ونساء وقبور أجداد، أنتم حريصون على الدفاع عنها وحمايتها، أرجلنا لم تطأها بعد. »[1]

المنتدبون عن بلاد ميزاب، طلب منهم الذهاب إلى الجزائر العاصمة، قوافلنا العسكرية لا يمكنها البقاء طويلا في الأغواط، وطرح على القيادة العسكرية هذا السؤال الملح والعاجل والخطير في نفس الوقت: هل كسبنا هذه النقطة وأضحى لنا وضع متقدم في الصحراء؟

الجنرال بليسي فتح نقاشات موسعة من أجل الجواب عن هذا السؤال، الخطير والمهم ومما جاء في نقاشاته:

« ما عم الأمن التل الجنرال بليسي يكلم الحاكم العام، حتى انتقلت روح الثورة والعداء لفرنسا إلى الصحراء تحديدا، إلى مناطق الواحات، أين الهدوء والسكينة، هنا تأججت المشاعر الدينية في هذا المكان، الثائرون والكاذبون أدعياء النسب الشريف،وجدوا المكان الآمن، ووجدوا قواعد عمليات منها يتحركوا وينتشروا.

من أراد أن يبقي على السلم والأمان في التل، يجب أن يحوز الصحراء ويمتلكها، وإذا عجزنا وأخفقنا هي العواصف القادمة.

---

[1]أرى أن هذا النص الذي أخذته من الانجيل هو الأنسب لما جاء في الرسالة.

الطريقة المثلى التي تمنحنا القدرة على قيادة الجنوب، ومن ثمة إخضاعه، وجعل هذه المناطق الواسعة تنعم بالهدوء، وتكون الواحات واحة آمنة؟ هي كيف نخضع أهل الصحراء؟ لا التجربة الميدانية ولا منطق الأحداث، أسعفنا دائما ان رفع حمل مُحَّد بن عبد الله، أفقدنا القدرة على القراءة الصحيحة كان الظن، أن إخضاع التل هو نهاية المتاعب، ولم ننتظر ما يقع في الصحراء، كيف يكون البيت آمنا محصنا، وجزء منه غير واقف على أسس، وهو آيل للسقوطهنا مكمن الخطر من أجل ذلك وفي القريب العاجل، وجود إدارة فرنسية وقوانين منظمة للقبائل الصحراوية، أمر ملح وفي غاية الأهمية. ما فعلناه وحققناه في التل بقوة الواقع والطبيعة، نحن ملزمون بتحقيقه في الجنوب، أنا أقترح احتلال مدينة الأغواط بالمطلق، وبناء وتشييد مقر خدمات وحاجات في لبيض سيدي الشيخ وهذا العمل، قد شرعنا فيه مقدما ومنذ زمن.»

« بسكرة، بوسعادة، الأغواط، لبيض، هو خط يقود بالضرورة لجعل القبائل، التي تخيم بين هذه المناطق مجتمعة، وتصل قمة جبل سرسوخاضعة،هذه الشعوب إن ملكناها نكون مالكين بالضرورة للجنوب الواسع، ومن ثمة نمتلك قوة الحركة والمبادرة، ولا يوقفنا مانع ولا عائق.»

« هذه القبائل المدرجة في محطاتنا وفي خرائطنا، سوف تتحرك في هذه الصحاري الواسعة، وستملأ الأفق بحكم حركتها وتنقلاتها الدائمة، هذا التحرك وهذا التنقل نحن من نحكمه ونسيره، لما يخدم مصلحتنا وشأننا. لا نمنعهم من أن يعيشوا حياتهم حياة البداوة، بشرط أن يكون ذلك موافقا لمقتضياتنا، يجب أن تكون حركتهم وسعيهم واقع أما عيوننا، أخوف ما نخافه، أن يظهر لنا من يدعي النسب الشريف المزور، فيغير المعادلة ويخرج هذه الشعوب من السكينة والغفلة إلى الحركة والثورة وهذا يخالف مقاصدنا.»

« تأثير الأولياء عظيم في النفوس، كتأثير الخليفة التجاني أو سي حمزة،تأثير يوقف جموح الثائرين ويترك هذه الشعوب تبعا لنا.»

« ستجد شعوب الصحراء، ما وجده أهل التل في أنظمتنا الإدارية، وسيكتشفون المزايا الجمة وسيتحررون من القيود، التي تقيدهم ومن الأصفاد التي تصفدهم، هي قيود القياد وأصفاد الأسياد سيتعلمون منا معنى العدالة الجامعة، غير المفرقة، ويفقهون معنى الأمن الجامع. سيلتئمون ويجتمعون حولنا، حينئذ الخزينة العمومية يأتيها الغنى الوفير، لأن يوما تكون الإدارة قد أحصت الجميع وأخضعت الكل لقوة القانون، يوما تجبى الضرائب، وتدرك الدولة كيف تحصي مالها؟ وكيف تأخذ حقها من الناس وتحفظ ما لها بقوة القانون؟»

« إخضاع الأغواط يحقق لنا مكاسب إضافية:

1. تملك الأغواط وللوهلة الأولى هو يشل حركة قبائل الأرباع، و كذلك أولاد نايل ويجعل جبل العمور ملك يمين فرنسا.

2. حياة وموت بني ميزاب وجودهم وخروجهم من الحياة ،مقترن بالأغواط الماء يأتيهم من هنا،الأغواط واقعة أعالي المياه،تبقى هي الطريق الوحيد الذي تسلكه قوافلهم، إذا أرادوا الذهاب ناحية التل، وحتى يصلوا الأغواط هم يقطعون بلاد العطش، يحتاجون مسيرة أربعة أيام كاملة دون ماء.
3. أيسر شيء أن تمتلك مدينة الأغواط، يمكن أن تبقى زمنا ولا تحتاج شيئا، هي تمدك بما تحتاج، تستطيع قافلة عسكرية مكونة من ألفين من الرجال، أن تمكث أكثر من أسبوعين، تمون نفسها مما هو موجود في المدينة، وتكفي حاجتها من الماء والغذاء، مما تخزن وتنتج المدينة. سنجعل الأغواط ذلك المخزن العامر بالغذاء، ونعرضه للصحراويين ليأتوا ويأخذوا حاجتهم منه، هكذا تكون المدينة مركز عبور تجاري عظيم.
4. كتيبة تضم ستمائة رجل وسرية هما كافيتان لإبقاء المدينة محتلة، بل نستطيع أن نتجاوز ونقول أن النصر الذي حققناه، والخوف الذي زرعناه، سيبقينا قوة مرهوبة الجانب لزمن طويل قادم، سيكون لنا موقع قدم مرهوب هنا وهناك.
5. نحن نراهن على القوة الاقتصادية، التي حازتها المدينة قبل سقوطها وخرابها، هي المدينة الوفيرة المياه، المتنوعة الغلال كثيرة هي بساتينها، متنوعة هي منتجاتها.
6. الأغواط هي قاعدة عمليات ممتازة،منها تعرف أين هي الصحراء؟ وأين تبدأ؟ وأين تنتهي؟
7. قوة الواقع والوجود والقدرة على السيطرة، يجعل مدينة الأغواط المعلم الأخير الذي يحدد بوضوح، معالم بداية ونهاية هيمنتنا، بعض من يحمل روح المغامرة، يقول لما لا تكون بلاد ميزاب مسرحا جديدا للثورة والعصيان؟ نقول لهم حيازة الأغواط، ألغت قوة بني ميزاب التجارية،ونحن بعد الحيازة قادرون ومقتدرون على إخضاع بني ميزاب، إن جاء في نفوسهم وأحلامهم أن يقاوموا، هم الآن تحت قبضة أيدينا. أنا لا أنصحهم ولا أخبرهم عما يجدوا من جريرة أفعالهم، إن فعلوا ما يكيدنا ويغيظنا، أقول لهم تمهلوا وتريثوا،نحن لا نخضعكم بالحرب، هناك ما هو أيسر منها، بعض قوانين الشرطة هنا وهناك، وبعض قوانين الجمركة الجديدة تكفيكم.
8. يقول قائل بني ميزاب جبلوا على الحروب، وحبهم للعراك والنزال يسكن قلوبهم، هم هكذا في تاريخهم، لما يذهبوا في مواسم الحج، خطيب الحرم يشحن نفوسهم ضدنا بالخطب الحماسية المفعمة بالتعصب والتشنج ومع ذلك أقبل قولكم وأقول معكم أن بني ميزاب هم البديل لبني لغواط، وهذا صحيح. دعوني أخبركم، لو فكر بني ميزاب في حيازة الصحراء ستوقفهم الرمال، لن يتقدموا ناحية الأمام أبدا. القصور التي فتحت لهم زمنا جالوا وصالوا فيها هي تغلق الآن، لن يصلوا قصر الحويطة هو لنا ونحن نملكه، وكذا الأمر مع تاجرونة وغيرها من القصور، نحن الآن نحكمها ونديرها، ولا تخرج عن طاعتنا فليأخذوا طريقا غير طريق هذه القصور، ولن يجدوا عنها بديلا إلا طرق الرمال.»

الجنرال ريفيت Rivetقائد الأركان العام، اتجه إلى مدينة الأغواط بعد تكليفه بمهمة، ومهمته هي تقديم الجواب عن الأسئلة، التي طرحها بليسي وغيره من القادة. ما خرج من المدية إلا وهاجس مسك الأغواط وقتا أطول يقلقه، ما وصل المدينة حتى علم تاريخ المدينة وأهلها وسمع من العارفين،الحيثيات والمقتضيات السياسية والاقتصادية للمدينة، وتأكد من تأثير المدينة القوي في محيطها، ما انتهى من مهمته مهمة، السماع والإدراك والفحص والبيان، عاد بتصور هو أقرب ما يكون، لمشروع إداري سياسي ينظم المدينة.
ما عاد رفيت حتى طالب الوزارة الوصية بإنشاء دائرة جديدة، وطالب أن تكون الموافقة بداية مؤقتة، حتى تكتمل الصورة وتتضح معالم الطريق، بحكم التجربة والممارسة الواقعية.
القيادة السياسية العليا في العاصمة، تأمر الجنرال بليسي أن يوجه قواته ناحية التل، بعد أن تشكلت حامية قوية، مشكلة من كتيبة مشاة تعداد قواتها ستمائة رجل، وفوج مشاة تعداده ستمائة رجل، وسرية من الفرسان، وقسم من مدفعية الجبال.
النقيب دوبراي du Barail تم تعيينه وبشكل مؤقت قائد عام للمدينة، وتم تعيين شيخ علي قايد للمدينة، وتم الاسراع في إصلاح الأبراج المحمولة على الجدران والأسوار، وجعل ساحة المدينة في وضعية الدفاع.
يوم 13 نوفمبر الفوج الذي يقوده الضابط بين، ترك مدينة الأغواط متجها إلى مدينة بوسعادة في طريقه شن غزوة على قبيلة أولاد طعبة من قبائل أولاد نايل، داعمة للعصيان والثوار.
يوم 16 ديسمبر الجنرال بليسي، غادر الأغواط متجها إلى وهران مع قواته، توقف وعسكر عند قصر تاجموت، يوم 17 ديسمبر وصل عين ماضي.
ما علم الخليفة التجاني خبره، حتى جاءه وطالب منه أن يزور بيته، ويتشرف بزيارته، ويقبل الدفة، هذا الفعل من قبل رجل دين يحمل صفة الولي، هي مهمة وخاصة أن هذا الرجل قد أقسم، أن لا ينظر لوجه سلطان كائن من كان، وأنه تحدى نفوذ الأمير عبدالقادر وقزمه، هو الآن يسعد ويرحب بجنرال فرنسي، يقود فوجا قتاليا. هذا الفعل أشعر كل ضباط الفوج بالراحة، وغمرهم بالسعادة هي ثمرة يانعة طيبة من ثمار، اقتحام مدينة الأغواط المرعبة وحيازتها.
ما عاد الجنرال بليسي إلى وهران، وليعبر عن سعادته وامتنانه للخليفة التجاني، أرسل له من قبل وزارة الحربية الفرنسية، نسخة مكتوبة بخط اليد لأعمال ابن خلدون.
يوم 18 ديسمبر الجنرال يوسف وفوجه القتالي، أخذ طريقه ناحية التل.
القضاء على ثورة بني لغواط وقمع ثورتهم، مشت به الركبان، وشرف فرنسا قادة وأفرادا، وعلم من كان لا يعلم، أن فرنسا ليست بالضعف الذي توهمه الأعداء، وأن الذين فكروا في الانحياز للشريف مُحَمَّد بن عبد الله، هم الآن يعيدون حسابتهم ويحلمون بالانضمام لنا، ويطلبون الصفح ويسارعون

طالبين الأمان. ها هو الشريف وحيد معزولا، عاجز أن يعيد ترتيب بيته، أويجمع قواته كما كان يفعل دائما.

القيادة السياسية والعسكرية، مصممة على استرجاع الأغواط هيبتها ضمن السيادة الفرنسية من أجل ذلك، ارجاع القبائل إلى وضعها الطبيعي بات ملحا. النقيب دوبراي أعطى الأمان للوسطاء من أجل التحدث مع العرب، والتباحث في رجوعهم لأوطانهم، وطالبهم أن يكونوا حكماء، وهم يتكلمون مع العرب،الباب ليس مفتوحا على مصراعيه، لمن هب ودب. القصد من الحوار أن يكون مع الكبراء على شاكلة الخليفة التجاني أو سي حمزة، هؤلاء هم وحدهم من له القدرة على استعادة الأمن المفقود، وإشعار الناس بأن فرنسا تعطيهم وتوفر لهم السلام والأمان.

أما مصير قادة التمرد بن ناصر بن شهرة، يحيى ين معمر، التلي بن لكحل، هذا متروك حتى يطلب هؤلاء الأمان من فرنسا، ويعلنوا استسلامهم وخضوعهم، ولن يقبل منهم الاستسلام ولا الخضوع، إلا بأسر الشريف وتقديمه للسلطة الفرنسية أو قتله، وإن لم يفعلوا هذا الفعل فلا أمان لهم، وان فعلوه نفهم أمرهم ونتباحث في مصيرهم[1].

1 جانفي 1853 ميلادية الجنرال كامو Camou قائد وحدة الجزائر، بعث للنقيب دوبراي تعليمات مفصلة حول المهمة التي كلف بها، ويمكن أن تلخص كما يلي:

راقبوا أحرسوا بني ميزاب، أشعروهم أننا نعرف نقاط ضعفهم، أعيننا تحرسهم في مدنهم، امنعوا تواصل بني ميزاب مع غيرهم، اعزلوهم لا تتركوهم يتواصلوا مع جيرانهم[2].

نظموا وشكلوا مخازنية على كفاءة ومقدرة، واختاروا رجالهم من الأرباع الخاضعين المستسلمين واختاروا فرسان المخازنية من أولاد سعد بن سالم،واختاروهمكذلك من أبناء كبار أولاد نايل كفرسان، هم استثمار رابح للأيام القادمة، وليعلم كبار بني لغواط،أنهم إن عصوا وغابوا، هناك من يسد فراغهم، ويعمر مساكنهم.

مراقبة بني لغواط ورصد تحركاتهم، وحركتهم فوق أراضيهم الواسعة ضروري، ومن الأولويات الأولى افتحوا سوق أسبوعية، يوم الأحد في مدينة الجلفة ومثيله يوم الجمعة في الأغواط، نحن من يدير

---

[1]الرسالة كتبت في المقر العام لمدينة الأغواط يوم 14 ديسمبر 1852 ميلادية.

[2]للأسف هذه الفلسفة فلسفة عزل بني ميزاب طبقت بعد الاستقلال لما تم عزلهم عن حلفائهم التاريخيين بني لغواط مع العلم أن سكان الأغواط أمازيغ مغراوة فرع سنجاس هذا العزل جعل العصبيات الصحراوية تنفرد بهم ونحن الآن نرى ألمهم ووجعهم والله مقدر الأقدار العالم بالخفايا والأسرار.

هذه الأسواق، ويتحكم فيها، نرسل في تواريخ محددة رجالنا من الأهالي، ونرسل ضابط من مكتب العرب لرصد الأحوال، وتسوية القضايا التي قد يقع التنازع حولها.

إذا أردنا أن ننشر الأمن، ونطور آليات التواصل والاتصال، يجب أن نضع مواقع متقدمة يشرف عليها العرب للرصد والمراقبة، تتواجد في المنطقة الفاصلة بين وسارة والأغواط، هذه المواقع لا تكون مواقع مراقبة عادية، نعمرها ونضع حواليها خيم من أولاد نايل وقبائل الأرباع.

تعيين الأغواط الجلفة الحمام، أماكن تأخذ منها قبائل الأرباع وأولاد نايل، حاجتها من الغذاء ويمنع عنهم بناء صوامع الحبوب، أو حتى تخزينها.

يواصل الجنرال كامو التعليمات:

« أكمل تعليماتي وأكلمكم، حول ما تعلق بالناجين من بني لغواط، من كارثة الاقتحام الواقع يوم 4 ديسمبر، الحكمة والرؤية الثاقبة لا تخطئ. هؤلاء يكرهوننا، وهذا الكره والمقت سيدوم طويلا، الحذر ثم الحذر، لا تنخدعوا ولا يغرنكم ما تروه أو تسمعونه، قلوبهم هي عامرة بالكره والبغض في كل الأحوال هم عرب، وتعرفون ما يكن العربي لعدوه في قلبه، وإن كذبت جوارحه.»

تعداد السكان داخل مدينة الأغواط، لا يبقى كما هو، لا نترك إلا العدد القليل من السكان الأصليين، نحصيهم ونخضعهم لثقافة توزيع الماء. نحصرهم في مواعيد محددة، ونضيق عليهم مجال الحياة، ونجعله محدودا في قطعة أرض وحصة ماء، يتلقاها في موعد محدد، ان القيادة العليا ستعيد تشكيل المنظومة السكانية من جديد. ستجلب أقوام آخرين هي تختارهم، سنفكك نظام القصور المحيط بالأغواط، هذه القصور كذلك سيسكنها آخرون، لما نُسكن أشتات من الأهالي من هنا وهناك، سنفكك الروابط القديمة، ومعيار النجاح هو تقليل نسب السكان الأصليين في هذه المناطق المأهولة. منذ القدم ما تصبو إليه القيادة وتريده، أن نوجد تشكيلة سكانية غير متجانسة، وغير موحدة ومترابطة، وتكون النتيجة التي نبتغيها شعوب ضعيفة مستكينة، لا خطر يأتي من قبلها.

« أقترح تثبيت بعض من بني ميزاب داخل المدينة، سيجدون في المدينة، ما كانوا يجدونه في الساحل، وهؤلاء سيكون لهم الرأي والمشورة، فيما يخص القصر. هم سيسعفون في تطوير التجارة هنا، بفضلهم تتنوع مناحي التجارة وتتعدد، وهذا يرضينا لأننا نريد جعل مدينة الأغواط مركز عبور تجاري، تأتيه قوافل الصحراء والتل.»

«يوم 26 جانفي 1853 ميلادية وبقرار وزاري، إنشاء ملحق إداري لمكتب العرب، ملحق بالتقسيم الإداري القائم في مدينة المدية.

السبب في تشكيل هذا الملحق الإداري، هو تملك القيادة الفرنسية لأراض ومساحات جديدة يخدم هذا المرفق الاداري، موظفون عاديون ملحقون بمكاتب العرب التصنيف الثاني، بمعنى أن يتولى

ضابط من الملحقة، وليكن النقيب كاريس Carrus،يساعده ضابط برتبة نائب ويتم تعيين دوبراي du Barail قائد سرية، وفي نفس الوقت يمسك بشكل مؤقت القيادة العليا.
سيتم تشكيل سرية سادسة من قوة السبايسية، تلحق بالفوج الأول، هذه القوة عناصرها وبشكل خاص تؤخذ من الأرباع، وأولاد نايل حصريا.
القيادة العليا ستجعل مدينة الأغواط في حالة دفاع من أجل ذلك، وبشكل عاجل سيتم إصلاح أبراج المراقبة، سيتم بناء حصن في مكان قلعة أولاد سيرغين، قلعة الأحلاف المسماة قلعة سي عبد الله ،يجب أن تحصن وتزود بالسلاح الضروري، يجب هد قصبة بن سالم[1] وتحويلها إلى مستشفى عسكري، ويجب فتح مسارات وطرق، تمكن من الرصد و المراقبة.
ما تعلق بالأراضي الواقعة في غابة النخل، يستثنى منها ما تملكه عائلة بن سالم والخليفة التجاني كلها توضع تحت المراقبة القضائية، تمنح لخاصة الخاصة من الأهالي، والباقي يضم للحامية العسكرية الفرنسية، تقوم القيادة ببناء بيوت هُدمت يومي 3 و 4 ديسمبر، يوم اقتحام المدينة.
حصد الثمار لا يكتمل إلا إذا امتلكنا القدرة على التحكم في الآفاق، التي تشرف عليها مدينة الأغواط، آفاق الصحراء الكبرى يجب أن نحصر البدو في مناطقهم، ونغلق لهم الأمل في الخروج والتحرر من قبضتنا، ويكونوا كلهم في مرمى قواتنا وفيالقنا المنتشرة. يجب أن نحدث ونطور قوة المشاة، لتمتلك القدرة على التنقل السريع والمطاردة الخاطفة، وتتبع فرسان البدو وملاحقتهم، ومعرفة أماكن تواجدهم، تحقيق هذا الفعل صعب وغير يسير، ويحتاج إلى حكمة وذكاء، القيادة العسكرية هي من يقدم الحلول الذكية من أجل ذلك، وبأمر من الجنرال راندون وبتاريخ 24 جانفي 1853 ميلادية، خمسمائة من الجمال من الجنسين تم حذفها من ميزانية الحرب، وتم تعويضها بالجمال التي قدمها الثوار المستسلمون كتعويضات، وطلبا للأمان. هذه الجمال سخرت لكتيبتين من كتائب الزواف، وكتيبتين من كتائب قوة الأهالي المسلحة الرماة ليركبوها، وبالتالي تتحول هذه الكتائب إلى كتائب جمالة.
الجمال تحتاج إلى المرعى والعناية للقيام بهذه المهمة، تتناوب القبائل من أجل توفير الرعاة المرافقين لطواقم الجمالة، بمعدل رجل لكل خمسمائة جمل، هؤلاء الرعاة تتكفل القبائل بتوفير ما يحتاجونه، لتيسير عملهم كرعاة.

---

[1]هد قصبة بن سالم والسماح لهذه العائلة أن تمتلك شيء يسير من الأراضي هدفه انهاء المنظومة السياسية لمدينة الأغواط لذلك ورثة الصليبية الماسونية بعد الاستقلال حرصوا على تشويه بن سالم وعائلته ونشروا في الناس أن بن سالم هو من أدخل فرنسا إلى الأغواط وهو رحمه الله مات قبل اقتحام مدينة الأغواط ونابه في الحكم بعده أخوه يحيى بن معمر وصهره ناصر بن شهرة وعائلته هم من قاد المقاومة داخل المدينة.

المسائل العسكرية والدفاع وتحصين المدينة، لم ينسي القيادة المسائل السياسية، ولأنها عارفة جاء تحركها تحرك الفاهم الملم بتعقيدات السياسة، وتشعب مداخلها ومخارجها، ولأنها تعرف من أين تُأكل الكتف، قامت القيادة العسكرية بزيارة لعين ماضي في نهاية فيفري 1853 ميلادية تعرض على سي مُحَمَّد التجاني، دعوة لزيارة الجزائر العاصمة، السيد قَبل الزيارة وليلة سفره مرض مرضا شديدا، انتهى بوفاته هذا وقع يوم 13 مارس 1853 ميلادية.

سي مُحَمَّد التجاني ترك وريثا هو شاب صغير، أمه سيدة سوداء، ما مات الخليفة التجاني تم تعيين هذا الصغير اسمه سي البشير محل والده. المشكل الذي طرأ هو ظهور رجل مجهول لا يعرف من هو اسمه سي ريان، له مواهب وشخصية مؤثرة، جعلت الوريث الصغير ينقاد إليه وينجذب حوله، مع الزمن تحول سي ريان الرجل الأول في قصر عين ماضي، وحضي بثقة الخليفة الجديد، وأضحى هو المدبر والمسير والآمر للزاوية، زاوية يفترض أن يحكمها الخليفة سيدي البشير.

سي ريان امتلك مقاليد الحكم داخل الزاوية، ومما أمسك إدارة أموال الخليفة الشاب، هذا التدخل من قبل سي ريان، أزعج القيادة الفرنسية، كيف يفوض الحكم لرجل مجهول في زاوية تأثيرها على العباد عظيم، وخاصة في مناطق الجنوب. وصل القلق إلى السيد الحاكم العام وتدخل بصفته الشخصية، وطلب من دوبراي النظر فيما يقع ويحصل في قصبة الخليفة التجاني.

تبين أن سي ريان ما هو إلا رجل سياسي، وبعد تولي الشاب الصغير الخلافة، خاف أن تضيع مصالحه، لو مات الخليفة الجديد. فأراد أن يثبت أمره، وذلك بتوفير وريث يوجد إن غاب أو مات الخليفة الصغير، وأن يكون الوريث المحتمل من أبناء سي مُحَمَّد الأب.

قبل وفاة الأب سي مُحَمَّد وبسنوات عديدة، سي ريان باع أمة سوداء وهي حامل، هذه كانت مما يملك الخليفة، وتناقلت الشائعات خبرا أنها ولدت ابنا. سي ريان سلك هذا الطريق، وبحث عن الأمة السوداء، ووجدها في مدينة باتنة، 1856 ميلادية عاد سي ريان، ومعه الأمة وابنها هذا أحدث في الزاوية ضجة ورجة. زمن طويل وسي ريان يمسك بالطفلين، سي البشير وسي أحمد، وبقي زمنا وهو وكيلهما، هذه المكانة منحته الرياسة والقيادة في زاوية عين ماضي.

« دائرة الأغواط تم إنشاؤها وبشكل مؤقت، وبقرار وزاري صادر 26 جانفي الأخير، وتم التشكيل بشكل نهائي على الأسس التي انتظم بها بداية.»

« محرك الدائرة وقلبها النابض تشمل ما يأتي:

القصور: الأغواط، عين ماضي، تاجموت، الحويطة، العسافية، المخاليف - الزرق والجرب - قصر الحيران.

أغاليك الأرباع: الحرازلية، معامرة، الحجاج، أولاد صالح.

باشا أغليك أولاد نايل: أولاد سي أحمد، أولاد لغويني، أولاد أم هاني، العبازيز الشارف، أولاد داية، أولاد لعور، أولاد عيسى، أولاد سيدي يونس.

قصور أولاد نايل: زنينه، دمد ومسعد، زكار، حمرة، أم جبارة.

قايدات أولاد سعد بن سالم: أولاد خناثة، أولاد رقاد، أولاد يحيى بن سالم.

ملاحق واد ميزاب: بريان، غرداية، بني يزقن، مليكة، القرارة، بنورة، العطف.

مدن واد ميزاب تخضع لسلطة المراقبة السياسية، للقيادة العامة للأغواط.»

القائد الأعلى لدائرة الأغواط يتمتع بالفوائد والبدلات المستحقة التي ينالها قادة الدائرة العليا في الجزائر العاصمة.»

الجزائر يوم 22 جويلية 1853 ميلادية

الجنرال الحاكم للجزائر

راندون RANDON

القائد دوبراي تم تعيينه قائدا عاما لدائرة الأغواط، ويتم الاعلام والاخطار وفق الترتيب العام الآتي:

« المقر العام في الجزائر يوم 27 أكتوبر 1853 ميلادية، تم تشكيل دائرة الأغواط بمرسوم من السيد الحاكم العام منذ 22 جويلية، السيد دوبراي من الوحدة القتالية الخامسة الوحدة الأوروبية، تم تعيينه القائد العام لدائرة الأغواط.

الضابط السامي دوبراي كلف بهذه المهمة منذ اليوم الأول لاحتلال المدينة من قبل الفرق الفرنسية، له الحق في العلاوات والمستحقات منذ منحه هذا المنصب، بموجب قرار ملكي يوم 4 نوفمبر 1841 ميلادية المؤرخ 26 جانفي 1853 ميلادية، تاريخ التأسيس المؤقت للدائرة.

الجنرال الحاكم العام الجزائر.»

راندون

بعثة تقرت ـ هزيمة شريف ورقلة في مقرين 29 نوفمبر 1854 ميلادية ـ أعمال ترقية لمدينة الأغواط ـ القائد مار غريت ـ اعادة تنظيم طاقم الجمال ـ العلاقات مع الجنوب ـ قضية الجلفة ـ أسر مُحَمَّد بن عبد الله من قبل سي بوبكر ابن سي حمزة.

المبحث الثالث

الشريف مُحَمَّد بن عبد الله بعد اقتحام مدينة الأغواط واحتلالها، أخذ طريقه ناحية الرويسات وأعاد تجميع قواته، يوم 23 جانفي 1853 ميلادية، نجح في غزو قوم من رحمان، وضعوا خيامهم على ضفاف واد إتل.

يوم 5 مارس أحد ساكني قصر عين ماضي، أبلغ القيادة الفرنسية حضور مُحَمَّد بن عبد الله، وأنه هو وفرسانه متواجدون بين تاجرونة و الحويطة، القائد دوبراي أمر النقيب كاريس، أن يتحرك مع سرية السبايسية و مخازنية، وأمر دوبراي أن يتبع هذه القوة عن بعد، بأربع كتائب من قوة الجمالة.

تبين كذب المعلومة، وكان التأهب كاذبا، ورجعت القوة إلى قواعدها في مدينة الأغواط.

يوم 13 مارس الشريف وناصر بن شهرة تركا مدينة ورقلة، وتحركا في قوة مشكلة من 150 من الفرسان و 500 من قوة المشاة المحمولة على الجمال، لم يمرا كما هي العادة بالشبكة بأرض بني ميزاب مرا شرق القرارة، يوم 24 مارس وعلى الساعة العاشرة صباحا، غزا خيم ليست بالكثيرة لأولاد عيسى، الغزوة وقعت جنوب جبل بوكحيل، الجبل يبعد بمسافة مسيرة ثلاث أيام عن الأغواط المفاجأة كانت كبيرة والغنائم وفيرة.

الفوج القتالي المتحرك التابع للقيادة العسكرية بالأغواط، القوة مشكلة من مفرزة لقوة السبايسية وأربع كتائب مشاة قوة الجمالة، رافق الفوج قوة من القومية، هذه القوة مجتمعة وصلت مدينة مسعد وكذلك جبل بوكحيل، حضور هذه القوة الغرض منه رفع الخوف والقلق عن القبائل الحليفة.

حركة مُحَمَّد بن عبد الله وناصر بن شهرة أتت أكلها، وخاصة لما سمع الناس خبر تواجدهما في القرارة انتفض بني ميزاب في قصورهم، وأعلنوا العصيان والثورة، وأخذت الأمور مسارات خطيرة الثوار قاموا بانقلاب على السلطة المدنية القائمة، واعتبروا الوكلاء الذين اتفقوا مع القيادة الفرنسية في العاصمة خونة، طردوا بعضهم، وقتل بعضهم ذبحا بالسكاكين.

علمت القيادة الفرنسية، أن يحيى بن معمر قد توفي في ماكرونة، وأن سبب الوفاة أن الشريف سقاه سما ليمنعه من الاستسلام لفرنسا[1]،مُحَمَّد بن عبد الله جلب الانتباه شهر سبتمبر، شوهد وهو يعسكر

---

[1]الكاتب يسرد معلومة وصلت من قبل الشوافين وهم الجواسيس الرجل مات شهيدا ونحسبه كذلك أما حكاية السم تدرج في الحرب النفسية دس السم والمؤامرات ثقافة ماسونية صليبية لا يعرفها

على ضفة واد النسا من مكانه هذا، شن حملة خاطفة فاجأ أولاد سيدي طيفور، وسلبهم قطعانهم. لما أرادت القيادة الفرنسية اعتقال قايد قصر لا لمية، تم قتله مع كثير من أتباعه، وتم وقف قصر لا لمية، كحق مستحق للسلطة الفرنسية.

التلي بن لكحل لم يغب عن الساحة كقائد للثوار، لما كان الشريف وناصر يقومان بحركتهما، التلي فاجأ أولاد يحيى بن سالم نواحي مسعد وغزا وغنم، إلا أن قايد القصر طارده وتبعه، ما كان من التلي إلا أن يترك الغنائم، لينجو هو وفرسانه من مطاردة القايد. لما سمع النقيب غاليني Galinierالقائد الأعلى لقيادة الأغواط بالنيابة الخبر، أرسل النقيب كاريس لمدينة الجلفة، ليجمع قومية أولاد نايل مع من تبقى من الأرباع حلفاء فرنسا، لما خرج كاريس من الأغواط، خرجت معه قوة جمالة مشاة قوامها 250 من الرجال مع فصيلتين من قوة المطاردة الافريقية، وفصيلتين من قوة السبايسية.

الشريف مُحَمَّد بن عبد الله عسكر عند ضفة واد زقرير، لما سمع قدوم الفوج القتالي فر هاربا ناحية الرويسات، القومية لم يقبلوا فرار الشريف وطاردوه، وأحدثوا معه مناوشات قريبا من القرارة وبريان.

«الحاكم العام أراد أن ينهي وبشكل نهائي مشكلة الشريف مُحَمَّد بن عبد الله،مجال العملية العسكرية هو واسع يمتد على مسافة 482,803 كيلومتر، هذه المسافة ستتحول إلى جبهة قتال محتدمة، هذه الجبهة يطيقها فقط القومية، العاملين تحت الراية الفرنسية، هم من سيخوضها[1]، وتُترك قوات فرنسية بعيدة عن ساحة المواجهة، مهمتها المراقبة فقط، وهي قوة احتياط فقط. ستكون دراما عربية بامتياز بطلها وقائدها وموزع أدوارها هو سي حمزة، أين ما تضعه تجده، هو قوة الحركة وقوة الهجوم، إذا مشى أسرع، وإذا ضرب قتل وأوجع، أين وجهته يذهب مسرعا، تنخلع لقدومه القلوب وتجف المآقي. هو الرجل الحر المقدام المفعم بالحيوية، إذا أراد الأمر حققه وبالشكل الذي يريده، هو من يريح فرنسا ويزيح حملها، هو فقط من يدمر هذا الثائر المسمى مُحَمَّد بن عبد الله وينهيه. تحت رايته جمع 1000 فارس و 1200 من قوة المشاة، هم جنوده فرسان ومشاة أولاد سيدي الشيخ سي حمزة ليس هو بطل فرنسا الوحيد وحاميها، إذا نظرت ناحية الشرق سيأتيك بطلا آخر، الباشا آغا

هؤلاء الأبطال هؤلاء عرب ومسلمون لما يغضبوا يصفون حساباتهم بالسيف كيف يستسلم يحيى بن معمر وقد جاد بماله وأهله ومدينته وهو رجل عالم يتقن اللغتين الفرنسية والعربية أقول هذا فقط من باب فذكر إن الذكرى تنفع المؤمنين.

[1]في كتابي تاريخ بني لغواط أسميتها معركة البرانس العربي يقتل أخيه نجاح باهر لمشروع الماسونية الصليبية في الجزائر.

سي شريف بالحرش، ليس وحده جمع حواليه أولاد نايل والمستسلمين من الأرباع، الذي أبقوا على وفائهم خلاف قومهم الثائرين المنتفضين، دائما ناحية الشرق يأتي فرنسا المحبين الأوفياء انهم قومية بوسعادة و الزيبان، يجمعهم القياد يأتون من ناحية بسكرة.»

« حتى بركب العرب ركوبهم، هي ملحمة البرانس قادمة من أجل ذلك، القائد نيكوسNiqueuxدخل مدينة جيري فيل وبعدها عين ماضي، القائد دوبراي مع العقيد دارجو Dargent هما قرب عين الريش ركبا فرسيهما، وأعدا عدة الحرب، معركة البرانس على الأبواب.»

«فوج دوبراي يتشكل من 320 من الرجال يركبون الجمال[1]،وفصيلة من قوة المطاردة الافريقية الأولى، وسرية من قوة السبايسية، تكونها قوة ملحقة من أم جبارة و البرواقية.»

« الأيام الأولى لشهر نوفمبر، بدأت الحركة تؤتي أكلها، القائد دوبراي أسرع الخطى، تحرك مع قوة القومية، يوم 10 وصل بريان، يوم 16 وصل القرارة. دوبراي كان يظن أن سي حمزة سبقه وهو على يمينه، إلا أن حدث وقع عقد مهمة سي حمزة، وقع فيضان هائل غمر الوادي الذي كان يخوضه سي حمزة وجنده بالمياه، ولأنه ذكي وعارف بالصحراء وطبيعتها، توقف في مكان آمن منعزل في الهواء خارج مسارات الوادي، وخارج المدن بمسافة تزيد عن 241 كيلومتر عن مقر العمليات الذي يفترض أن يتواجد فيه، ما تأخر سي حمزة حتى أرسل الحاكم العام للقيادة بمدينة الأغواط، يطلب من التوقف و التراجع ثم الانسحاب، إلا أن سي حمزة أحدث المفاجأة وأكثر من ذلك، حقق نصرا مؤزرا لفرنسا، ودخل متليلي مظفرا منتصرا.»

سي حمزة حقق هذا النصر الكبير، بفضل الخدام والعبيد التابعين له من الشعانبة، ما عرفوا أن سي حمزة ناصر لفرنسا، حتى قاتلوا وماتوا دونه.

سي حمزة عرف أن أخواه سي النعيمي وسي الزبير في خلاف مع الشريف مُحَمَّد بن عبد الله من أجل ذلك، آثر البقاء في متليلي لينتظر نتائج تباحثه مع أخويه، وعلى ماذا استقر أمرهما، زمن قليل وجاءه الزبير مع مجموعة من الفرسان فرت من عند مُحَمَّد بن عبد الله. أعلمه أن هناك من يتنظر حضوره ومتشوق للقائه وحمل له بشرى من الشيخ الطيب بن بابية، أنه ينتظره بشوق ليفتح له أبواب نقوسه. أمام هذه الأخبار المفرحة المبهجة، سي حمزة ترك متليلي يوم 5 ديسمبر، وخلفه القائد نيكوس ليتولى ويدير الأمور في متليلي، وعاد القائد دوبراي إلى القرارة.

يتواتر النصر سي حمزة يدخل نقوسه بلا قتال، فتحت له الأبواب ولم يطلق طلقة واحدة، واتخذ نقوسه مخزنا لقوت جنده، ووضع فيه حاجاته وممتلكاته، لم يضع هذ الأقوات والحاجات داخل قصر نقوسه، بل وضعها مقابل باب من أبواب القصر. لما حقق سي حمزة هذا النصر، ضاقت الأرض بما

---

[1] *La conquête de l'Algérie de 1841 à 1857, par Camille Rousset.*

رحبت بالشريف وناصر بن شهرة ومن هم معه، وليفصح عن بعض غضبه، مُحَمَّد بن عبد الله أرسل خطابا متوعدا لسي حمزة جاء فيه: « عد إلى رشدك أيها المعتوه آه يا حمزة المرتد إلى جهنم وبئس المصير ستذهب قبلي وأنا أراك من هنا رأي العين.»[1]

الخطاب وما جاء فيه من وعيد أغضب سي حمزة، وقرر أن يتحرك ويصل الشريف، ترك متاعه وجعل عليه حرسا من قومه، وأخذ طريقه ليطارد الشريف وينتقم.

مُحَمَّد بن عبد الله معلوماته عن سي حمزة ضعيفة، وجواسيسه يمدونه بمعلومات خاطئة، ظن أن سي حمزة في نقوسه، فأراد أن يباغته وفي نفس الوقت يؤمن متاعه وقطعانه، ويوصلها إلى ورقلة.

الشوافين التابعين لسي حمزة، عرفوا خبر تحرك مُحَمَّد بن عبد الله، وأنه قادم ناحية نقوسه، فحضروا له كمين. تركوا الوضع على حاله، واختفوا وراء الجدران، وانتظروا قدومه، وما تقدم مُحَمَّد بن عبد الله وما وصل إلى مكان محسوب من قبل أعدائه، حتى تم اطلاق نار كثيث عليهم. فجأة توقف اطلاق النار، اخبر قوم سي حمزة الشريف الخبر، وأن سيدهم هو الآن قاب قوسين أو أدنى من ورقلة وكانت المفاجأة صادمة، وعلموا علم اليقين، أن سي حمزة سيحوز قطعانهم غنيمة، وقع بينهم الجدل والغضب وتفرقوا راجعين، عسى ولعل أن ينقذوا ما يمكن إنقاذه.

مُحَمَّد بن عبد الله عاد أدراجه مسرعا ليدافع وينقذ القطعان، ويوقف زحف سي حمزة، ويمنعه من دخول ورقلة أمام هول ما وقع، لم يثبت مع مُحَمَّد بن عبد الله إلا قبائل الأرباع وأولاد نايل الثوار الساعة الرابعة مساء، لحق مُحَمَّد بن عبد الله بحمزة والتقى الجمعان، سي حمزة أراد أن يحسم المعركة ليلا، إلا أن رجاله أظهروا الامتعاض والتردد.

مُحَمَّد بن عبد الله جاءته الفرصة السانحة، وجد من الزمن ما يكفيه لكي يحضر نفسه ويستعد، فهو يعرف من هو عدوه، انحاز هو وجنده إلى الكثبان الرملية، واختار منها اثنين ركبها هو وجنده واعتلاهما، فأضحى من المستحيل وصول الفرسان إليهما، لأن حركة الخيل في مثل هذه الرمال مستحيلة. هكذا شل الشريف حركة أقوى ما يمتلك سي حمزة ألا وهي الخيالة، ما أصبح الصبح حتى نهض سي حمزة، وأمر جنده باقتحام كثبان الرمل، ولا سيما من يعتليها الشريف وجنده، أعطى الحمزة الأمر بالهجوم، ما تحرك حتى جاءه الرشق بالبنادق، وغاصت حوافر الخيل في الرمال. عجز

[1]هذه عبارة فارقة في التاريخ وقف عندها المؤرخون الفرنسيون كثيرا وقالوا هي لعنة مُحَمَّد بن عبد الله ودعاؤه المستجاب حمزة وأبناؤه ماتوا كلهم في زمن متقارب والأحداث القادمة ستظهر ذلك وأطال الله عمر مُحَمَّد بن عبد الله وناصر بن شهرة وشاهدوا مصرع هؤلاء في حوادث مرعبة ستأتي مع سياق الأحداث.

فرسانه وما استطاعوا الحركة وتوقفوا، سي حمزة تقدم جنده وأحاطه كبراء جيشه وقادته، وبدأت معركة ما عرف الناس لها مثيل، معركة الحياة والموت أرضها كثبان الرمال المتحركة. قوة الشريف حققت تقدما واشتد الوطيس، وبدأت معركة أيادي وسيوف وخناجر، أصيب ناصر بن شهرة رصاصة اخترقت فخذيه، سي حمزة أصيب في وجهه[1]، ولأنه عزم على نصر فرنسا والموت دونها، رغم الآلام والجراحات نهض خاطب قومه قائلا: «الموت أو النصر» وليثبت ذلك أطلق الرصاص من مسدسه على فرسه فأرداه قتيلا، والتفت إلى جنده وأسمعهم كلاما قبيحا، ثم تحامل ووقف بين جنده، وجمع أشتاتهم وحرضهم على أن يختاروا بين الموت دون فرنسا، أو النصر المبين. اجتمع حوله قومه وما كاد أن يعلن الهجوم وقع أمرا مدهشا غريبا[2]،ما انزاح الغبار غبار المعركة» وبدأت الرؤية تتضح، يظهر فجأة رجال غريبين يجرون حصانا، ويضجون ويصرخون قائلين: « آه سي حمزة نريد الأمان نريد أن نعيش في حضن فرنسا».

«لم يصدق الناس ما شاهدوه هي الكرامة، كرامة ولي الله سي حمزة، اجتمع عليه قومه رغم جرحه وتفرق جنود مُحَمَّد بن عبد الله، ولا كلام للناس إلا عن رجال خرجوا من تحت الرمال، يطلبون من سي حمزة الأمان، بعد هذه الواقعة دخل سي حمزة مدينة ورقلة منتصرا حاملا الراية الفرنسية خفاقة».

« يوم 16 جانفي 1854 ميلادية القائد دوبراي والقائد نيكوس وصلا مدينة متليلي، بعد يومين وصل الفوج القتالي التابع للعقيد داريو قائد الوحدات القتالية لمدينة معسكر، كلفه الحاكم العام بمهمة تحضير وتهيئة المنطقة المحتلة، يكتب داريو يوم 20 جانفي يخبر الحاكم العام: « الأمور مهيأة هنا يمكنني أن أتقدم الفوج، ولا خوف علي يكفيني من الفرسان عشرون، أستطيع أن أذهب إلى ورقلة وأصلها في مدة سبعة أيام، وأمر هانئا مطمئنا بوادي ميزاب وقصوره، الآن جماعة البلد تحيط بي يغمرونني بالهدايا هي كثيرة، التمور وبيض النعام وحتى ريشه، ها أنا أجتمع مع القادة الذين حضروا من معسكر والأغواط والمدية وتيارت، نحن الآن نجلس قرب جدار هو في واحة نخل من واحات الصحراء، فعل لو اجتمع السحرة ما فعلوه ولا حققوه، من كثرة ما أحضر لنا من التمر، زاد وفاض عن حاجتنا، نحن الآن نوزعه على الجنود.»

---

[1] نجا هو وجنده من موت محقق لأنه عارف بالصحراء هو مقاتل شرس هو وجنده قاموا بأعمال تعجز عنها الجيوش النظامية أخضعوا الصحراء لفرنسا راجع حياته هو ووالده واخوته كاملة تاريخ بني لقواط.

[2] هو يجيد الدجل فعل الخوارق كما يفعل الدجالون المسلمون والهندوس والنصارى وغيرهم.

« العقيد داريو لما أراد الذهاب ناحية نقوسه لم يحتج إلا لأربعين من الرجال، نصفهم عرب والباقي من السبايسية، يوم 27 منتصف النهار شاهد قوة فرسان كبيرة تأتيه هو سي حمزة، وهذا الجمع من الفرسان الكبير هم حرسه، كعادته سي حمزة اعتلى كثبان رمل « فعل هذا الفعل ليعبر عن سعادته وهو يشاهد قائد فرنسي يقتحم الصحراء الكبرى، هي رسالة أوصلها لمن حضر وشاهده، وهو يرتقي كثبان الرمال»قبل أن يرد العقيد على التحية ويرد بمثلها، وقبل أن يظهر للخليفة سي حمزة حبه وامتنانه، آثر وبكل مودة وحنين أن يرفع له راية فرنسا ثلاثية الألوان، الرجلان عيناهما تغمرهما الدموع على من ضحى ومات دون فرنسا وحرمها، لم يصبر سي حمزة ورفع صوته، كما يرفع الجندي صوته في الملاحم العظمى، وقال للعقيد:« ما أنا إلا راية من رايات فرنسا إذا قيل لي مت سأموت دونها ولا فخر.»

«العقيد ترجل وترك حصانه ليحضن ويقبل هذا الشهم،وأبلغه التحيات الخالصة للحاكم العام الفرنسي، وأخذا طريقهما ناحية ورقلة، الطريق الآن آمنة وسالكة.»

يوم 8 فيفري على الساعة الثالثة مساء، دخل مدينة الأغواط من بابها الشمالي الجنرال راندون في نفس الوقت، يدخل المدينة العقيد داريو من باب المدينة الجنوبي، ليقدم التقرير الرسمي عن مهمته القوات المرافقة للقادة تكبدت المشاق والآلام، حتى تنجز مهامها العصيبة.

الحاكم العام الجنرال استغل هذه الفرصة السانحة الثمينة وخاطب هؤلاء الجنود قائلا:

« جنود الأفواج المقاتلة في الجنوب

أنا هنا لكي أشهد وأبدي مرضاتي وسعادتي الكاملة بالشجاعة والحماسة، التي أبديتموها في هذه الملحمة العظيمة الأخيرة.

أنا أعرف أن منكم من لم يكن له شرف القتال والنزال والفتك بالأعداء، يكفيه الشرف أنه كابد التعب والجهد والضنى، أنا أعرف ما وجدتموه في قصور بني ميزاب، أعرف كيف كانت الحرب شرسة مع هؤلاء الميزابيين، وأعرف وأقدر جهد الحرب في ورقلة ونواحيها، هو الفخر هو النصر العظيم، لقد رفعتم راية فرنسا في أماكن جديدة، لم نكن نحن نعرفها، لم نكن نحلم أن هذه المناطق قد يأتي يوما ونقتحمها من فكر في ولوج صحراء بلا ماء، لقد ظن أعداؤنا أن الصحراء تحميهم وتمنعهم.

ما أغباهم أهل الصحراء، ظنوا أن أسرار الصحراء معهم، البؤساء جئناهم على حين غرة، ومن حيث لم يحتسبوا. أيها الجنود بكم أخضعناهم، هم الآن يستسلمون، لما رأوكم قادمين من الأنحاء البعيدة أهل الجنوب مساكين، ظنوا أن الصحراء سر من أسرارهم، هم الآن يركعون ويخضون لسلطان فرنسا أنا سعيد ما أجملها من نتائج، العزة لكم ولنا، تحت حرابكم المضيئة استسلم قادة الأهالي، وهرولوا نحونا خاضعين،حرابكم صدقت ولبت نداءنا، كنتم أنتم القاهرين الظاهرين المنتصرين.

القومية ما أعذب هذا الاسم،جاءوا مجتمعين ناصرين من الشرق والغرب، وجدنا فيهم الشجاعة والزخم والعطاء، رجال أحبوا فرنسا وانتصروا لها ولأهدافها النبيلة العزيزة، فرنسا العزة والكرامة أبت إلا أن تقاسمكم هذا الفخار.

قلت لكم السعادة تغمرني، وأنا أسمع وأرى فضائل الأعمال التي قمتم بها، هي دليل القوة والانضباط هكذا أضحينا أقوياء في الجزائر، أنتم تستحقون الأوسمة أوسمة الوطن إلى أمجاد جديدة، وانتصارات متجددة تخدم الامبراطور[1].»

يوم 11 فيفري أرادت القيادة أن تستثمر هذه النتائج، أمرت أن تخضع كل القوات المسلحة لسي حمزة،وتخضع كل المناطق المستسلمة لسلطته، حكم سي حمزة يتبع مباشرة قيادة معسكر. نواحي ورقلة مجتمعة، تتحول إلا أغا ليك وهي تحت سلطة سي الزبير أخ حمزة، الشعانبة ونقوسه يختار لهم قياد، قصور بني ميزاب تدفع ضريبة سنوية، وتفرض القيادة على بني ميزاب الأمن، إذا دفعوا الضريبة السنوية، وحافظوا على الأمن الداخلي القيادة، لا تتدخل في شؤونهم الداخلية.

محمد بن عبد الله لما هزم وتراجع غادر الجزائر، وذهب إلى تونس، ليقوم بتجميع قواته هناك، ما علمت فرنسا خبره، حتى أرسلت إلى باي تونس تطلبه بطرده من أراضيها. الباي باي تونس أمره بمغادرة البلد، دخل إلى الجزائر،وذهب إلى مدينة تقرت، لينزل عند صديقه سليمان بن جلاب هذا وقع شهر ماي سنة 1854 ميلادية، ما دخل تقرت حتى أعلن الحرب من جديد على فرنسا.

الشريف وصديقه بن جلاب في شهر سبتمبر 1854 ميلادية، قاما بمحاولة للسير ناحية ورقلة، إلا أن الأغا سي الزبير تحرك نحوهما، فعادا أدراجهما إلى مدينة تقرت.

القائد دوبراي وفي هذا التاريخ نفسه، سمح للقبائل الصحراوية التابعة لواد نايل، أن تضع خيمها وتحضر قطعانها للمراعي الخصبة الموجودة شمال واد الجدي. هذه المراعي الخصيبة تقع بين يسار ضفة الوادي ومدينة مسعد،حتى تحمي القيادة هذه الهجرة، وحتى تحرس وتراقب أولاد عيسى، وأولاد أم الخوة،حيث ولاؤهم مشكوك فيه من أجل ذلك. القائد دوبراي أمر الملازم كولونا دورانوColonnad'Ornano،قائد مركز الجلفة، التوجه ناحية مسعد مع 400 من قوة القومية والمخازنية، و السبايسية و 20 من قوة الأهالي الرماة.

يوم 11أكتوبر هذا الفوج الصغير، غادر الجلفة وعسكر في مكان يسمى عين الناقه، يبعد حوالي اثنين كيلومتر عن خيم أم الخوة، الملازم قائد الفوج الصغير، كان يتحرك داخل القبائل التي حطت رحالها، قرب ضفة وادي الجدي. لما أراد الملازم أن يترك معسكره عند عين الناقه، شاهد حالة

---

[1] رواية وثقها العقيد ترومبلTrumelet في كتابه الفرنسيون في الصحراء. a conquête de l'Algérie de 1841 à 1857, par Camille Rousset المؤلف

فوضى عند أولاد الخوة، لم ينتبه كثيرا لما هو واقع، وواصل مساره في طريق سهل ومنفتح، تحرسه قوة فرسان و السبايسية يقودها المارشال دو لوغيس دو بوا جيلفيرن des logis de BoisGuilbert،فجأة سمع الناس طلق نار جاء رقيب ليخبر الملازم كولونا دورانو، أن أولاد الخوة هاجموا القوة، وأن دو بوا جيلفيرن قتل.

الملازم دورانو نادى السبايسية، و المخازنية، وقوة الأهالي الرماة، وقومية أولاد سعد بن سالم في قوة تعدادها مائة فارس،كلف القبائل التي يثق بها حراسة القافلة، وهي أكثر ثقة من أولاد داية وأولاد سي أحمد، ويمكن أن تخذله في المعركة، وتقدم المخازنية و السبايسية واقتحم بهم الأعداء، إلا أن العدو حاصره. استطاعت قوة من العدو، أن تقتل حصانه إلا أن أحد المحبين من السبايسية واسمه لخضر بن بلقاسم أنقذه، لما أعطاه فرسه، كذلك الملازم دوغالرو de Gallerand قائد قوة السبايسية فقد جواده.

بعد هذه الخديعة المؤلمة التي ظهرت على الأرض،قوة السبايسية انضمت إلى قومية أولاد سعد بن سالم، قوة الأهالي الرماة، اتخذت لها موقعا بين قمتين من أجل مراقبة حركة الأعداء، أولاد الخوة شجعهم قايد القبيلة بن هاشم، ودعاهم لمواصلة المعركة، قوة ثانية من السبايسية و المخازنية تم دفعهم ناحية الوديان. لما أرادوا أولاد الخوة التراجع، واجهتم القوة المهاجمة، فقد أولاد الخوة أكثر من عشرين من رجالهم، لو أن أولاد سعد بن سالم، نفذوا الأوامر المقدمة لهم، لما نجا رجلا واحدا من المتمردين.

الفوج القتالي خسر في هذه المعركة 4 قتلى و 9 من الجرحى، وضاع 150 من الجمال،أولاد الخوة هربوا إلى جبل بوكحيل على أمل أن يذهبوا إلى تقرت، وينضموا لقوة مُحَمَّد بن عبد الله.القائد بين وكذلك دوبراي، سارعا لملاحقة الفارين في نفس الوقت سي الشريف بلحرش وصل القرارة، طلبت القيادة من بلحرش أن يتجه ناحية طريق تقرت، ويقطع على الفارين الطريق، وحتى يعطي الوقت للجنرال غاستوGastuمهلة تمكنه من تشكيل فوج احتياط قتالي في الجلفة. فوج القائد بين اختار 130 من الفرسان الأشداء، وجزء من قوة الفرسان النظامية وفرسان من قومية بوسعادة، التحقت بالفوج القتالي في مسعد، الذي هو تحت قيادة الملازم كولونا دورانو.

القائد دوبراي ترك مدينة الأغواط يوم 14 أكتوبر مع فوج قتالي صغير، يتشكل من ثلاث كتائب مشاة: الأولى من الفوج الثاني المشاة الافريقية الخفيفة، كتيبة من قوة الأهالي الرماة الجزائر، وكتيبة من قوة المعارك الخط القتالي 25، وسرية مقاتلة من السبايسية وقومية الأرباع، هذه السرية هي تحت قيادة النقيب كاريس.

يوم 17 على الساعة الواحدة صباحا القافلة العسكرية، تركت حواسي سيدي زيان مع قوة استطلاع من فرسان، على الساعة 11 صباحا تقاطع الفوجان القتاليان التابعان، للقائد دوبراي وبين

في الأثناء النقيب كاريس التقى مع قومية الملازم كولونا دورانو، تم اللقاء عند عقلة لطرش الزمن الأول للقاء جُعل للراحة، وبعد ذلك تم الانتقال إلى واد تينجيرث، أين يعسكر الثوار.
هناك طريقان يقودان ناحية الوادي، طريق يأتي عن طريق واد الهلاق، وطريق آخر يأتي عن طريق واد بزرقين، نهاية الطريق تقود مباشرة لمعسكر أم الخوة، هم يحاولون القيام بأعمال دفاعية ما شاهدا الفوجان، فوج بين و كاريس حتى لاذوا بالفرار وتركوا قطعانهم، هذا وقع يوم 17 أكتوبر 1854 ميلادية.

الفصل السادس: تمرد أولاد سيدي الشيخ فيفري 1864 ميلادية ـ عملية فوج الأول الأغواط شهري أفريل و جوان 1864 ميلادية ـ معركة عين ماضي 26 ماي 1864 ميلادية ـ الجنرال يوسف والفوج الثاني لمدينة الأغواط سبتمبر و نوفمبر 1864 ميلادية ـ ثورة أولاد نايل ـ خضوع واستسلام الثوار نواحي العاصمة ـ تشكيل الفوج القتالي المتحرك الأغواط 29 نوفمبر 1864 ميلادية.

المبحث الأول

الأحداث المتسارعة جعلت القيادة، تفكر في احتواء مدينة تقرت، واخضاعها من أجل ذلك تحركت أفواج قتالية من النواحي العسكرية الثلاث، العقيد دوسكا ذيوDesvaux قائد الناحية العسكرية لمدينة باتنة، ترك باتنة وأخذ طريقه ناحية موقع العمليات لمدينة قسنطينة. القائد نيكوسNiqueuxانتقل إلى قصر لا لمية، وانتقل الجنرال داريوإلى مدينة جيري فيل، ليحض القومية التابعين للنقيب كولومب، بالتأهب وأمر سي حمزة أن يتجه إلى أغاليك ورقلة، وينهي تمرد مُحَمَّد بن عبد الله، والقضاء على الشريف وأتباعه.

القائد دوبراي شكل في مدينة الأغواط فوجا قتاليا متحركا، يتشكل من 400 مشاة، يركبون الجمال قوة جمالة و 70 من الفرسان من الفوج السادس، وتضم قوة من السبايسية، تعدادها 300 من فرسان الأرباع.

القائد دوبراي سار ناحية بريان، ثم ذهب إلى غرداية، ثم انتقل إلى القرارة، الغرض من الزيارة توفير الأمن ومنع بني ميزاب من التمرد، انتقل سي حمزة لواد ميزاب، ليلتقي القائد دوبراي ومن هناك تحركا ناحية تفرت، لقطع الطريق على الثوار.

العقيد دوسكا ذيو تولى قيادة أفواج باتنة و بوسعادة، فوج باتنة تعداد قواته 520 محارب التابع للخط القتالي 68 مع كتيبة لقوة الأهالي الرماة، تعدادها 110 مقاتل تابعين لناحية قسنطينة و فرقتان من قوة المطارة الافريقية الثالثة، وفوجان من قوة السبايسية التشكيل الثالث، هذه القوة مجتمعة تعداد فرسانها 600، القوة العربية حصتها في هذا التشكيل هي 1000 فارس عربي 1200 قوة مشاة عرب، هذه القوة العربية تحت أوامر القائد ليبارLiébert،القائد الأعلى للقوات بمدينة بسكرة.

قائد الفوج بين تحت أوامره 200 من المشاة و 150 من قوة الفرسان النظامية، تم دمجها من قوة المطارة الافريقية و السبايسية، مع قوة قومية من 300 فارس.

الأيام الأولى لشهر نوفمبر العقيد دوسكا ذيو أرسل قوة من القومية من 250 فارس، كقوة استطلاع أرسلها إلى واحة نخل صغيرة تسمى المراير،هذه القوة فاجأها مُحَمَّد بن عبد الله وأنهاها، نهايتهم المأساوية كانت يوم 7 نوفمبر.

قائد الفوج مارميMarmierأخذ طريقه ناحية الأمام، تحرك معه مجاميع من المقاتلين العرب وكتيبة من قوة الأهالي الرماة ناحية قسنطينة، و اثنان من سرايا السبايسية. التشكيل الثالث يوم 24 نوفمبر دخلوا واحة المراير، يوم 26 دخل مقرين[1]هي تبعد مسافة يوم واحد عن تقرت، في الأثناء فوج دوسكا ذيو دخل واحة المراير.

القيادة العسكرية أرادت منع مُحَمَّد بن عبد الله من تجميع قواته، القائد مارمي اتجه ناحية الطيبة القبلية في الطريق علم مارمي،أن مُحَمَّد بن عبد الله جمع قوة كبيرة، وهو بتقدم ناحيته، ليوقعه في معركة أرضها الكثبان الرملية،مارمي علم أنه لا طاقة له بحرب الرمال، رجع إلى مقرين.

تراجع مارمي عزز ثقة مُحَمَّد بن عبد الله، فتقدم هو و سليمان بن جلاب إلى الأمام، وكلهما عزم واصرار على مواجهة القايد مارمي.

استطاع الشريف أن يصل خصمه، وكانت معركة من أكبر معارك الصحراء، حيث تواجه أكثر من 6000مقاتل وجها لوجه، لم يحسم مُحَمَّد بن عبد الله المعركة لصالحه، ويعود الفضل في عدم حسم المعركة لصالح الشريف لقوة الأهالي الرماة، وكذلك لقوة السبايسيةوشجاعة القومية الأبطال، الذين أظهروا قوة وشجاعة منقطعة النظير.

النصر كان كبيرا العدو خسر 500 من رجاله، وخسر خمس رايات، اثنان لمحمد بن عبد الله، وثلاث لسليمان، تركوا ألف بندقية و 100 سيف هذا كله تركوه فوق أرض المعركة، حاز المنتصرون الغنائم الكثيرة.

معركة مقرين راسخة في الذاكرة الصحراوية، ولا يمكن أن تمحي أبدا، بدأ أهل الصحراء يجدون وقعها في نفوسهم هي الانتصارات القادمة، تقدم فوج بسكرة تزامن مع احتلال دزيوه من قبل قوة القومية التابعة لفوج بوسعادة، هكذا فتح الطريق لدخول مدينة تقرت. القائد دوبراي وسي حمزة قررا التوجه ناحية تقرت، قبائل واد رير و سوف و بعض من أهل الواد أعلنوا الخضوع والطاعة للسلطة الفرنسية،أمام هذا الزحف أصيب مُحَمَّد بن عبد الله وسليمان بخيبة أمل، فتركا مدينة تقرت.

يوم 2 ديسمبر الملازم روس Rose دخل مدينة تقرت، ورفع الراية الفرنسية وسط قصبة المدينة يوم 8 ديسمبر فوج دوسكا ذيو تقاطع مع فوج دوبراي في مدينة تقرت، سليمان ذهب إلى نفلة بتونس، وقرر أن يسكت الناس ويتركوه لشأنه، مُحَمَّد بن عبد الله لجأ وحيدا إلى نافزاوة.

ذهاب بن جلاب إلى تونس ولجوء الشريف إلى نافزاوة، أعطى فرصة راحة للقوات الفرنسية من هذا الخصم العنيد اللجوج، وكانت فرصة للقيادة الفرنسية أن تعيد نظام الواحات وترسي قواعد

---

[1]راجع الملحق رقم: III تقرير القائد مارمي حول معركة مقرين. المؤلف

إدارية، تنظم هذه المناطق الصحراوية، وتم كذلك الاهتمام بالأعمال التي تدخل في إعادة تهيئة هذه المناطق، من أجل إلحاقها بالمقاطعات الأخرى.

ما تم احتلال مدينة الأغواط وبشكل كامل، قررت القيادة العسكرية وعلى رأسها دوبراي القيام بأعمال عمرانية، تجعل المدينة قوية في عمرانها واقتصادها، وجعلها مدينة ترفيه للأوربيين القادمين الراغبين في الاستيطان.

فرمانتان الأديب الفرنسي زار مدينة الأغواط شهر جوان 1853 ميلادية،غرد قائلا: « مدينة الأغواط كمدن الصحراء هندسة بنائها بسيطة، هندسة تخفض المساحة لتنشر الظلال هي دروب وأحياء وأزقة، أحياؤها تعلوها أقواس في وسط الممرات المتداخلة، تكثر الزوايا وتتقاطع الخطوط حظ الشمس وأشعتها هو ضئيل بالكاد هو يخترقها، إذا نظرت وأطلت النظر، ستجد أمامك طريق طويلة لا تعرجات فيها.[1]»

« ما يشدك ويثير انتباهك أن تأتي الباب الشرقي، وتصل الباب الغربي، تكون قد قطعت المدينة بطولها من جنوبها إلى شرقها، ومن شمالها إلى غربها. لما تعلو تجد نفسك في المنتصف، الجبل يشعرك أنك واقف وقوف الشموخ بين مدينتين، واحدة علوية وأخرى سفلية، جبل يجمع بين حيي المدينة هي ضيقة، أزقتها مرصوفة بالحجر المتجعد الزلج.»

« الشارع الذي أمشيه الآن هو الحي الوحيد العامر بالمحلات، هي مقاهي و أكشاك ومحلات أغذية ومحلات أقمشة وخياطة، يديرها بني ميزاب. مما تشاهد وجود نحيفة تنفخ في الكير ودخان الفحم يملأ المكان، هم يهود أياديهم نحيفة يطرقون الحديد، يضربون بقوة قطع متوهجة وضعت على السنديان وضعا، يطرحون أرضا قطعا وأشياء معدنية كأنها لعب، صنعت من معدن الرصاص.»

الأحياء التي ذكرها فرمانتان والأزقة المتقاطعة ستزال وتستبدل بأحياء أخرى أوسع وأفسح تجعل الحركة أيسر ونتشر الراحة للمقيمين والمارين.

---

[1]كتاب صيف في الصحراء كاتبه فرمانتان أجمل ما كتب في وصف المدن وأعذب وأرقى ما كتب في مدينة الأغواط ترجمته للغة العربية وحافظت على جمال اللغة وصفاء الأسلوب هو تحفة أدبية نادرة ترك كذلك مجموعة من اللوحات الفنية جسد فيها مباني الأغواط وحياة الناس البسيطة هذه اللوحات هي بالكاد تعرف سيأتي يوما بمشيئة الرحمن وسيعيد الجيل القادم هذا الميراث العظيم وينشره أما من يسكن الأغواط أيامنا هذه هم مساكين أشتات كلمهم عن كل شيء إلا عن الأغواط الحضارة والثقافة يقول تعالى في محكم التنزيل: «وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا»

الحي الكبير الذي ذكره فرمانتان سيتم فتحه على مسافة لا تقل عن خمس أمتار، وبنيت محلات أوربية جديدة، بعدما تم التخلص من منازل العرب.

ساحة راندون[1]هي واقعة بين حيي المدينة، هي تتوسط هذه المباني الجميلة الجديدة، التي جُملت بالأقواس، هي الآن مقر الحاكم العام الأعلى والنزل الذي يقيم فيه إلى جانب مقر الحاكم العام، تجد القطاع العسكري و مكتب العرب، وبازار شيخ علي.

تجد في ساحة راندون مطحنة بنتها الهندسة العسكرية، وأجرتها لمقاول مدني.

القيادة العسكرية قامت بتهيئة ثكنات عسكرية، تتبع القطاع العسكري.

ساهمت القيادة العسكرية في إصلاح اثنين من السدود التي بناها الأهالي، وهي التي تنظم تدفق الماء ودخوله للبساتين والواحة، النقيب ذا نسوVincent من قوة الهندسة، قام بعملية فحص للتربة من أجل اختيار مكان لبناء سد على الطريقة الأوروبية[2].

يعود الفضل للقائد مارغريت الذي جعل مدينة الأغواط مهمة، وجعلها تنعم بالرخاء، بل تتفوق على مثلاتها من مدن الصحراء والتل.

شهر مارس 1855 ميلادية، ومن باب المقتضيات الواقعية، تم استدعاء مارغريت من ثنية الحد لكي يحضر لمدينة الأغواط، تم استدعاؤه من قبل المارشال راندون، حتى يخلف القائد دوبراي، وتم ترقية هذا الأخير إلى رتبة عقيد.

المارشال راندون الحاكم العام راوده حلما جميلا، وهو أن تكون مدينة الأغواط مؤسسة خدمات عامة تخدم المصالح الفرنسية، وتكون من الوسائل التي تقحم القيادة الفرنسية في الصحراء الكبرى وتوسع نفوذها، وتصل به إلى حدود السودان.

---

[1]ساحة راندون هي موجودة ليومنا هذا وأبنيتها ما زالت قائمة مهملة وهي الساحة التي يتواجد فيها القطاع العسكري القديم تقود وتطل على حي الضلعة من الناحية الخلفية.

[2]بناء سد على الطريقة الأوروبية لغز محير هل هو سد سكلافة؟ هل هو اعادة بناء للسد الروماني الذي وجدته فرنسا؟ هل هو الجسر الذي تم بناؤه ؟ ولماذا أحيط بناء الجسر بالأساطير تقول الأسطورة أن المهندس استعان بالنوى نوى التمر أي العلف ليسد منابع الماء هذا لا يقع أبدا وأن الرأي جاءه من الأهالي ما يحيرني أين ذهبت منابع رأس العيون ذكرت في اقتحام مدينة الأغواط أطلب من أهل العلم أن يبحثوا ويجيبوا لماذا تحول واد جدي من نهر إلى واد والدليل مسارات الوادي تجدها عالية ومرتفعة الرحالة الرومان قالوا واد جدي يصب في نهر النيل وجب التنبيه هذا بحث طويل ليس هذا مكانه والله الولي الحكيم.

حتى يقوم بهذه المهمة العظيمة، المارشال يحتاج لرجل حيوي ونشط وعارف بالعرب، ويكون مشروعه متمما لما بدأ به المقدم دوبراي، لا أحد يقتدر على هذه المهمة، ويقوم بها إلا القائد مارغريت .Margueritte

ما وصل مدينة الأغواط القائد العام الجديد، حتى تكفل بإعادة تنظيم القوات المسلحة، حتى يحقق هذه المهمة، هو يحتاج إلى رجال كثر من المهام التي عزم على تنفيذها، أبراج موران و بوسكران بدأت الهندسة العسكرية أعمالها، فوق القمتين التي ترتفع على إحداها قلعة سي عبد الله، وعلى الأخرى المستشفى العسكري، مع تثبيت حامية عسكرية مع مواقع للمدفعية.هذا العمل سيمكن من مسك واحة النخل، ويتيح مراقبة الفوج القتالي المتحرك أثناء الذهاب والإياب،مشكلة النقل مشكلة أساسية وعويصة في منطقة أنت تنقل فيها كل شيء، حتى الماء وخاصة لما تكون البعثات المراد إرسالها تقطع المسافات الطويلة، الحل وهو الوحيد والذي أثبتته التجارب المتكررة، هو الاستعانة بالجمال، هي الوحيدة التي ترافق القوافل، دون أن تحدث الانزعاج.

القيادة العسكرية لا تراهن على ما تطلبه من الأهالي، هم يقدمون حيوانات ضعيفة لا تصلح دائما لما نريد الخروج ونحتاجها، نطلبها من خيم الأرباع و أولاد نايل القريبة من المدينة،يأتي طلبنا متأخرا وما يقدمون إلا الضعيف والمنبوذ عندهم، هذا أحدث الانزعاج الكبير لدى القيادة العسكرية، وكان السبب في التأخر بالقيام بالمهمات،والنتائج الوخيمة المترتبة عن ذلك معروفة سلفا.

مرات عديدة احتاجت القيادة لطاقم الجمال الخاص بالقائد دوبراي،حتى يتم حمل المتاع والحاجات الأساسية للأفواج المقاتلة.

لما اعتمدت القيادة العسكرية طريقة الخيم لحفظ الجمال والعناية بها، جاءت التطبيقات معقدة وغير قابلة للتنفيذ، الجمال التي كلفت القبائل بالعناية بها جاءت نتائجها هزيلة، حتى أن بعض القبائل لما عرفت أنها جمال تابعة للقيادة العسكرية، أهملتها وتركتها.

ما جاء شهر ماي 1854 ميلادية حتى شعرت القيادة العسكرية الفرنسية في مدينة الأغواط، أن مراجعة هذا الأمر بات محسوما، وأن المقتضيات تقتضي إعادة التفكير والنظر في تشكيل طاقم الجمالة المكلفة بالنقل.

لحل هذه المعضلة تم ضم تشكيل طاقم جمالة النقل إلى الميزانية غير النظامية، التي عرفت فيما بعد ميزانية السنتيمcentimes الإضافية، وللشروع في العمل مباشرة حضر خمسون من مخازنية بوغار هم وخيمهم وقطعانهم، وسكنوا ضواحي الأغواط. كلفوا بمراقبة الجمال ورعايتها، وكذلك قيادتها وهم معفون من دفع الضرائب،يتولى رعي الجمال الرعاة التابعين لهؤلاء المخازنية.

هذا النظام الجديد لم يحل المعضلة، لم يستطع المخازنية فرض سيطرتهم على الرعاة، حتى أن بعضهم رفض التعاون معهم، ووجد فرسان المخازنية صعوبة في استبدال هؤلاء.

القائد العام مارغريت جاءته الأوامر بالرجوع للنظام الأول نظام الخيم، والاستعانة بالقبائل ومراجعته كل سنة، وهم معفون من الضرائب، ولهم حق الأفضلية في المياه، والحق في الرعي في مراعي تادميت، وكل جمال يصاحب القوافل له الحق في أجرة يومية مقدارها 50 سنتيم.
تم تشكيل طاقم له القدرة على حمل ما مقداره 400 طن من المياه، هذا وقع شهر أوت 1855 ميلادية، وظهرت مشاكل أخرى. ظهرت في عجز القيادة عن تلبية حاجياتها كاملة من التموين، اقترح القائد مارغريت الاستعانة بقبائل الأرباع وأولاد نايل في حل هذه المشكلة، كلف هؤلاء بنقل البضائع من المخازن وحملها إلى الأماكن المطلوبة، مقابل أجرة يتقاضاها الحمال نقدا ومباشرة، هذا النظام حقق نجاحا باهرا.
الهدوء الذي عرفه الجنوب لسنوات معدودة، أضاف كلفة اضافية لميزانية السنتيم الاضافية وارتفعت تكاليف رعاية الجمال، القيادة العليا لمدينة الأغواط سمحت في شهر سبتمبر 1859 ميلادية لطاقم الجمالة المشكل من خمسين جمل،التابع للقوة الأولى الأهالي الرماة، أن يدخل العمل ويسعف القيادة في الأغواط.
حركة النقل المستمرة لفائدة السلطات، تسببت في نفوق عدد كبير من الجمال، مع الزمن وجدت القيادة نفسها غير مهتمة بهذا الموضوع، موضوع طاقم جمالة النقل. لما وقع تمرد أولاد سيدي الشيخ سنة 1864 ميلادية، طاقم الجمالة في الأغواط أضحى لا وجود له، بل هو مجرد اسم يذكر في الملفات الادارية هنا وهناك.
أثناء إقامته بمدينة الأغواط، القائد مارغريت كرر زيارته لقصور بني ميزاب، وطالب من الأعيان والوكلاء ربط علاقات تجارية مع عين صالح، ومنطقة التوات، وكذلك مناطق الهقار.
رجل من ميزاب يسكن القرارة، اسمه قاسي بن زرويل، انتقل إلى عين صالح، ومنها انتقل إلى التوارقأزدجير، ولقي حاكمهم الحاج أخاموخ،قاسي نقل رسالة منهم إلى القائد الأعلى بمدينة الأغواط،هذا التطور سمح لقوافل تجارية أن تدخل منطقة التوات، ورحب الأهالي بقدوم هذه القوافل، بعض من التوارق جاء مدينة الأغواط، أحدهم يسمى الشيخ عثمان، والد الحاج أخاموخ ذهب هو وبعض أفراد من جاء معه إلى الجزائر العاصمة.
السيد اسماعيل بو دربة من مكتب العرب بالأغواط، سُمح له بالذهابلمنطقة رهات بالهقار مصاحبا الشيخ عثمان، السيد عثمان لما ذهب إلى العاصمة ذهب في حماية خاصة، ولما عاد حقق علاقات طيبة، وثبت مواثيق جيدة مع السلطة الفرنسية العليا في العاصمة الجزائر.
شهر جانفي 1860 ميلادية، تمت ترقية القائد مارغريت إلى رتبة مقدم،غادر مدينة الأغواط يوم 14 مارس من نفس السنة، والتحق بقوة المطاردة 12 التابعة للحامية العسكرية بالبليدة، ونابه في

الأغواط المقدم دو كولمب de Colomb،تم تنصيبه يوم 14 نوفمبر 1860 ميلادية، دو كولومب نابه في وظيفته السابقة دو سونيسde Sonis،هذا وقع يوم 14 نوفمبر 1860 ميلادية.
لما حل نابليون الثالث بالجزائر، بعض مدن بني ميزاب، لم تلبي الدعوة، ولم تبعث بمبعوثين أو وكلاء لحضور مراسيم الزيارة في الجزائر العاصمة.
تلقى المقدم مارغريت الأمر بالذهاب ناحية ميزاب مع القائد دو سونيس، مع قوة مشكلة من سرية من السبايسية و 100 فارس من القومية.
خرج المقدم مارغريت يوم الفاتح من ديسمبر، وعاد يوم 21 من نفس الشهر، استطاع أن يعيد الأمن ويعاقب المارقين العصاة من بني ميزاب.
ساد الأمن والهدوء الأغواط وأنحاؤها، ما عكر الجو وقوع حادثة بين ليلتي 14 و 15 أفريل، وفي غياب لمؤشرات التي قد تدل على وقوع أي حادث، عصابة تتكون مما يقرب من ستين عنصرا اقتحموا قرية الجلفة، هذه العصابة المتطرفة تنتمي إلى تنظيم سي المختار، أما محرك العصابة وعقلها هو شخص يسمى الطيب بن شندوقة[1]، هو مقدم هذا التنظيم المتعصب.
العصابة المهاجمة اقتحمت الجلفة، سلاحها العصي فقط،أفرادها اقتحموا خمس من البيوت، قتلوا بكل وحشية اثنين من الأوروبيين، وقتلوا طفلا وجرحوا ثلاث من المعمرين، نائب الحامية العسكرية بالجلفة، لما سمع الصراخ يتصاعد، خرج مع قوة الحامية، وطارد المهاجمين.
القائد دو سونيسخرج مع قومية الأربع لمطاردة المجرمين استطاع أن يلقي القبض على بعض عناصر العصابة وبشكل عاجل وسريع عُقد لها مجلس حرب، وحكم على هؤلاء بالإعدام، ونفذ الحكم في سبعة منهم رميا بالرصاص.
القيادة العسكرية بالأغواط فتحت تحقيقا موسعا، لمعرفة الأسباب الدافعة لهذه العملية الغريبة، تبين أنها عملية منعزلة، وأن لا علاقة لها بالسياسة، وليست عملية مدبرة من قبل عاملين بالسياسة، هي عمل منعزل، قام به بعض التعساء،تلاعب بهم رجل متطرف ومتعصب، اسمه الطيب بن شندوقة.
القيادة العليا اتهمت سي الشريف بلحرش بالتواطؤ، وأنه غض الطرف عن المعتدين، إلا أن هذه الاتهامات افتقدت البراهين من أجل ذلك، القيادة الفرنسية سكتت، ولم تتابع وتأخذ الأمر بجدية.
« المحاكمة السريعة للمتهمين وتنفيذ الحكم بالإعدام، وعدم السماح للعدالة لتأخذ مجراها، ولم يسمح للمتهمين بحق النقض والدفاع، أسال حبرا كثيرا،ولم ينفع تبرير القيادة الذي رأى أن الفعل كان جريئا وضروريا، بحكم مقتضيات الأحوال وتسارعها. وتم ابلاغ المارشال بليسي الحاكم العام في الجزائر الخبر في أوانه،ما أثار اللغط هو خبر قصير أرسله مراسل أحد الصحف الباريسية، أضاف للخبر

[1]الطيب بن شندوقة نجا وهرب إلى تونس. المؤلف

الصحفي تعليقات ضارة، تتعلق بطبيعة الحدث، الخبر والتعليق أحدث ضجة في العاصمة وقالوا إن الحكومة التي تم تعيينها في الجزائر، وهي حكومة عسكرية يرأسها بليسي، يفترض أن تراعي مصالح الأهالي، وأن تظهر أنها تشفق، وأن عملها يخدم هؤلاء[1].»

تمت اقالة دو سونيس من وظائفه، هذا وقع يوم 19 ماي 1861 ميلادية، وطُلب منه الرجوع إلى فوجه القتالي الأول الذي عمل به في مدينة معسكر، وتم تعيين المقدم لا بروس Labrousseليشغل مكانه.

شهر جوان 1861 ميلادية، مُحَمَّد بن عبد الله يعاود الظهور، ويشغل من جديد الطبقة السياسية.

ما خسر مُحَمَّد بن عبد الله معركة مقرين، حتى ذهب ناحية نافزاوة، هذا وقع سنة 1858 ميلادية ثم تركها وأخذ طريقه ناحية عين صالح، جمع حوله بعض المغامرين من التوارق و الشعانبة، شهر جوان 1861 ميلادية، التحق به ناصر بن شهرة،وقاما بغزوة ضد المخادمة المقيمين أمام أبواب ورقلة. علي باي قايد تقرت قرر أن يسير نحوه ليقاتله، انتقل في قوة تعدادها خمسون من الفرسان وستمائة من المشاة، جمعهم من وادي رير وسوف، التقيا قريبا من الرويسات، قايد تقرت خانه من جاء من سوف، وكانت هذه الخيانة سببا في هزيمته ونهايته.

ما علم أهل ورقلة خبر انتصار مُحَمَّد بن عبد الله، حتى أعلنوا له الطاعة والولاء قبل أن يصلهم ويأتيهم، لأن الشريف نعلم من التجارب، أن لا يخوض حرب المدن، وأن تكون معاركه في المناطق المفتوحة.

يوم 9 سبتمبر الملازم ماريوندMariandeالعامل في مكتب العرب،يتحرك مع قوة من السبايسية حتى يوقف نفوذ مُحَمَّد بن عبد الله على أهل ميزاب، هذا التحرك جاء بعدما علمت القيادة عن حركة الشريف ناحية القرارة،لحاجته الماسة للماء، وان كانت له كفاية في السلاح.هذه الحاجة الماسة جعلته يترك قواعده في الجنوب، ويتجه ناحية الشمال. يوم 12 سبتمبر على الساعة الرابعة ونصف مساء، وصل قصر الحيران، رفض السكان استقباله، القايد جلول قايد القصر، سارع وأخبر القيادة العليا في الأغواط في هذا الوقت، كانت قوة المشاة التابعة للقيادة كلها في عين البل. طلبت القيادة منها ترك أماكنها، والتنقل بسرعة ناحية الأغواط، والتعجل قدر الامكان.يوم 13 سبتمبر مساء وصلت المدينة في هذا الوقت، كان فوج السبايسية يحضر نفسه للخروج، المقدم لا بروس Labrousseأرسل مجموعة استطلاع ناحية قصر الحيران، قادها الملازم مبناريتMigneretعامل بمكتب العرب، يصاحبه بوعافية من الفوج الأول السبايسية مع 6 من فرسانه.

1Le général de Sonis, par Monseigneur Baunard.

تأكدت القيادة العسكرية في مدينة الأغواط، أن مُحَمَّد بن عبد الله، هو نفسه الموجود بقصر الحيران النقيب كليمو Clémentفائد الفوج الأول السبايسية، غادر مع فوجه مدينة الأغواط، لما علم مُحَمَّد بن عبد الله خروجه، ترك مكانه واتجه ناحية الجنوب.
يوم 13 سبتمبر شيخ علي أخذ مكان الملازمماريوند، قوة شيخ علي مكونة من 70 فارس وحوالي 100 مشاة هؤلاء من ميزاب.
شيخ علي كان ينتظر قدوم 120 من فرسان الأرباع، يقودهم الشيخ المخلص لفرنسا مُحَمَّد بن الطيب قايد المعامرة، يوم 15 سبتمبر الشوافين رصدوا حركة مُحَمَّد بن عبد الله على الساعة الخامسة مساء رجال شيخ علي كمنوا في البساتين، واجهوا قوة مُحَمَّد بن عبد الله، ما حل الليل حتى توقفت المعركة على أمل أن تستأنف من غد، استطاع مُحَمَّد بن عبد الله أن يحوز بئرا، ويأخذ حاجته من الماء.
يوم 16 صباحا ما بدأت المعركة، أعلن أولاد نايل في جيش مُحَمَّد بن عبد الله عن عدم رضاهم عن خوض هذه المعركة، من أجل ذلك مُحَمَّد بن عبد الله انسحب، كان ذلك على الساعة 11 صباحا[1].
استطاع مُحَمَّد بن عبد الله أن يصل ورقلة، رغم مطاردته من قبل القوات الفرنسية، ما كاد يصل مدينة ورقلة، حتى قطع عليه الطريق سي بوبكر ابن سي حمزة[2].الشريف غير مساره، وانتقل ناحية توات، سي بوبكر لم يتراجع، واصل مطاردته ولحق به في منطق الرق، وفي منطقة تسمى بلاد الرمل مُحَمَّد بن عبد الله وجنده عطشوا، حتى أن فرسان الشعانبة تساقطوا من شدة الظمأ، واستسلموا لعدوهم، العطش أرهق مُحَمَّد بن عبد الله، حاول أن يفر وما قدر على ذلك،بقي على حاله صابرا حتى سقط هو وحصانه أرضا من شدة الظمأ، هنا تمكن سي بوبكر من أسره.
استطاع ناصر بن شهرة أن يهرب من أعدائه، وأخذ طريقه ناحية الجريد بتونس.
الأسير مُحَمَّد بن عبد الله أقتدي إلى قصبة وهران،ويوم 6 ديسمبر تم تحويله إلى قلعة بربينيانPerpignan.
مُحَمَّد بن عبد الله ليس بالرجل العادي،هو تقلد في بلده المناصب الرفيعة، وهو الآن شيخ كبير وتعتريه أمراض كثيرة، تم تطبيق عليه قانون الجندية المعرف رقم 2 الذي يعتبر مُحَمَّد بن عبد الله أسير

---

[1]هذه المعركة لم يقتل فيها رجلا واحدا وحضور مُحَمَّد بن عبد الله كان لحاجته للماء وليس للحرب والفعل الذي قام به أولاد نايل الأحرار هو الحكمة عينها شيخ علي رحمه الله له ماله وعليه ما عليه من باب الانصاف وبعد بحث تبين لي أن يداه لم تتلطخا بالدماء وأن عمله كان من مقتضيات الحكم وفن السياسة وهو أخذ بالسياسة الحكيمة التي أخذ بها أحمد بن سالم في ديننا أن الحرب خدعة والله المطلع على القلوب.

[2]سي حمزة توفي بالعاصمة الجزائر نهاية شهر جويلية 1861 ميلادية خلفه ابنه سي بوبكر. المؤلف

حرب، يحق له الاستفادة من مزايا الأسرى كبار الضباط[1] من أجل ذلك. أعطيت له كتب عربية ومنحوه خادما يخدمه، هو عبد اسمه بلخير، هذا العبد بقي وفيا للشريف، ولم يغادره بعدما ساءت صحته تم تحويله لمدينة عنابة،وسكن عند رجل يسمى مُحَمَّد خوجة، يعمل في مكتب العرب زوجه ابنته.

منحت له حرية أكبر، كان يستطيع الحركة داخل المدينة، إلا أن السلطات منعته هو وبلخير من تجاوز المدينة.

حرب 1870[2] ميلادية قدمت ومع الاخفاقات التي عرفتها فرنسا، الأشهر الأولى من سنة 1871 ميلادية عرفت مدينة عنابة اضطرابات كباقي المدن الأخرى، تغير الأوضاع تبعه تغير في القيادات ما تغيرت القيادة في عنابة، ولم تكن عارفة بأهمية مُحَمَّد بن عبد الله، تركته ولم تهتم بأمره.

لما عاد الهدوء لمدينة عنابة، عرفت القيادة أن مُحَمَّد بن عبد الله اختفى وترك المدينة، ولا أحد يعرف أين ذهب،و ما هو مصيره. سنة 1876 ميلادية، علمت السلطات الفرنسية أن مُحَمَّد بن عبد الله وجاءت المعلومةمن قبل السفير الفرنسي في تونس، أن هو الآن هو قريب من الشيخ سي السنوسي، وهو يقيم في زاوية تابعة له هي زاوية الجبل لخضر،توفي شهر جانفي 1877 ميلادية[3].

---

[1] تمنح له 6 فرنكات و 60 سنتيم يوميا. المؤلف

[2] 1870 ميلادية الحرب الفرنسية الروسية أي الألمانية جاء النصر حليفا للألمان وتوحدت ألمانيا وسقط نابليون الثالث وكانت نهاية الامبراطورية الفرنسية الثانية وحل محلها ما يعرف بالجمهورية الثالثة ولأن فرنسا هزمت شر هزيمة تنازلت للألمان عن منطقة الألزاس واللورين ولم تستردهما فرنسا إلا مع انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الثانية كان يفترض أن تستقل الجزائر سنة 1870 ميلادية يومها إلا أن تدخل التحالف الماسوني داخل الجزائر حفظ لفرنسا وجودها ومنحها فرصة حتى استعادت قوتها فرنسا لمن لا يعرف لم تظفر في تاريخها بمعركة واحدة ولولا الحلف الماسوني ما كانت تستطيع أن تمسك حي من أحياء العاصمة.

[3] مُحَمَّد بن عبد الله المجاهد البطل رحمه الله هو من الأسماء الممنوعة تناولها ولا يعرف عنها الناس شيئا ولا يدرج في الكتب المدرسية ولم تسمى باسمه مدرسة ابتدائية واحدة هو أكبر مجاهد في تاريخ المقاومة هو وناصر بن شهرة واخوانه رحم الله الشهداء وأسكنهم فسيح الجنان.

العقيد مارغريت في الأغواط مواقع عند واد زرقون ـ حضور المقدم دو سونيس ـ أعمال الفوج القتالي 1866 ميلادية ـ هزيمة سي لعلا من قبل القومية ـ اعادة تشكيل طاقم الجمال.

المبحث الثاني

باش آغا أولاد سيدي الشيخ سي بوبكر بن سي حمزة، توفي مع بداية سنة 1862 ميلادية، خلفه أخوه سي سليمان بن سي حمزة، هذا أحد أخواله يسمى سي لعلا، ثاقب الذكاء وطموح ومحب للمجد، وجد نفسه على رأس أغاليك ورقلة. سي لعلا أثر في باش آغا الشاب،وأقنعه بالتمرد والثورة،مع بداية شهر فيفري 1864 ميلادية الشاب باش آغا لبيض سيدي الشيخ، يعلن التمرد ضد النظام الفرنسي.

يوم اعلان التمرد، كانت قبائل الأرباع تحط خيامها في النزلة، هي واقعة غرب وشرق شبكة بني ميزاب، مكان ترعى فيه قطعان الأرباع. جيراهم الشعانبة هؤلاء هم أنصار لسي لعلا، ما وصل الخبر القيادة العسكرية العليا بمدينة الأغواط، أخذت تدابير احتياطية، وطالبت بعزل القبائل كل قبيلة على حدة، واخضاعهم لنظام صارم يعزلهم بالكلية عن الثوار.

هذا النظام نظام تركيز القبائل في مناطق محددة، وجعلها تتجه ناحية الشمال،أحدث الفراغ في مناطق الشبكة،هذاأغرى الشعانبة بالإغارة على خيم لقبائل الأرباع، المتواجدة في الشبكة شبكة بني ميزاب، هي حياة وموت لقبائل الأرباع، يأتونها في رحلتهم شتاء منذ أبد الآبدين. خبر غزوة الشعانبة أحدث رجة وغضبا كبيرا، وقررت الأرباع غزو الشعانبة المعتدين، المقيمين في منطقة تسمى أم الحجاج.القائد الأعلى لمدينة الأغواط، أراد أن يوقف هذا التصعيد، لأنه إن وقع سيقود لكوارث مع العلم أن قبائل الأرباع، الآن هي قلة قليلة بالكاد تذكر.

سي سليمان تصرف بحكمة ليمنع التنازع الواقع بين الأرباع و الشعانبة، أراد أن يتجاوز فعل القيادة الفرنسية في الأغواط، ويظهر نفسه الحكيم القادر على حل هذا النزاع. وثق علاقته مع قبائل الأرباع، وليدلل على صدق نيته، أرجع القطعان التي أخذها الشعانبة، وحتى يكسب مودة الأرباع جعل نفسه متكلما وناطقا، باسم ناصر بن شهرة.

العقيد بو براترBeauprêtreالقائد الأعلى لمدينة تيارت، انتقل إلى جنوب جيري فيل يوم 8 أفريل 1874 ميلادية، وفي مكان يسمى عوينة بوبكر، هاجمته قوات خاصة، وخانه قومية لحرار قتل في الهجوم، وتعرض جنده لمذبحة كبيرة.

توفي في هذه المعركة سي سليمان، خلفه في قيادة الثوار والده سي مُحَّد، بعد هذه الأحداث، التمرد والثورة وصل جبال العمور. الأغا الدين بن يحيى دفعه قومه ليذهب ويلقى سي مُحَّد، اتسع الأمر أكثر، أولاد الشايب المحيطين بمديمة بوغار هم كذلك أعلنوا التمرد، وانضموا لسي مُحَّد، حتى يبرهن

أولاد الشايب عن صدقهم، هاجموا مفرزة لقوة السبايسية، كانت تقوم بمهمة استطلاع قرب طاقين.

لمنع وصول التمرد ناحية الشمال، قافلة عسكرية يقودها الجنرال يوسف، تأخذ طريقها ناحية الأغواط يوم 8 ماي عسكرت أمام أسوار الأغواط. قائد الفوج توماسينThomassinالقائد الأعلى لدائرة الأغواط، أحضر قومية الأرباع ليواجه تسارع الأحداث، كان على فوجه أن يتحرك بسرعة، ويحمل معه ما يحتاج من ماء وطعام بكميات كافية، ليعسكر في المكان الذي يراه مناسبا. ظهرت المشكلة الجديدة القديمة، طاقم الجمال لا وجود له، هو مكتوب فقط في الدفاتر، وكان الحل الوحيد تأمين الجمال وأخذها عنوة من القبائل، إلا أن العملية أخذت وقتا طويلا، وقبيلة الحرازلية لم تبدي التعاون المطلوب في مثل هذه الحالات.

أمام هذه التعقيدات، وبالرغم من تشكل الفوج القتالي، الجنرال يوسف تحرك ناحية جبل العمور لييسر العمل للأفواج القادمة من ناحية وهران.أراد بحركته هذه أن يزرع الاضطراب والقلق لدى سكان جبل العمور، ويضطرهم ليتركوا سي لعلا، ويهرعوا ليدافعوا عن منازلهم وممتلكاتهم.

الجنرال يوسف حول تاجرونة إلى مقر تجمع فيه حاجات ومتطلبات القوات، إلا أن الأفواج المتحركة كانت تتعرض للهجوم الدائم، وحتى نفهم الواقع يكفي أن نذكر حادثة 26 ماي، وقعت غير بعيد عن عين ماضي، الجنرال يوسف يذكرها في تقريره اليومي:

« السيد النقيب ليتلي Letellierرئيس مكتب العرب الأغواط، على الساعة الثالثة ونصف غادرت المعسكر مع قومية الأرباع، لملاقاة قافلة قادمة من الأغواط تحرسها قوة مشكلة من 50 من قوة الأهالي الرماة الجزائر، ومعها 50 من قوة السبايسية يقودها النقيب بلاس Pallas من الفوج الأول السبايسية. هذه القافلة تعرضت لهجوم قريبا من عين ماضي، هاجمها 500 ثائر من جبل العمور. قومية الأرباع واجهت المهاجمين بشجاعة هي وقائدها ليتلي، مما جعل القوة المهاجمة تتراجع المتمردون خسروا 160 بين قتيل وجريح هربوا وتركوهم، أسر فرساننا 24 من فرسانهم، وغنموا 160 بندقية وحازوا راية رفعها الثائرون.»

« هذا النصر اكتمل لما استطاعت مفرزة السبايسية، أن تقاوم قوة الفرسان المهاجمة، وتشل حركتهم مع بداية المعركة.»

« مفرزة القوة الأولى التابعة لقوة الأهالي الرماة، تحت قيادة الملازم بيرونPierron،دافعت دفاعا مستميتا عن القافلة، حيث كلف الهجوم العدو 14 قتيلا، هذا العمل هو مصدر فخر للفوج الأول رماة، وكذلك للفوج الأول السبايسية، الذين تعرضوا للهجوم الليلة البارحة،المقاتلون من جبل العمور والقومية من الأرباع أظهروا شجاعة كبرى وهم يردون العدو.»

لما تحركت الأفواج من وهران والجزائر العاصمة، قبائل جبل العمور والأغا الدين طلبوا الأمان، سي لعلا وسي مُحَمَّد تراجعا ناحية الصحراء، هم وأولاد سيدي الشيخ.
الجنرال يوسف قبل أن يعود لمدينة الأغواط، قرر أن بعاقب سكان قصر لا لمية، الذين أظهروا العداء، لما كانت الأفواج الفرنسية المقاتلة تطارد الأعداء. الفرسان النظاميون، وقوة القومية تحت امرة العقيد أبدال Abdelal، خرجت من عين ماضي يوم 2 جوان، وفاجأت قصر لا لمية يوم 3 جوان فجرا كانت الغزوة كاملة مكتملة[1].
عاد الفرسان إلى معسكر عين ماضي، يوم 3 جوان بعد منتصف اليوم، قطعوا مسافة تتجاوز 193 كيلومتر بقليل في زمن قدر بحوالي 36 ساعة.
يوم 9 جوان قافلة يوسف وضعت معسكرها،قرب أسوار مدينة الأغواط.
حدثت وقائع في مناطق أولاد الشايب،لما تم تحطيم قصر بن حماد، وقام السكان بنهب مركز الشلالة، قافلة الجنرال يوسف تركت الأغواط، وحلت بمدينة بوغار يوم 1 جويلية.
حضور القافلة لم يكبح جموح الثوار، بل زادهم عزما على مواصلة الثورة والتمرد.
قررت القيادة الفرنسية العليا، أن تسعى وتمنع تمدد العصيان والثورة ناحية الصحراء،من المقاطعة العسكرية التابعة للجزائر العاصمة، انطلقت قافلة عسكرية للاستطلاع والمراقبة، تحت قيادة العقيد أرشينارArchinardمن الفوج الأول قوة الأهالي الرماة.اتجه ناحية مرتفعات الشلف، إلا أن الأخبار تواترت، أن ناصر بن شهرة ترك تونس، واتجه إلى ورقلة، ومنها أخذ طريقه ليلقى سي لعلا ووجده قريبا من ورقلة.ما وصل ناصر حتى بدأ يراسل قبائل الأرباع، وبدأ يحضر مع كبرائها للدخول في الثورة والعصيان. الأرباع ورجال من جبل العمور، حطوا خيامهم عند مياه طاقين قافلة أرشينار، حطت رحالها في مدينة الشارف غير بعيد عن طاقين. يوم 6 أوت سي لعلا وناصر بن شهرة، وصلا طاقين مع قوة كبيرة من القومية الثائرين تعدادها 1500 فارس، قبائل الأرباع ما صدقوا الخبر، حتى انحازوا لقائدهم ناصر بن شهرة، ولأن الجماعة المقيمة معهم من أهل جبل العمور لم تكن قلوبهم مع الثوار هاجموها، هربت جماعة جبل العمور، وهرب معهم الأغا الدين، واستطاع بن ناصر كلمح بالبصر أن يستعيد قبائله جملة واحدة، ويوحد صفوفهم، ويخرجهم من طاعة فرنسا إلى الثورة ضدها. ذهل الجميع على قدرة بن ناصر الخارقة، جاء من تونس وحيدا، ولقي سي لعلا في مجموعة صغيرة، ها هو الآن له جيش وراية هي راية قبائل الأرباع، وبدأت القيادة العسكرية تطرح هذا السؤال: بعد لم شمل الأرباع وظهور بن ناصر كقوة ما هي النتائج المرتقبة ؟

[1] استباحة قصر لا لمية ليوم واحد واعتراف الجنرال يوسف أنه أراد عقابه وقتل رجاله حدث لا يسمع به أحد وكأنه لم يقع هذا هدفه مسح الذاكرة وقتل التاريخ.

سجلت القيادة الفرنسية النتيجة الأولى وهي منبهرة، قبائل الأرباع وكأنها شعوب مدربة وواعية تركت مالها وسكناتها وقطعانها، ترتع في سهول واد مزي، وتدافعوا ناحية ناصر بن شهرة، لنصرته والحرب تحت رايته[1].

ما سمع الناس خبر سي لعلا وناصر بن شهرة، حتى اجتمع من يقطنون بوغار ومناطقها مع قبائل جبل العمور، وأعلنوا الثورة وكان لهم في قبائل الأرباع المثل والأسوة، وعمت الفوضى البلد كله القوافل ومحطات توقفها الواقعة بين بوغار والجلفة، تعرضت للهجوم والسلب، الكثير من الأوروبيين قتلوا، تحركت قبائل أولاد نايل مجتمعة، من شدة التحرك أن سي الشريف بلحرش، لم يصبح بمقدوره تلبية طلبات القيادة الفرنسية، وأضحى رجلا مشكوكا في قوة سلطته على قومه، وحدث حادث مفزع للقيادة العسكرية في الأغواط، هي ثورة المخاليف الجرب. دون سابق انذار المخاليف الجرب وقفوا عند أسوار الأغواط شهرا، يعلنون العصيان، إلا أن قوتهم المحدودة، لم تسمح لهم بالقيام بعملية اقتحام للمدينة، وأعلنوا الحرب المقدسة، وقالوا أنهم ينتظرونها، أي ينتظرون قدوم قائدهم ناصر بن شهرة. ثورة المخاليف الجرب رجع صداها قصور ميزاب، كلهم ثاروا تجمعاتهم، قصورهم ما تخلف إلا قصر بريان فقط. هم كذلك أعلنوا الحرب المقدسة، وأرسلوا للثوار حاجتهم من الغذاء والذخائر والبارود،وتحرك فرسان بني ميزاب والتحقوا بالشيخ ناصر بنشهرة.لما وقعت حوادث طاقين، الأغا بو ديسة هرب فارا لمدينة الأغواط، هو كذلك بعد حين أعلن العصيان، والتحق بسي لعلا ،أمام هذا الوضع المتفاقم، دوافع الثورة والعصيان تتزايد، هذا ما قاله العقيد مارغريت للمارشال راندون في رسالة يشرح فيها الأوضاع.

«هناك تململ وقلق عند الشعوب العربية، هذا لاحظناه منذ سنتين أو ثلاث سنين، يرتد ذلك لعاداتهم الراسخة، هم لم يتقبلوا ما نقدمه لهم، هم يرفضون كل شيء يأتي من عندنا، يرفضون أكلنا لباسنا حياتنا، هي بالمجل لا تروقهم، التعصب يسكنهم منذ أمد بعيد، هم لا يتخلون عنه، هم هكذا متعصبون. ما يقوم فيهم قائم ويدعوهم للعصيان، ينزعون نحوه بالفطرة والجبلة الراسخة، وحتى لوخضعوا واستكانوا، تكفي الاشارة لتبعث فيهم التعصب متجددا على غير الحالة الأولى، لقد عرفوا أن فرنسا تعاني الانقسام، فاكتشفوا ضعفنا.»

«الاصلاحات الادارية، وما أدخلناه على المنظومة القضائية، لم يجدي ولم يغير شيئا، قيادهم هم لا شيء تغير فيهم، كذلك قبائلهم هم لا شيء تغير فيهم على خلاف اليهود، هم مثلهم ومع ذلك غيروا هندامهم مع ما يتوافق معنا، لما نصدر القرار والمرسوم، العرب عندهم لا حدث، يوجد أو لا يوجد

[1] هذا الاعتراف من قبل هذا الضابط الفرنسي الصليبي المستعمر هو وسام فخر ترفعه قبائل الأرباع ويحق لها ذلك هؤلاء هم الآباء ناصر بن شهرة يحيى بن معمر التلي بالكحل وقوافل الشهداء ولا فخر.

الأمر سيان. اليهود يتفاعلون يسألون، حتى القوانين الصارمة التي نصدرها، لا أحد من العرب يسمعها أو حتى يسأل عن معناها، هذا التجاهل خرب العلاقات بيننا وبينهم، نحن هنا وهم هناك وما أبعد المسافة بيننا، هم يتربصون يصغون لكل حركة تدفعهم ناحية التمرد، هم يريدون أن يغيروا ويمتلكوا إرادة التغيير،ما يحبسهم حاجاتهم اليومية، فقرهم وعجزهم وقلة حيلتهم.»

«ما نحن نتحمل وزره، أننا أوحينا للعرب دون أن نعي، أن الأخذ بالقوانين الادارية والقانونية هو الخراب، وأننا ما نصدره ونقدمه لهم، فرنسا تسعى من ورائه لمحقهم وازالتهم، هذا ترسب في نفوسهم وأضحى منطق تفكيرهم، هذا وظفه أعداؤنا ضدنا، وكان من المداخل التي أمدت الناس بالحماسة لقتالنا ورفض نظامنا، ها هم الآن يرفضون بالمطلق، ما نعطيهم ولو كان الماء الزلال.»

القيادة العسكرية تتوقع الهجوم على مدينة الجلفة، وحيازتها من قبل الثوار، من أجل ذلك حراسة أولاد نايل في مثل هذه الظروف ضروري وأكيد، القيادة طلبت، من أرشينار ترك مدينة الشارف والتوجه فورا ناحية الجلفة.

يوم 12 سبتمبر الجنرال يوسف، يلتحق بالعقيد أرشينار في قوة تتشكل مما يلي: 3 كتائب مشاة من قوة المطاردة زواف، ومن الفوج الأول قوة الأهالي الرماة، و5 فرق 3 من قوة الفرسان، وواحدة من الفوج الأول المطاردة الافريقية ،وواحدة من فوج السبايسية وفصيلتين تابعة لقوة المدفعية فصيلة مدفعية ميدان، وفصيلة مدفعية الجبال، المجموع الكلي لهذه القوة 2600 رجل و 750 فارس قوة الفرسان، كانت تحت امرة العقيد مارغريت، الفوج الأول مطاردة إفريقية.

الثوار واصلوا ثورتهم،مجال المعارك محصور بين مناطق بوغار ومدينة الأغواط، الثوار هاجموا القوافل الفرنسية، المؤسسات المعزولة، محطات القوافل، وصلوا وحطموا محطة قوافل سيدي مخلوف، ووصلوا إلى مراعي تادميت سلبوا وأحرقوا.

الخطة التي اعتمدها سي مُحَمَّد وسي لعلا وناصر بن شهرة، هو زرع الفراغ في هذه المناطق، وأن يوقع الجنرالات في خطأ التتبع والملاحقة، هكذا تكون الأفواج الفرنسية واقعة، بين أسنان وأضراس الثوار.

الجنرال يوسف العالم بالعرب، هو يعرف الصحراء وأهلها، ولن يقع في الخطأ أبدا، هو يعرف أن القوة الضاربة هي قوة الأرباع، قال لمستشاريه انتظروا قدوم الخريف، الأرباع سيضعون خيمهم جنوب الأغواط،ويضعوها عند شبكة بني ميزاب وجنوب جبل العمور،وينتظرون ما يأتيهم من الهضاب العليا، هي عوائدهم المتحكمة فيهم، هي رحلة الشتاء والصيف، هي حياة أو موت لقطعانهم هي مصدر رزقهم.

يوم 19 سبتمبر الجنرال يوسف كان في زنينه، القبائل الثائرة المتمردة تراجعت ناحية تاجموت، السبب أن سي لعلا كان يلتقي ابن أخيه سي مُحَمَّد، وأن الناس تكلموا عن معركة واقعة بين القائدين وقوة

الجنرال يوسف،و أن المعركة ستكون حاسمة،وأن ذهاب هذه القبائل ناحية تاجموت للمشاركة في الحرب المنتظرة، من أجل ذلك الجنرال يوسف أخذ طريقه مباشرة ناحية تاجموت.

«يوم 22 الجنرال يوسف وقافلة وصلت، وباتت ليلتها في الحاجب، هو اقامة ينزلها المسافر يبعد بعض الكيلومترات عن تاجموت، الجنرال يوسف لم يلاحظ أمرا مستغربا، أو يخرج عن الاعتياد شاهد فقط، أثارا حية وجديدة لقطعان مرت من هنا، ما لفت الانتباه أن الأثار تتبع طريق القافلة العسكرية[1].»

«عرف الجنرال يوسف أن الثوار فحصوا تاجموت ومناطقها، كما فعلوا من قبل مع زنينه، وعرفوا أن تاجموت قصر يتيح لهم ويعطيهم فرصة الدفاع والمقاومة، وكان الجميع ينتظر من الثوار، أن ينتظروا وصول القافلة، ومن ثمة يهاجمونها، إلا أنهم لم يفعلوا، تركوا القصر وأخذوا الطرق الصحراوية وفي شبه مناورة، التفوا حول هذه الطرق، وأخذوا الطريق المتجه ناحية عين ماضي، ما تحرك يوسف حتى فهم حركة الثوار، وأدرك الغاية منها.»

« يوم 22 القافلة العسكرية تصل تاجموت،لم يستطع الجنرال يوسف أن يواصل حركته، سي مُحَمَّد الولي الصالح لا يمكن مطاردته، لأن الزاد بدأ ينفذ والجنرال لا يستطيع، أن يأخذ طريق الصحراء ما بقي معه بالكاد، يرجعه لمدينة الأغواط، وحتى يغري الجنرال، سي لعلا قام بمناورات لمدة يومين كاملين، ويوم 23 وضع اقامته على ضفاف واد مزي، وفي حركة عسكرية ماهرة، انسحب وعاد للأغواط مسرعا. هنا فقد سي لعلا المبادرة، ما لم يكن يعرقه سي لعلا، أن تراجع وانسحاب الجنرال يوسف، كان الهدف منه منع وقوع معركة خاسرة، وكذلك الرجوع للأغواط ينهي الحاجة للغذاء والأهم، هو أن يمنح فرصة للعقيد أرشينار، أن يصل هو وقوته من الجلفة، يوم 24 الجنرال يوسف وصل الأغواط يوم 25 كانت له راحة بالمدينة».

« عرف الجنرال يوسف من الشوافين، أن سي مُحَمَّد هو الآن في تاجموت، وهو ينتظر حضوره دون تأخر، وعلى عجل شكل فوجا قتاليا خفيفا، يتشكل من كتيبة مشاة هي نفسها، تتشكل من ثلاث سرايا، قوة زواف وما يعادلها كتيبة الأهالي رماة،وأراد بقوته هذه أن يعاود مسار معاركه مع الثائرين. يوم 26 وبالقرب من قصر تاجموت، وعلى الساعة الثانية زوالا، ألف من الفرسان العرب مجموعة يراقبون القافلة العسكرية عن بعد، ولا يقتربون منها، هم يحاولون أن يجدوا منافذ تسعفهم في

[1] *Histoire de l'insurrection des Oulad-Sidi-Cheikh, par le colonel Trumelet.*

مهاجمة القافلة، إلا أن سعيهم لم يحالفه النجاح، طلب الجنرال يوسف من القومية، أن يوقعوا هؤلاء بجذبهم ناحية القافلة، إلا أن الثوار فهموا الكمين وانسحبوا[1].»
«الفوج القتالي الخفيف عسكر في منطقة الرشق على ضفة واد مزي، هذا وقع يوم 27 يوم 28 الجنرال نقل معسكره، ووضعه قرب مدينة الأغواط».
يوم 29 الجنرال يوسف دهب إلى مدينة الجلفة، ليلبي طلب العقيد بواذذين دو لا كروا Le Poitevin de la Croixقائد فوج بوسعادة،العقيد هو الآن يحاول منع التمرد بنواحي قسنطينة ويمنع أولاد مهدي، وأولاد عامر من الالتحاق بسي مُحَمَّد، العقيد ألحق بهم هزائم متتالية، إلا أنهم نجحوا وهربوا ناحية الغرب على طول الضفة الجنوبية لمنطقة الزراز الشرقي، في اتجاه عين مخلوف[2].
لما سمع الجنرال يوسف هذه الأنباء، أصدر الأوامر لكل من الجنرال ليبير Liébert،يضع معسكره عند قلتة السطل، وإلى العقيد قيومارGuiomarمن الخط القتالي 77 قائد الجلفة، أن يتحركا ناحية عين مخلوف، حتى يتم قطع الطريق على الثوار.
فوج قتالي آخر خفيف تولى قيادته العقيد مارغريت، وكلف بنفس المهمة الاسراع، وقطع الطريق على المتمردين.
يوم 6 أكتوبر على الساعة الخامسة مساء، العقيد قيومار ترك الجلفة مع كل قوة الحماية.
يوم 7 أكتوبر على الساعة الخامسة صباحا، الجنرال ليبير يتلقى البريد اليومي القادم من قبل الجنرال يوسف، ما قرأه حتى غادر مكانه هو وفرسانه ومدفعيته وفوج من المشاة.
العملية نجحت بشكل كامل، العدو وقع بين أفواج ليبير و قيومار، هرب الثوار وتركوا متاعهم وتخلوا عن قطعانهم، فوج مارغريت وصل مسرح العمليات على الساعة الثالثة بعد الزوال، بعدما مشى مسافة أكثر من 72 كيلومتر،سلكوا مسالك صعبة. المسار والولوج هذا في الليل، أما في النهار فهي الرمال والطرق الصعبة المسالك، عرف مارغريت في طريقه هو وجنده ألما وارهاقا قل مثيله إلا أن حل في وقته، أعان في حجز القطعان واقتياد الأسرى، ووجد كذلك في مهمته هذه العناء والمشقة.
ما سمع أهل قسنطينة هذه الأخبار، حتى أعلنوا الطاعة والاستسلام، وطالبوا القيادة الفرنسية الأمان، وتركوا ساحات المعارك، ورجعوا إلى مناطقهم.
لما قرر الجنرال يوسف السير ناحية الشمال، الولي سي مُحَمَّد وضع معسكرة في تادميت، ونادى أولاد نايل ليأتوه، وخاصة القبائل التي تسكن زنينه والشارف، وبدأ أولاد نايل في الحضور، تلبية لدعوته

[1]بنادق الثوار بدائية فرنسا مكنت قواتها من القومية والرماة والمطاردة والزواف من بنادق عصرية مداها أكبر هي من سيحسم المعارك القادمة وأضحى من الانتحار أن يتقدم أي مقاوم ويهاجم.
[2]بئر ارتوازي واقع بمنطقة الزراز الغربي. المؤلف

إلا أن الباشا آغا سي الشريف بلحرش طارد الثوار، وأراد قطع الطريق عليهم، إلا أن الثوار أوقعوه في كمين وقتلوه،إنها خسارة عظيمة لنا منذ اليوم، الذي أعلن فيه سي الشريف الطاعة لفرنسا هو الرجل الشجاع المقدام الهمام، أخوه الصغير سي بلقاسم بلحرش حل محله.
يوم 14 أكتوبر الجنرال يوسف أعاد بناء قواته، حيث ضم له القوة التابعة لقائد أرشينار، وبدأ في التحضيرات من أجل السير ناحية الجنوب،تحت قيادته 5 كتائب مشاة و 6 سرايا فرسان، تتوزع هكذا: 3 سرايا نخبة سرية مطارة إفريقية، وسرية قوة السبايسية، مع فصيلتين للمدفعية مدفعية الجبال، مجموع القوة هو 4350 مقاتل و 800 فرس مع قوة قومية من التل، تعدادها 300 ترافق الفوج القتالي. القافلة التي حضرها الجنرال يوسف، جاءت عظيمة أجمل ما في هذه القافلة أن موردها محلي، جنودها مقاتلوها فرسانها كلهم من الأهالي، مع ذلك وحتى تكتمل المهمة الجنرال يوسف يحتاج قطاعات اضافية مساعدة، تم الاستعانة بالخيول من أجل النقل وعربات مساعدة هذه القوة كلها، لم تحضر تحضيرا سليما، حضرت هكذا على عجل التعجل والمراهنة على الأهالي في تشكيل الأفواج، سببه وقف تمدد الثوار قبل فوات الأوان.
« هدف الجنرال يوسف هو ضرب هذا الولي المسمى سي مُحَمَّد، ثواره الآن يحتلون المناطق الواقعة بين الشارف و تادميت، وكان التفكير أيهما أولى بالهجوم، الشارف أولا أو تادميت، وبعد الفحص طلب من الأفواج، أخذ الطريق ناحية زنينه.هذا التوجه سيفرض على الثوار تغيير توجههم الجغرافي ويمنع عنهم طريق الماء، ويحرمهم من الذهاب، هم وقطعانهم ناحية الشمال، وسيكون لهم الخيار السيء في الحالتين، إن هم ذهبوا ناحية الجنوب الصحراء تنتظرهم، وإن هم ذهبوا ناحية الغرب أفواج الغرب تنتظرهم، نجاح الخطة كلها مرتهن بوصول الجنرال يوسف غرب جبل العمور[1]».
«يوم 15 أكتوبر ولما أراد الجنرال التحرك ناحية مدينة الشارف، هطلت أمطار غزيرة الليل كله المطر حطم الطرق، وجعل الحركة في الجبال كثيرة الشجر، متعذرة في منطقة سيلي نباء. الضباب الكثيث غطى الجبال، حتى أن الماشي ما بمقدوره، أن يرى أين يضع قدمه في مثل هذه، الظروف وكبر القافلة لم يستطع الجنرال، أن يواصل طريقه، وهنا قرر أن يأخذ الطريق الآخر المغاير، وهو طريق تادميت، هذا التحرك الجديد ألهم الجنرال فكرة، وأن يكون هو السبب في قسم المتمردين إلى قسمين».
هكذا أراد الجنرال أن يتحرك حركات متعاكسة ليقتفي أثر هذا الولي الهارب، ويمنعه من الماء والطعام، ومن ثمة التضييق عليه، حتى لا يصل منابع المياه، ولا يجد المراعي، التي تكفي قطعانه النتيجة هي أن هذا الولي سيعرف البؤس ويفتقد الراحة، ولا يجد له هدنة تسعفه في إعادة ترتيب

[1] Le général Yusuf, par le colonel Trumelet.

أموره، وأن من معه سيتعبون ويأتيهم التعب،لما يشاهدوا قطعانهم تهلك وأموالهم تضيع، هو اليوم الذي يتركونه فيه،ويجد سي مُحَمَّد الولي الصالح نفسه وحيدا.»

يوم 17 أكتوبر الجنرال يوسف وصل تادميت، ما وصل حتى وجد كل المرتفعات اعتلاها الثوار وأحكموا سيطرتها، فعلوا ذلك حتى يمكنوا قطعانهم من ترك المكان، ومنع سقوطها غنيمة لدى الجنرال يوسف، يوم 18 أكتوبر القافلة واصلت مسارها ناحية الجنود، أمام تراجع فرسان الثوار.

يوم 19 أكتوبر لما كانت القافلة، تأخذ طريقها ناحية تاجموت، تمت مهاجمتها من قبل فرسان الثوار هذا الهجوم لم يكن معركة، بل كان استعراض لقوة الثوار، كتيبتان من قوة المطارة المشاة، أوقفوا هذا الاستعراض، وانسحب الأعداء.

لما أرادت القافلة أن تتوقف الوقوف العادي للراحة في مكان يسمى العقلة، فرسان الثوار الأعداء قاموا بمناوشات ضد حراس القافلة، إلا أن الجنرال ليردهم أمر الأغا بن يحيى أن يردهم، استطاعت قومية بن يحيى أن تردهم، وساعدها في مهمتها قوة الفرسان النظامية، الفرسان الأعداء لما شاهدوا قومية بن يحيى، آثروا الانسحاب.

الجنرال فهم أن المناوشات كان غرضها منح فرصة، وذلك بتعطيل حركة القافلة، حتى تمنح فرصة للقبائل أن تأتي تاجموت، وتورد قطعانها، وتأخذ كفايتها من الماء وتمنحها من الزمن ما يكفيها، ليؤمن ذهابها سالمة، ولا يلحقها الأذى من قبل القافلة العسكرية.

ما جاء الغد حتى كانت القافلة تعسكر قرب تاجموت، لا يفصلها عن القصر إلا 4 كيلومترات، ولما أرادت الحركة ناحية الجنوب، قررت أن تتوقف عند يسار ضفة وادي مزي، إلا أن حدوث فيضان عاجل وغير مرتقب وفي انتظار نزول منسوب المياه، قرر الجنرال يوسف أن يضع الخيم وينتظر. الفيضان حاصر مجموعة كبيرة من الثوار، حاصرتها المياه في الضفة اليمنى للوادي، وبالتحديد في منطقة تكثر فيها أشجار التماريس،وتم طردهم بإطلاق أعيرة من البنادق، تكفل بهمة طردهم كتيبتان زواف وكتيبتان مطاردة مشاة، ما كان من الثوار إلا الهروب والانسحاب.

يوم 21 أكتوبر القافلة العسكرية تجتاز وادي مزي، وتتعقب طريق المنسحبين، إلا أن الثوار قطعوا مسافة أكبر، يجعل اللحاق بهم من الأمور العسيرة، وعلم الجنرال يوسف أنهم انقسموا قسمين، قسم حط في واد زرقون، يقوده سي مُحَمَّد، وقسم حط في واد النسا، يقوده ناصر بن شهرة، أمام هذه التغيرات الجنرال عاد أدراجه ناحية الأغواط.

زاد القلق عند الحاكم العام في مدينة الأغواط، وهو يسمع ويشاهد كيف أضحى جبل العمور مرتعا خصبا للثوار، يجولون ويصولون ولا يصلهم أحد،أمر الحاكم الجنرال يوسف، أن ينسق عملياته مع فوج وهران، لإنهاء التمرد الواقع في جبل العمور، وتكملة للخطة التي وضعها الحاكم، أن يأتي فوج

العاصمة جبل العمور من ناحية الجنوب الشرقي، في نفس الوقت يأتي فوج وهران ويقتحم جبل العمور.

يوم 29 أكتوبر الجنرال يوسف، ترك مدينة الأغواط وأخذ طريقه ناحية عين ماضي، وصلها الفاتح من نوفمبر، ما وصل عين ماضي حتى وصلته رسالة من قبل الجنرال دليني، أخبره أنه لا قدرة له على الحركة ناحية جبل العمور، إلا أنه أمر الجنرال مارتينوMartineauالمتواجد في زنينه، أن يذهب ناحية تاويالة مقر إقامة الأغا الدين.

يوم 3 نوفمبر قافلة الجنرال يوسف، ولجت جبل العمور عن طريق مضايق ومنحدرات واد رداد وحطت رحالها تحت جدران الغيشة، قبائل وقصور الغرب ما سمعوا خبر وصول القافلة، حتى أعلنوا الطاعة والاستسلام.

يوم 5 القافلة توقفت عند تاويالة، ولم تتقدم بسبب فيضان مفاجئ لواد المقتل، الأغا الدين حول بيته إلى مركز قيادة، وعاد يوسف هو وقافلته إلى مدينة الأغواط.

يوم 12 نوفمبر الجنرال يوسف وهو مقيم في معسكره في منطقة الرق، خضوع واستسلام عدد كبير من الثوار المقيمين في محيط بوغار، و من أولاد نايل ومن الأرباع مع تسارع الأحداث، ما بقي مع سي لعلا إلا الحرازلية، هم الأوفياء. بني ميزات كعادتهم أظهروا العداء لفرنسا، واستقبلوا حليفهم بالأمس واليوم ناصر بن شهرة، وأعطوه ما يحتاج، وعقابا للمزابيين عن سوء فعلهم وجريرتهم الشنعاء، الحاكم العام أمر بمصادرة كل قوافلهم عقوبة لهم.

يوم 16 نوفمبر الجنرال يوسف تحرك ناحية تاجرونة، ليلتقي كل من الجنرال دليني و مارتينو، ليزودهم بالطعام ووسائل النقل التي يحتاجونها.

سي مُحَمَّد تراجع ناحية واد زرقون، يوم 20 نوفمبر الجنرال يوسف عاد أدراجه لمدينة الأغواط.

قبائل الشمال والقريبة من الجزائر العاصمة أعلنت الاستسلام، هذا خفف العبء عن قافلة الجنرال يوسف.

الحاكم العام أمر الجنرال يوسف أن يشكل فوجا قتاليا متحركا، وأن يكون قائده هو العقيد مارغريت لأن خبرته واقامته الطويلة، تؤهله للقيام بهذه المهمة.

الفوج المتحرك تعداده 1500 رجل يتشكل من: ثلاث كتائب مشاة كتيبة زواف، كتيبة المطاردة الافريقية، وكتيبة الأهالي الرماة، يضاف للفوج سريتان الأولى قوة المطاردة الافريقية، والثانية فصيلة مدفعية جبال، مهمة الفوج أن يتعامل مع المقتضيات.إما أن يرصد حركة الثوار، ويتبع أثرهم وإن سنحت الفرصة يهاجم ويقاتل، من المهام التي يقوم بها الفوج المتحرك كذلك، مساعدة فوج وهران والمساهمة في تموينه، ومن الأوامر الموجهة له أن يبتعد عن الجنوب، ويترك قبائل الصحراء، ولا يستفزها، ولا يكون سببا في اقحامها في المعارك الدائرة.

يوم 29 نوفمبر الفوج المتحرك عسكر خارج الأغواط، وبالتحديد عند رأس العيون شمال مدينة الأغواط، في هذا التاريخ الجنرال يوسف و العقيد أرشينار، اتجها ناحية التل.

بدأ الجنرال يوسف يحصد ثمار تحركاته، حسم عملية عين مخلوف بالسلاح، جعل سكان قسنطينة وضواحيها يسعون ويطلبون الأمان، عاد السلم لجبل العمور وكذلك إلى جنوب العاصمة مع ذلك، لم تكون النتائج هي المرجوة، لأن بطء حركة فوج العاصمة أعطى فرصة للثوار من الهروب من مصير مفزع. هناك من حمل تبعة الاخفاق للجنرال يوسف، هؤلاء نفوسهم خبيثة وغير حريصة على مصالح فرنسا العليا، السبب ليس هو الجنرال يوسف، بل العجز عن التموين وقلة وسائط النقل، الجنرال يوسف بنى قوة كاملة من الأهالي تصدى بها للثوار، بنى هذه القوة والقبائل ثائرة تعلن الثورة، هذا الرجل استعمل البغال والخيول والعربات وكل ما هو متاح،هذه القوافل المتحركة والأفواج وجدت صعوبات جمة في حركتها، إلا أن عبقرية العقيد أرشينار والقائد دو لا كرواde la Croixبداية وتممتها عبقرية الجنرال دوكروDucrot،هؤلاء هم من تكفل بهده المهمة العظيمة.

نعم هناك وقائع غير سارة وقعت، ومع ذلك مراكزنا بقيت وأفواجنا رغم العوائق، وجدت من يمدها بالتموين واستطاعت الأفواج، أن تسعف فوج وهران وتخرجه من مآزقه،من يدين الجنرال يوسف ويقلل من قيميه، هو غير عارف بالرجل.

غزوة أولاد سيدي الشيخ لجبل العمور جانفي 1869 ميلادية ـ خروج الفوج القتالي ـ تمرد وثورة الخليفة التجاني ـ هزيمة الثوار في معركة أم الدبداب 1 فيفري 1869 ميلادية ـ اعتقال وتوقيف الخليفة التجاني.

المبحث الثالث

ما أمسك العقيد مارغريت الفوج المتحرك، وأعد العدة لتشكيل قافلتهاالعسكرية، تواصل مع قيادته العليا، وكلم المارشال ماكوهانMcMahonالحاكم العام للجنرال من أجل تشكيل طاقم جمالة في مدينة الأغواط، تعداده 1000 من الجمال بنفس الشروط والمواصفات، التي تم بها تشكيل الطاقم السابق للجمالة، الذي شكله القائد دوبراي سنة 1853 ميلادية، وفي انتظار تلبية طلبه، العقيد مارغريت شكل طاقم جمال من 400 جمل، تحصل عليها غنائم من غزوة عين مخلوف، والهدف من هذا الطاقم، أن يعتمد في نقل المياه فقط.

أحسن ما فعل العقيد مارغريت يوم 3 ديسمبر، طلب من الفوج المتحرك، أن يتجه ناحية تاجرونة والغرض هو نقل قافلة تموين، موجهة ناحية فوج دليني، تمت العملية، ولم تسجل أية حادثة تذكر.

يوم 24 ديسمبر الحاكم العام قبل فكرة تشكيل طاقم الجمالة، واشترط تشكيل وبناء مخزن في الجنوب هي فكرته راودته لما تباحث وناقش فكرة تكوين طاقم الجمال. الحاكم العام أذن للعقيد مارغريت أن يحوز مستحقات الاستسلام من القبائل، وأن له حق الاشتراط وأن يأخذ حاجته من الجمال منهم وعرف العقيد، أن حاجته الآنية العاجلة لتشكيل قوافل الجمال، لا تقل عن مائة على أقل تقدير الحاجة القاهرة والملحة، دفعت القيادة العليا في مدينة الأغواط، لتشكيل طاقم جمال تعداده 950 جمل لم يكن أمام العقيد مارغريت، إلا أن يوظف نفوذه القوي، ليشكل الطاقم الذي يريده وعاد لعادته القديمة، حيث فرض عل قبائل الأرباع المستسلمين، دفع مستحقات الاستسلام يجب أن تكون من الجمال. ووجد من يقوم بهذه المهمة العويصة، هو الغالي ابن الغالي لخضر بن مُحَمَّد ابن الفاضل الطائع مُحَمَّد بن الطيب قايد المعامرة، هكذا شيئا فشيئا ثوار الأرباع، بدأوا يستسلمون بالتتابع.

بدأ النظام يعود للأغواط ومناطقه، القائد العام قرر أن يطارد المتمردين ويقذفهم ناحية الصحراء من أجل ذلك، عسكر هو وقوته عند وادي زرقون، يوم 28 ديسمبر 1874 ميلادية، العقيد مارغريت ترك مدينة الأغواط. أخذ تموين يكفي مدة 15 يوما، وصل مدينة المنيعة، وكان الفضل في ذلك لرعاة عرب، دلوه على الطريف وأوصلوه المكان الذي يريده، هذا التحرك تم بسرية ودونعلم أحد الثوار كانوا في مناطق أبعد ناحية الجنوب، وهم يجهلون حركة الفوج، لظروف مناخية اضطر العقيد أن يمكث في المنيعة مدة، وما تحسنت الظروف حتى انتقل الفوج جنوبا، ثم عسكر عند آبار بن

ديبان، قومية الأرباع تقدموا ناحية معسكر الأعداء، المدافعون ذهلوا ولم يعرفوا من أين جاءهم الفوج، فما كان منهم إلا الفرار ومع ذلك، واصل قومية الأغواط مطاردتهم، حتى وصلوا آبار الكرت وغنموا منهم الغنائم الوفيرة.

يوم 14 جانفي الفوج القتالي دخل مدينة الأغواط.

الجنرال دليني طلب من الفوج المتحرك، أن يترك رأس العيون يوم 20 جانفي أعاد التمركز عند واد زرقون، هذا في الوقت الذي كان فيه قومية الأرباع، يقومون بغزو شعانبة متليلي في منطقة غير بعيدة عن المنيعة.

استطاعت الأفواج القتالية التابعة للقائد دليني ومارغريت، أن تحد وتسد الحركة أمام سي مُحَمَّد، ما كان أمامه إلا الحركة ناحية الغرب، وصل عند قدم قارة سيدي الشيخ، قريبا من خرائب قصر البنود،يوم 4 فيفري الجنرال دليني، أخذ نفس الطريق مع ثلاث سرايا من الخيالة النظامية، يقودهم دو غلفيتde Gallifet، ومعه كذلك 800 فارس من القومية.

على الساعة العاشرة ونصف صباحا، دو غلفيت وصل معسكر الأعداء، طلب من سرايا الخيالة البقاء معه لحراسته، وطلب من القومية الهجوم على المعسكر، وقعت مشاجرة كبيرة بين المهاجمين والمدافعين،سي مُحَمَّد[1] أصيب إصابات قاتلة، وتم حمله من قبل أنصاره.

عمت الفوضى الثوار وهربوا تاركين خيمهم وقطعانهم، وغنم القومية غنائم معتبرة، قبل أن يفارق الدنيا سي مُحَمَّد عهد بالقيادة، بعدما استشار كبار القوم، أن يكون شقيقه الأصغر سي أحمد بن حمزة هو قائدهم.

سمع سي لعلا وناصر بن شهرة خبر وفاة سي مُحَمَّد في ورقلة، أراد سي لعلا وناصر بن شهرة، أن يلحقا بسي أحمد القايد الجديد، إلا أنهما تعرضا لهجوم من قيل قومية الأرباع، عند حاسي بوربعة وما استطاع النجاة إلا بصعوبة، لما أخذا طريق الواد الغربي. بعد هذ الاخفاقات المتكررة، عم الاحباط واليأس، وأعلن سعيد عتبة و المخاليف وبني ميزاب رغبتهم في الاستسلام، بعد هذه النتائج العقيد مارغريت دخل مدينة الأغواط.

الأيام الأولى لشهر مارس، سي لعلا تقدم مجددا ناحية جبل العمور، العقيد كولمب اتجه ناحيته وكذلك فعل فوج جيري فيل، يوم 25 مارس هوجم سي لعلا قرب الشلالة، تعرض لهجومات متعددة، ما كان من سي لعلا إلا الانسحاب، ناحية الجنوب الغربي.

يوم 2 أفريل العقيد مارغريت ترك مدينة الأغواط، الغاية من خروجه، أن يغزو الثوار ويأخذ قطعانهم، هذه الغزوة ستربك الثوار وتيسر عمل فوج جيري فيل. يوم 5 أفريل وصل الحويطة، وهو

---

[1] رحم الله المجاهد الشهيد سي مُحَمَّد هو ومن هم معه.

يرافق قوة قومية تعدادها 200 فارس، يقودها سي بلقاسم بالحرش، يوم 12 الفوج وصل قصر سي الحاج الدين على طريق واد زقار، بعدما تجاوز آبار واد قيمن، ثم وصل تاجرونة، ثم لا لمية ثم المقرشي، وأخيرا وصل كرت.

قوة القومية أرسلت فرق استطلاع، اخترقت مسافات بعيدة، تجاوزت ثمانون كيلومتر، وكان حظهم وافر حيث وجدوا مجاميع من المتمردين، يهجرون أماكنهم، فأخذوهم غنيمة.

الفوج القتالي عاد إلى مدينة الأغواط، ودخلها يوم 26 أفريل.

نهاية شهر مارس الحرازلية ومن تبقى من المتمرين، المتواجدين قرب الجزائر العاصمة، وضعوا خيامهم قرب أسوار الأغواط، وأعلنوا الطاعة.

استطاع العقيد مارغريت أن يقمع التمرد، ويوقف المتمردين، والذين دخلوا معهم هذه المعركة، بدأها منذ 22 أوت 1862 ميلادية، تاريخ مغادرته للمكسيك، طلب عطلة وترك مدينة الأغواط يوم 21 جوان 1865 ميلادية، المقدم دو سنيس de Sonis خلفه في منصبه.

الفوج القتالي المتحرك عسكر شمال واحة مدينة الأغواط، عند سفح المنحدر الجنوبي لرأس العيون عند النقطة التي نسميها الآن المعسكر القديم.

« لم نستطع أن نبني لنا مأوى لنقص الخشب، كتب أحد ضباط الفوج[1]، لما نشرب الماء نشربه ممزوجا بالرمال، لما بنينا بالآجر هي الأفران المحرقة من شدة لهب الشمس، وقوة أشعتها. لما أردنا أن نقلد بناء بلدنا الأصلي في لمح البصر تكاثرت المساكن، كل واحد بناه مع ما يوافق هواه الهندسي كل واحد شكل بيته ليوافق حاجته، منهم من بنى بيته على شكل كوخ، ومنهم ن بناه على شكل شقة فردية، وهناك من أراد أن يكون بيته على شكل قلعة، ومنهم من أضاف لبيته منارة، هكذا أنت أمام أعجوبة هندسية، ترى كل شيء في هذا المجمع السكني، هناك من بنى بيته على شكل سرداب وقس على ذلك.

الحاجة أم الاختراع، صنعنا الأبواب من صناديق البسكويت، واستفدنا من دوائر البراميل الحديدية لنجعلها شرفات، حتى نبات الحلفاء أدخلناه في هندسة البناء، وجعلنا منه موانع وحواجز توقف قوة الريح، وتقلل من شدة العواصف. هذا المجمع توسع ومع الزمن سكنه الضباط، وأضحى لهم موقعا خاصا بهم رغم عشوائية الحي، حافظ على نظافته وكذلك حيويته، وتبادل ساكنيه حياة الفرح والمرح، وممن شاركنا السكن الغزلان، أحضرها لنا الجنود كنا ندربها ونمرنها، لتجري وتقفز على ساقين رقيقتين ورشيقتين، كأنها صقلتا من معدن النحاس».

---

[1]M. Charles Lagarde.

شهر أوت سنة 1865 ميلادية، أراد ابني الخليفة التجاني، أن يتحررا من وصاية سي ريان، طالباه بتقديم حسابات الزاوية، هذا الفعل لم يكن مطلب ابني الخليفة فقط، بل هو طلب سكان عين ماضي كلهم، وحتى يوثق هذا الطلب، استعانوا بأخ شيخ علي وهو بن ناصر بن سالم. هذا الأخير حمل الشكوى إلى قائد القطاع العسكري بالمدية، وتم قبول الدعوة، سي أحمد ابن الخليفة التجاني عين سيدا لزاوية عين ماضي، الخليفة الجديد حتى ينهي أمر سي ريان بشكل نهائي، اشترى منه ممتلكاته داخل قصر عين ماضي، سي ريان اختار الذهاب إلى الأغواط هو وعائلته.

ما وصل المقدم دو سنيس الأغواط حتى بدأ مهمته الأولى، وهي تشكيل طاقم الجمال.

الحاكم العام قدر كل فعل يقوم به المقدم دو سنيس، لتشكيل هذا الطاقم لحاجته الملحة، إلا أن المشكلة بقيت قائمة، وهي قلة عدد الجمال، وهي لا تكفي حاجة الأفواج المتحركة، الآن هدف القيادة العسكرية التوجه ناحية الصحراء، والوصول لقصور أولاد سيدي الشيخ. هذه المناطق التحرك نحوها يحتاج إلى التزود بالمياه، والوسيلة الوحيدة لذلك هو طاقم الجمال المكلف بحمل المياه، بالمختصر المفيد، لإنهاء هذه المعضلة، القيادة تحتاج طاقم تعداد جماله لا يقل عن 1800 جمل، وهذا يضطر لأخذ الجمال عنوة من القبائل، هذا فعل لا تطيقه هذه القبائل، ولا تتحمله.

حاول المقدم دو سنيس أن يستفيد من تجاربه السابقة ويحل هذه المعضلة العالقة المقلقة للقيادة وأن يوجد طاقم جمال، يخدم الفوج القتالي المخصص للجنوب، يرى المقدم أن حل المعضلة كامن في تغيير الأدوات الادارية.

لم يجد المقدم أذانا صاغية لدى الادارة العسكرية، بل وقع ما هو أكثر من ذلك، تم تحويل الفوج القتالي التابع له، وجعله تحت سلطة رئيس مكتب العرب لمدينة الأغواط. لما أراد دو سنيس تولي قيادة الفوج، سمع كلاما بذيئا و غير لائق من قبل الوكيل الفرعي لمكتب الأغواط، المكلف بالقافلة الوكيل احتج أمام الادارة، أن هذا الفوج هو أساسي. لما علم دو سنيس بهذا الاحتجاج، وحتى يظهر حسن نواياه، سلم للإدارة يوم 30 سبتمبر 1865 ميلادية طاقم جمالة قوي، تعداده 1086 جمل.

لما سلم المقدم طاقم الجمال، طلب من الحاكم العام، أن يعطيه فرصة لإعادة النظر في الطاقم، جاءه الجواب بضرورة الانتظار، وسمح للفوج القتالي التابع لمدينة الأغواط، أن يشارك في العمليات العسكرية مع القوة التابعة لوهران.

شهر أكتوبر 1865 ميلادية، كلف دو سنيس بقيادة قافلة متجهة ناحية جيري فيل، تحرك في فوج قتالي مشكل مما يأتي: كتيبتان من قوة المطاردة مشاة، كتيبة من الفوج الأول زواف، وسرية من قوة المطاردة الخيالة مع مجموعة مشاة من قوة السبايسية، وفصيلة مدفعية، لم تستطع الادارة أن

توفر إلا عددا محدودا من الجمال، بالكاد هو 600 جمل من قوة الزمالة، وتم تحصيل 1200 بالكاد من القبائل.

الفوج القتالي أخذ طريقه ناحية جنوب جبل العمور، وخاض طريقه حتى وصل سي الحاج الدين الغاية من التحرك، هو قطع طريق الشرق على الثوار، هم مطاردون الآن من قبل فوج كولمب وكذلك فوج لاكارتال Lacretelle، فوج الأغواط في طريقه قام بغزوة قاصمة لفرقة من أولاد زيان في منطقة بايقة على يسار ضفة واد زقار.

يوم 3 ديسمبر دخل الفوج مدينة الأغواط، ثم أخذ طريقه ناحية متليلي، أين يتواجد سي لعلا و الشعانبة، يوم 9 جانفي 1866 ميلادية، الفوج يدخل متليلي، ما سمع ثوار خبر وجوده، حتى تركوا المكان.

يوم 4 ديسمبر مع طلوع الفجر، المقدم دو نسيس أرسل القومية للقيام بالاستطلاع، تحت قيادة النقيب لرو Le Rouxقائد مكتب العرب الأغواط.

القومية لحقوا بالثوار الشعانبة على بعد كيلومترات من مدينة متليلي، وحتى ينقذوا قطعانهم احتلوا منطقة صخرية، وطالبوا النقيب لرو أن يأتيهم، إلا أن النقيب اكتفى بإطلاق أعيرة نارية من البنادق وقرر منازلتهم وقتالهم، النقيب أخفق في معركته، لأن القومية لا خبرة لهم كافية في النزال، فقرر انتظار قدوم قوة الفرسان النظامية، والكتيبتان التابعتان لقوة المشاة، الثوار تركوا مواقعهم، ولما أرادوا الانسحاب سلكوا مسار واد سبسب ،ومع ذلك استطاع النقيب أن يأخذ منهم غنائم معتبرة.

الفوج القتالي أخذ له راحة في مدينة متليلي، وبقي من يوم 9 حتى يوم 11 من شهر جانفي، يوم 28 جانفي الفوج دخل مدينة الأغواط.

بعد أسابيع من هذه الأحداث، سي أحمد ظهر في قوة مشاة جاؤوا من المغرب، اتجهوا ناحية جيري فيل وهاجموها، يوم 16 مارس في منطقة بن عتاب، العقيد كولمب خاض معركة حاسمة، ولولا قوة الضباط وحكمتهم، لكانت النتائج كارثية، قتل من قوات كولمب اثنان وأربعون رجلا من بينهم ضابط وجرح 54 من المقاتلين التابعين للفوج.

بعد هذه الحادثة سي أحمد تراجع ناحية الجنوب، وحاول أن لا يتقاطع مع ناصر بن شهرة، المقيم في وادي ميزاب، يخوض حربه ضد القيادة الفرنسية. المقدم دو نسيس ترك مدينة الأغواط يوم 25 مارس مع كتيبتين، مشاة الأولى من القوة الأولى زواف، والثانية من القوة 12 مشاة مطاردة، 4 سرايا الفرسان، وفصيلة مدفعية، وقوة قومية تعدادها 900 فارس، مجموع القوة 2700 رجل. القافلة عدد جمالها 1900 جمل،150 جمل فقط تابع لطاقم الجمالة، القافلة العسكرية مرت بقصر تاجرونة، ثم

نزلت بعد ذلك واد زرقون في منطقة تير الحبشي، ويوم 31 مارس عرف القادة من الشوافين أن سي لعلا يعسكر عند الواد الغربي.
حتى لا يستفيق سي لعلا، ولا يعلم أن الجواسيس قد رصدوه، المقدم دو نسيس أرسل قوة من القومية ناحية ميزاب، وطالب القومية أن يشيعوا في الناس، أن القافلة العسكرية وصلت، قوة القومية قامت بمهمتها ونجحت في ذلك، وحتى تنتشر المعلومة ويصدقها الناس، بقيت القافلة العسكرية مكانها في تير الحبشي ثلاثة أيام.
يوم 3 أفريل القافلة سارت ناحية واد زقار في اتجاه طريق سي الحاج الدين، يوم 14 جاءت قوة القومية وأخبروا أن سي لعلا ما زال في مكانه عند الواد الغربي من منافذ بو عروة. دو سنيس ترك متاعه في قصر سي الحاج الدين تحرسه كتيبة مطاردة مشاة، ثم تحرك دو سنيس مع قوة الفرسان وثلاث كتائب زواف، وقوة من القومية وقافلة ماء، أضف لها قوة مشاة ومدفعية، وتتبعها عن قرب قافلة مكلفة بحمل الغذاء والمؤن.
حركة القافلة مرهقة بل مضنية، وكانت الحاجة للماء ماسة وضرورية، ومع ذلك وصلت يوم 18 إلى بو عروة، ما وصلت القافلة حتى ترك الثوار المكان وغادروه، وكان من المتعذر أن تتقدم القافلة ناحية الأمام، أو تطارد الثوار. إلا أن قومية الأرباع دون سواهم، أصروا على مطاردتهم، رغم التعب والجهد المبذول في الرحلة، ووصلوا الثوار يوم 19 وقتلوا بعضا من فرسانهم، وأخذوا منهم غنائم وطاردوهم وأذوهم، حتى وصل الثوار منطقة رأس المحروق. يوم 22 أفريل قومية الأرباع رجعوا والتحقوا بالقافلة، أين كانت تعسكر في منطقة المنقوب، الواقعة على واد البنود، وأبلغت القادة الفرنسيين عن النجاحات التي حققتها ضد المتمردين.
المقدم دو سنيس عزم على مطاردة الثوار وملاحقتهم، وقرر أن يتجه ناحية رأس المحروق، ويرغم العصابة المتمردة على التوجه ناحية الغرب، يوم 22 مساء بدأ الفوج في التحرك باستثناء قوة المشاة المحمولة فوق الجمال، وكتيبة زواف وأخرى قوة المطاردة المشاة.
يوم 23 السادسة مساء لفوج وصل إلى رأس المحروق، سي لعلا ترك المكان منذ الصباح، وأخذ طريق الغرب حتى يصل واد الناموس. كميات الماء المحمولة أضحت غير كافية، قرر دو نسيس الرجوع، إلا أن قوة القومية رفضت الرجوع، وعزمت على مواصلة المسير ومطاردة الثوار، وهذا ما وقع، يوم 25 حققت قوة القومية أمنيتها، وأدركت سي لعلا قرب قارة القفول بمحاذاة واد الناموس.
كانت المفاجأة سي لعلا لم يصدق وهو يرى قوة القومية تطارده، استطاع النجاة، إلا أنه ترك ثروته وماله وكذلك متاعه، غنم القومية 150 من الجمال، وعدد من رؤوس الغنم، كل هذا وقع غنيمة فازت بها قومية الأرباع.

بعد هذه النجاحات، لم يبقى للمتمردين تجمعات كبرى، هجمات القومية أثرت كثيرا، وجعلتهم يفقدون الأمل في تحصيل نصر قادم، وأضحت مطاردتهم في الصحراء من يوميات حياتهم، وحتى لما أوغلوا في الصحراء، هناك قوة قومية جاهزة لمطاردتهم وملاحقهم، أينما وجدوا وحلوا، وتبين لهم في الأخير أن جهدهم هذا لا طائل منه.

سي أحمد و خاله سي الزبير تراجعا ناحية الحدود المغربية، أما سي لعلا وناصر بن شهرة هم الآن بالمنيعة، ولأن ناصر بن شهرة شغوف وعاشق لحرب فرنسا لم يستسلم، ذهب إلى الهقار ودخل مدينة عين صالح على أمل، أن يجمع حوله جند من منطقة توات، وقبائل التوارق، إلا أن الحاج أخاموخ والشيخ عثمان، طلبا منه مغادرة بلدهم، هم الآن حلفاء فرنسا، ولما لم يستجب أجبراه على ترك البلد، انتقل ناصر بن شهرة إلى نافزاوة جنوب تونس في انتظار، ما تأتي به الأيام القادمة.

آثر سي لعلا البقاء في المنيعة ينتظر الفرصة السانحة ليذهب إلى ميزاب، أين يوجد بعض مناصريه الهاربين المطاردين.

يوم 8 ماي المقدم دو نسيس دخل مدينة الأغواط.

الخرجات المتكررة للقافلة العسكرية منذ شهر أكتوبر سنة 1865 ميلادية، جعل مراقبة طاقم الجمال من الأمور المتعسرة، ووجدت السلطات الادارية صعوبة في إدارة ملفاته، شهر أكتوبر 1865 ميلادية، لما كانت القيادة تزود جيري قيل بالمؤن، المقدم دو سنيس لم يكن معه سوى 600 جمل من جمال الزمالة، ولما أراد الحركة ناحية قصر سي الحاج الدين من يوم 22 أكتوبر حتى 31 ديسمبر سنة 1865 ميلادية، لم يكن معه سوى 400 من الجمال، وما كان معه لما ذهب ناحية الواد الغربي في بعثه تلك إلا 100 جمل فقط، بقية الجمال هي التي أُخذت عنوة من القبائل، ما جاء 9 ماي 1866 ميلادية، لم يبق من الجمال إلا 227 هذا كل ما تبقى من طاقم الجمالة.

ومع ذلك يوم 10 أفريل الحاكم العام، أكد القرارات التي اتخذها شهر أكتوبر 1866 ميلادية، وذكر أنه ألحق الطاقم بميزانية السنتيم الاضافية، إلا أنه أُخبر أنه ما تبقى من الجمال إلا 227 جمل، ولم يعرف أين ذهبت 500 من الجمال، التي تحصلت عليها القيادة في غزوتها الأخيرة في متليلي.

لم يصل الحاكم تقارير تثبت خسارة هذه الجمال، وأن الادارة لم تسجل ولم تبلغ عنها، المقدم دو نسيس أظهر أن هذه الخسارة هي طبيعية، ونتيجة حتمية للبعثات التي قمنا بها، وكذلك للتصرفات الخاطئة للإدارة، وكيف أن الموظف في مكتب العرب بمدينة الأغواط، لم يوثق الخسائر ولم يراقب حركة جمال الزمالة، ولم يحسن استخدامها وعملها، ضمن القوافل العسكرية.

تصفية طاقم الجمالة يتطلب فتح سوء الاشراف والتسيير، والذي جعل السؤال يأخذ أبعادا قصوى ويبعث في النفوس الشك وسوء الظن، نحن نعلم أن الجمال أخذت عنوة من القبائل، وبالتأميم المباشر هذا ما وقع سنة 1866 ميلادية، وكان الهدف تحرير الميزانية من هذا العبء المالي هي

المقاربة، التي قامت بها القيادة يومها، كانت في كل الأحوال مجدية، هذه المقاربة تم الاعلان عنها يوم 29 نوفمبر 1866 ميلادية.
تم التخلي عن المسخرين لطاقم الجمال، وتم تعويضهم من قوة الأهالي الرماة، وعددهم 26 بالإضافة لمفرزة لقوة السبايسية، التابعة لفوج الأغواط.
المقدم دو نسيس وجد أن تكفل القبائل بالجمال لم يكن مرضيا، بل سجلت حالات إهمال كبرى ذهب ضحيتها هذه الحيوانات، ومن باب النظر نقول أن الوظائف التي تقوم بها البغال هي أفضل بكثير مما تقوم به الجمال، وخاصة لما تقارن بين ظهر الجمل والبغل، أنت بالكاد تضع المتاع على الجمال خلاف البغال. لما توضع السلال الخشبية على ظهور الجمال والبغال وتحمل بالمتاع، تدرك مدى الفارق بينهما، وكذا الأمر في تحميل الماء تتعقد الأمور أكثر، لما توضع السلاسل التي تدعم الحوامل هي صعبة جدا، لما ترفع على ظهور الجمال هي تعقيدات كثيرة جدا، لما حاولنا أن نطور الحوامل ونجعلها تناسب ظهر الجمل، ظهرت من جديد تعقيدات في الأخير تركنا كل هذه التحسينات، وعدنا للطرائق المعتمدة من قبل العرب.
حتى تخرج القيادة من كل هذه التعقيدات، الادارة الحربية فكرت في التخلي عن طاقم الجمال واستبداله بمنظومة نقل جديدة هي القطار، من أجل ذلك وضع المشروع أمام كوادر فرنسية لتحقيقه ميدانيا. بعد تجاذبات تم رفض المشروع مشروع القطار[1]، وهذا الاخفاق اعتبر نجاحا لمقدم دو نسيس، وطلب منه الرجوع واحياء طاقم الجمالة من جديد. شهر جويلية 1867 ميلادية، تم تشكيل الطاقم الذي يتكفل من جديد بإعادة بناء طاقم الجمالة، الهيئة الادارية المشرفة أسندت لضابط من مكتب العرب بالأغواط، يساعده في مهامه الباشا عمار والمارشال دوس لوجيس، أهالي من قوة السبايسية وضابطان من الأهالي، و 20 من قوة السبايسية و 100 من قوة الأهالي الرماة الجمالة الملحقون بالملحقة الأولى.
هذا الطاقم الاداري تم حسابه، وفق قاعدة بيانات تشمل 2000 من الجمال، بمعدل كل 100 جمل يقابلها رجل من السبايسية،و 20 جمل يقابله رجل من قوة الرماة والمسخرين لرعاية الجمال، كل 4 جمال يقابلها رجل مسخر. قوة السبايسية وظيفتها حراسة الجمال، لما تخرج للرعي وتتجه ناحية المراعي، وظيفة الرماة حماية الجمالة وحراستهم، وهم مكلفون بالحراسة أثناء التنقلات والحركة ناحية

[1] مشروع وصل الأغواط بالقطار طرح بعد سنة 1866 ميلادية ولم يتحقق ليومنا هذا 2020 ميلادية والسبب أن فرنسا في زمانها وأبنائها في زماننا يفكرون في فصل الصحراء عن التل إلا أن ثورة المعلومات والتواصل ألغت مشاريعهم الصليبية الماسونية والله غالب على أمره.

القبائل، وتم تكليف رجال متزوجون يتحركون ويثبتون مع الزمالة زمالة الطاقم، ولتسهيل المهام أكثر هؤلاء المتزوجون يستحسن، أن يكونوا أباء وأمهات رجال الحراسة.

طاقم الجمال الجديد تم اخضاعه إلى رقابة ادارية هو مجلس اداري مشكل من أربعة أعضاء:

1. قائد الدائرة رئيسا.
2. قائد ساحة الأغواط عضوا.
3. الأمين العام لجباية الضرائب أمين المال.
4. رئيس مكتب الأغواط كاتب عام.

طاقم الجمال له ميزانية خاصة، يعرض على المجلس الاداري، أما المصروفات تلحق بملحقين من ملاحق ميزانية السنتيم الاضافية، التابعة للملحقة الادارية بالمدية، وأُريد لها أن تكون بسيطة سهلة التطبيق.

الفعل والجهد الدي قام به دو نسيس من أجل إنجاح هذا المشروع الجديد، لقي انتقادات كثيرة نقد وجد للتنظيم الاداري، وطعن في امكانية تحقيقه واقعيا، وهناك نقد أشد اعترض على فكرة التشكيل واعتبر أن الزمن تجاوزها، واعتبروا أن الحل يأتي من القيادة، ولا يأتي من الادارة.

سنة 1869 ميلادية أمين المال لمقاطعة الجزائر، طلب بضم طاقم الجمال للسلطة الادارية، وهذا جاء لما تلقى طلبا من أمين المال المكلف بالفوج القتالي المتحرك، الذي وجد نفسه مكلفا بحيازة الجمال وحراستها.

الظروف العصيبة جعلت من المستحيل على فائد الفوج، أن يشكل هذا الطاقم مراعاة مع الحاجات اليومية، هذا ما كتبه المقدم دو نسيس في تقريره، وتفهمت القيادة العليا وضعه وأمرته، أن ينتظر المستجدات القادمة.

بوشوشة شريف عين صالح ـ معركة واد سبسب ـ الفوضى في مدينة الأغواط ـ اعتقال بوشوشة ـ ربط أغا ليك ورقلة بالجزائر العاصمة ـ لخضر بن مُحَّد يعين أغا الأغواط ـ سلوك الخليفة التجاني يثير الشك ـ إنهاء العمل بطاقم الجمال.

المبحث الرابع

شهر جانفي سنة 1867 ميلادية، قصور واد ميزاب تشهد ضجة عظيمة، سببها فتنة داخلية واقعة بينهم، حدثت بين الشراقة والغرابة، واقتتلوا بالأيادي في أحياء غرداية، كانت المعركة شرسة، قتل ما يقرب من السبعين من بني ميزاب.

المقدم دو سينيس طلب حضور جماعة بني ميزاب، ووكلائهم وكبراء القوم عندهم، فرض على المتسببين غرامات ثقيلة، عقوبة لما اقترفت أيديهم، وتعهد بفرض الأمن في القصور.

بقية السنة عرفت قصور بني ميزاب الهدوء، يوم 6 نوفمبر 1868 ميلادية، تم ضم الواحة والأغواط وجعلها بلدية واحدة، ويكون الحاكم العام هو الرئيس للبلدية، ويكون لها الدخل المنتظم الذي تعرفه بقية البلديات في الجزائر، هذه البلدية الجديدة بدأت وظائفها يوم 1 جانفي 1869 ميلادية، يكون للبلدية مجلس إداري خاص بها، وميزانية تخدم دائرة الأغواط بالكلية، ولها أقسام وفروع تابعة لها.

شهر أكتوبر سنة 1868 ميلادية، جاءت الأخبار من مدينة تافيلالت المغربية، تخبر عن موت سي أحمد بن حمزة، وأخوه الدين، ووالدة سي حمزة.

المعلومات الأولى تقول أن سبب الوفاة هو الكوليرا، إلا أن الأخبار المتداولة تقول أنهم سقوا السم السيد لبيت أولاد سيدي الشيخ، والوريث الشرعي للحكم والقيادة، لهذه العائلة هو الطفل الصغير سي حمزة بن بوبكر، هو الابن الصغير لسي حمزة. ولد سنة 1859 ميلادية، عمه سي قدور استولى على الحكم، وأزاح الطفل الصغير الخامس ابن حمزة، سي قدور يعلن التمرد وأبقى معه ابن أخيه الطفل الصغير.

الأخبار القادمة عن مآل ومصير عائلة سي حمزة وما لحق بأبنائه واخوانه، رافقتها أحداثا علمت القيادة العسكرية في الأغواط، أن سي لعلا ترك نواحي المنيعة، حتى يتقاطع مع سي قدور الثائر وهم يحاولون الحركة ناحية الشمال.

القيادة العسكرية أمرت قبائل الأرباع وأولاد نايل المتواجدون في مراعي الجنوب، أن يتركوها ويحضروا ناحية وادي مزي، سارعت القيادة العسكرية في إعداد وتحضير القافلة العسكرية، لتترك الأغواط وتقوم بوظائفها، جاءت الأخبار مشجعة، حيث تركت القبائل مواقعها في الجنوب وانتشرت بمحاذاة ضفاف وادي مزي.

الأيام الأولى لشهر جانفي 1869 ميلادية، سُمعت الأصوات المزعجة وهي تخبر عن عزم سي لعلا وسي قدور على مهاجمة قبائل الأرباع، وتخبر أنه يتجه ناحية الشمال.
يوم 21 جانفي هذه الأخبار أكدها سليمان بن مسعود قايد الشعانبة، ما تيقن الخبر حتى طلبت القيادة من الأرباع ترك مواقعها عند وادي مزي، وطلبت بنشر المخازنية في منطقة تيلقيمت، وتم استدعاء قومية أولاد نايل، يوم 27 جانفي كانت القافلة تنهي التحضيرات الأخيرة، وتستعد للخروج.
يوم 28 جانفي برقية عاجلة، تخبر القيادة في الأغواط أن الثوار اجتاحوا جبل العمور، وأنهم قتلوا بعض العناصر التابعة للأغا الدين، والباقي ترك مواقعه وفر.
الأفواج المقاتلة التابعة للمدن التالية: جيري فيل، تيارت، الثنية، بوغار، والأغواط، كل هؤلاء يتحركون نحو وجهة واحدة هي جبل العمور، العمال العاملون في مركز مقطع الوسط، رجعوا لمدينة الأغواط، وطُلب من القوافل التي تحمل الحبوب، أن تجعل نفسها في وضعية الدفاع.
قائد مخازنية الأرباع لخضر بن مُحَمَّد، ابن القايد القديم لعرش المعامرة، ذهب في مهمة استطلاع هذه المهمة أخذته نواحي تاجرونة، رافقه فقط اثنين من القياد هما عيسى بن نعيجة وقدور بن بوبكر ومعهم فارسان،لما وصلوا الحويطة ضموا اليهم 23 من فرسان المخازنية. ووصلوا تاجرونة يوم 29 مساء، بعثوا الشوافين في اتجاهات متعددة، وخاصة ناحية الجنوب والغرب، وتأكدوا من أن العدو لم يظهر بعد، يوم 30 الفوج القتالي المتحرك،ت رك مدينة الأغواط وعسكر في منطقة الرشق على يسار ضفة وادي مزي على بعد 24 كيلومتر من الأغواط.
القافلة العسكرية[1]تتشكل بأعداد مبينة في جدول إحصاء الفوج القتالي أعداده قليلة جدا، وما ينقصه الشوافون العرب، وقوة القومية لم تلتحق به بعد، يكتب المقدم دو سنيس: « يجب أن نضيف لمن لا يعلم، أن فوجي هذا لا يوجد فيه رئيس مكتب العرب ولا ضابط مأمور، ولا قائد أركان، لا يوجد ضابط سام واحد، لما احتجت رئيس مكتب العرب أرسلوا لي شابا، لم يرى في حياته الجنوب. نعم هو متميز وأعتبره مما تبقى لي النواب، الذين يفترضوا أن ينوبوني هم جدد، أفضلهم لا ينطق كلمة واحدة بالعربية، هذه حالتي وأنا ذاهب لأواجه ثلاث قادة كلهم هم عند قومهم من أولياء الله الصالحين.»
عند معسكر الرشق المقدم دو سنيس، جاءته أخبار الأعداء أنهم يحتلون امتداد واد رداد، أين تمر طريق الغيشة، وتتجه ناحية عين ماضي.

[1]جدول القافلة في نهاية الكتاب.

« سي أحمد التجاني أخبر في تقريره، أن مترجلين وراكضين شوهدوا في الأنحاء، وأنهم استولوا على قطعان ماشية ومجموعات جمال، وأن هؤلاء الغزاة يحرسهم فرسان من قبائل الأرباع، ويقول التقرير أن الأهالي استعادوا الماشية، ولم يستعيدوا الجمال. سي أحمد التجاني طلب البارود وخراطيش البنادق، هذا الطلب حيرني ووجدته مستغربا، مع العلم أنني منحته كفايته من البارود والخراطيش منذ زمن قريب».

« قلت للخليفة التجاني، أثبت مكانك وتحصن بأسوارك، وأنا قريب منك، أنا موجود بمنطقة الرشق وأنني سأتحرك من غد، وأقطع الطريق على الأعداء، ولن يصلوك، وأعلمته من أنني سأرسل له كفايته من البارود، ما تيسر لي الأمر، ولما أعلم أن حاجتك ملحة سأتعجل.»

« تم ارسال قافلة محملة بالبارود، تحرسها سرية من قوة المطاردة الافريقية، ما وصلت القافلة تاجرونة حتى جاءتها الأوامر بالالتحاق بالفوج القتالي المتحرك، وعدم الذهاب ناحية عين ماضي، المقدم دو سنيس، هو لا يثق في سي أحمد التجاني، وهناك شك كبير أنه يخادع وينوي الغدر، واعلان الحرب على فرنسا.»

يوم 31 الفوج القتالي تحرك ناحية عين ماضي، ترك المقدم سرية من السبايسية في الرشق، تنتظر قدوم قافلة ذخائر ومؤن قادمة من الأغواط، ما وصل الفوج ناحية قرن الحويطة، حتى علم دو نسيس أن قومية أعداء دخلوا قصر الحويطة، وأن السكان أغلقوا الأبواب.

« أمام هذه الوقائع لا أعرف ما هو الأمر، الذي أذكره أو أتركه يوضح دو سونيس، أنا أمشي وخلفي وأمامي وبالقرب مني أعداء، الذي استطاع أن يقتحم أحد قصورنا، هذه الأنباء تبعث الفزع في القوات المرافقة لقوافلنا، أوقفت حركة الفوج ووقفت مكاني الذي أنا متواجد فيه، طلبت حضور مادرك مارو Mderreg-Marrou وتباحثت مسألة الدفاع عن المعسكر، امتطيت حصاني ووجدت نفسي وسط الفرسان الذين قدموا، بعدما أنهوا مهمة الاستطلاع.

رأينا حوالي ثلاثين من الفرسان، يتركون قصر عين ماضي، يرخون لجام أحصنتهم، ويظهر من الطريق الذي سلكوه أنهم ذاهبون ناحية الحويطة، قررت أن آخذ الطريق الذي يلحقني بهم وأوقعهم في مفاجأة الحدث.

تحركنا في هدوء حتى أننا خففنا وطء حوافر الخيول على الأرض، وما هو إلا زمن حتى وجدت نفسي ألحق بالقوم، وما ترددت حتى أعلنت الهجوم، وبعد ذلك أوقفت العملية، وأمرت بالتوقف هؤلاء ليسوا قومية أعداء كما اعتقدت. إنهم حلفاء انهم قومية الأرباع وقائدهم لخضر، بالكاد أوقفت اطلاق النار، ولم تحصل حوادث تذكر هي الفرحة تغمر الجميع، تبادلنا مع قومية لخضر التحية.

لخضر أعلمني سبب خروجه، أخبرني قائلا: يوم 31 جانفي وهو اليوم نفسه، تركت تاجرونة وتوجهت ناحية عين ماضي، لأن الشوافين أخبروني عن وجود أعداد كبيرة من الفرسان، تحوم حول

عين ماضي، ظننت أنها القافلة العسكرية من أجل ذلك، أردت أن آتيها ولما بقي بيني وبين عين ماضي كيلومتر واحد فقط. الشوافون تأكدوا أنهم الثوار، وعرفوا أن الثوار اتفقوا مع سي أحمد وأخيه على النصرة، وأنهم مستعدون ليدافعوا عنه، وعن قصر عين ماضي، وأن الخليفة وأخيه اتفقوا على قتالنا نحن فرنسا، وأضاف الشوافون أن سي أحمد وأخيه، بايعوا وأعلنوا الطاعة لقادة الثوار، وأنهم طلبوا حضور سي لعلا و بايعوا، تحت جدران عين ماضي، ما سمع لخضر الخير حتى ذهب هو والقومية لوقف الثوار إن أمكن، أو على الأقل رصد حركتهم والتبليغ عنهم.

تلقيت خبر خيانة سي أحمد وأخيه كالصاعقة، هو خبر خطير وخطير جدا، هما عند الناس من الأولياء، هنا بدأت أفهم بعض التفاصيل. لما طلب سي أحمد البارود وخراطيش البنادق، كانت له كفاية، أراد ذلك ليعلن الحرب علينا، وأراد أن نصدقه، أنه خائف من قدوم الثوار، هم هكذا دائما يناورون، يظهرون ما لا يخفون هي السياسة والحرب، هو دهاء أولياء الله الصالحين، لو كانت النيات حسنة منذ البداية يفترض أن يدخل هو وقومه القصر، ويغلق أبوابه وينتظر حضورنا.»

«ما جاءتني الأخبار حتى عدت للمعسكر مع السرية التي رافقتني والقومية، وجمعت الضباط لأخبرهم المستجدات، وطلبت منهم أن يتحلوا بالحيوية واليقظة، لرد هذا الحدث العظيم الجلل وأخبرتم الخبر، الذي عرفته من قومية الأرباع، وذكرتهم بما قاله لخضر، وأنه استطاع ببصره أن يعرف من هو العدو ويعرف تعدادهم وقوتهم، هؤلاء القومية هم الحلفاء الشجعان، أحاطوا بي ومدوا نحوي أياديهم قائلين: غدا الموت يهون دونك.

هذه الليلة كنت أنتظر أن يقوم الأعداء بهجوم ليلي مباغت، هي ليلة بين يومي 31 جانفي و 1 فيفري ليلة قضيتها والقلق، وكذلك التحضير والاستعداد لليوم القادم. أحطت نفسي بحرسي وطلبت منهم أن يكونوا حذرين يقظين، قادرين على رد العدوان إن وقع، وحذرت من وقوع هرج ومرج قد تقوم به الجمال، لو وقع الهجوم المباغت، وطلبت من الجمالة أن لا يتركوا حيواناتهم، وأن يبيتوا بالقرب منهم، وأن يحافظ الجميع على الهدوء، حتى إذا حدث حادث، انتبهنا وفزعنا لرده.»

« الليلة هذه سي أحمد التجاني أرسل رسولا لقائد الفوج يعتذر عن فعله، ويقول أنه أعلن الطاعة لسي لعلا، حتى لا يرى بساتينه تجرف، وقطعانه تنهب، وأشجاره تقطع.

رد عله المقدم دو نسيس قائلا: قل لسيدك أنت تحت الحكم العسكري الفرنسي، والفعل الذي فعلت، يجعلك خائنا للوطن، غادرا به. أما تبريرك أنك أطعت لأن الخوف جاءك، مثلك لا يخاف ممن هو أقوى منه، ومثلك لا يعرف الخوف، لو كنتم تعرفون الخوف لخاف أباك من الأمير عبد القادر، لقد وقف هذا الغازي طويلا أمام أبوابكم، ووالدك ما جزع ولا خاف، ولا سلم نفسه لعدوه أخبر سيدك أن الفوج الآتي من الأغواط، سيأتيك غدا، وسيحط رحاله عند جدرانك وسيخرجك ويطردك. أخبره أنني ناصح له أمين، دع عنك هذا الفعل الشنيع القبيح، وكفر عن جرمك وتكفير

الجرم لا يكون، إلا بحضورك هنا طائعا معتذرا، وإلا انتظر ما يأتيك من جريرة فعلك، ومن أنذر فقد أعذر.»

« علمنا بعد ذلك أن خليفة عين ماضي سي أحمد، أنه استقبل سي لعلا مرات واستقبله ورحب به في قصره، وأن الثوار قد ردوا له الجمال التي أخذوها في الغزوة، التي وقعت يوم 27 وأن الصلح والمودة شملتهم، حتى أن سي أحمد زار الثوار، وتفقد كتائب سي لعلا، والأكثر من ذلك أن رجال الدين للزاويتين التجانية وزاوية لبيض، اجتمعوا لينظروا في وحدة تجمعهم. لما علم سي لعلا وسي قدور قرب قدوم الفوج القتالي، أمر مقاتليه المنتشرين في جبل العمور بالحضور، وأن يتجمعوا عند أسوار عين ماضي، ساعات قليلة اجتمع حوله 3000 فارس و1000 من المقاتلين، رغم التفوق العددي للعدو، قرر دو نسيس ملاقاة العدو، راهن على انضباط مقاتليه، وراهن على ما هو أهم وهو نوع جديد من البنادق يعرف، بندقية[1] Chassepot هذه البندقية تظهر لأول مرة في الجزائر وتدخل المعركة في هذه المواجهة، مع الخليفة التجاني وأنصاره من الثوار.»

«لأن البندقية ستحسم المعركة لا محالة، وحتى تحدث المفاجأة كاملة، كانت معركة أول فيفري حركة لا غير، أردنا أن تكون المعركة مجرد استعراض عسكري، وأن نجعل فرسان الأعداء في حالة دفاع، ونجعلهم جمهور متفرج يشاهد عرضا عسكريا. القوات سيتم عرضها على شكل مربعات تتحرك حركة الاستعراض العسكري، الواجهة الأولى للعرض تتقدمه كتيبة الفوج الثاني للمشاة الافريقية الخفيفة، الأوجه الثلاثة الأخرى للمربع، تشكله كتائب قوة الأهالي الرماة، هذه الأوجه الأربعة للمربع يتم التحكم في حركتها بالأوامر. تخرج وتعود مربعات، ثم تلتحم كمربع واحد بالإشارة، يطلب من مربع أن ينتقل ناحية، ثم يعود لمكانه وهكذا، هو استعراض عسكري بهيج، يطلب من الوجه الأول والوجه الرابع الخروج، وأخذ خط طولي واحد، بقية المربعات تتراصف تبعا في وضعية قتال التراصف لا يثبت بالأوامر، يتم التحرك يسارا ويمينا لمواجهة العدو بوضعيات متعددة. المربع الكبير وسطه تقف فرقة تسمى فرقة الوسط هي النواة، هذه الفرقة هي فصيلة مدفعية، حركتها الذاتية تعطيها الاحاطة

---

[1] البندقية Chassepot نوع 1866 ميلادية فرنسية سميت على مبتكرها وصانعها وهو Antoine Alphonse Chassepot دخلت الخدمة في الجيش الفرنسي سنة 1866 ميلادية عرفت على نطاق واسع 30 أوت 1866 ميلادية وحققت الانتصارات وحسمت بها المعارك وجودها في الجزائر حسم كل المعارك لأن البنادق التي يمتلكها الثوار هي بدائية بنادق الرش وأدخلت لأول مرة للجزائر وعرفت في معركة الدبداب بعد هذه الملحمة أضحى من المستحيل حسم أي معركة لصالح الثوار هذا النوع الجديد من السلاح جعل بريطانيا امبراطورية ومكن فرنسا من حسم معاركها في مستعمراتها إلا أن الحرب العالمية الأولى ستحسم هذا التفوق وتعرف فرنسا أكبر هزائمها.

بالمكان، والقدرة على الرمي في أي اتجاه، فرقة الوسط ينضاف لها قوة الهندسة وقوة الاسعاف، وقوة التموين والحمل، سرية من قوة الأهالي الرماة تتقدم هذه النواة هي قوة حراسة تحرس مع قوة الهندسة المدفعية، وتؤمنها وكذلك تحرس الذخائر.
الفرسان هم كذلك في نظام وانتظام أزواج متقابلة، هم كذلك وضعوا وسط المربع الكبير بالتوازي مع الوجه الثاني والثالث، السرية الأولى لقوة المطاردة الافريقية تحوز الواجهة الثالثة، السرية التابعة للفوج الأول السبايسية تحوز الوجه الثاني.
قوة الفرسان تغطي الفراغات أثناء حركة المربعات، الفرسان يترجلون إذا فكر الثائر المتمرد أن يقتحم المربع الكبير، قوة الفرسان ترده مباشرة، الحيوانات توضع في مركز المربع الكبير، تقيد وتمسك ببعضها البعض، بشكل يمنعها من الحركة ولا يمنح لها الحيز الكبير، تبقى مكانها مقيدة وهذا يمنع الفوضى والجلبة التي قد تحدثها هذه الحيوانات، طلب من الحراس فتل أي حيوان يخرج عن السيطرة أو يثير حركة، تفسد نظام المربع الكبير[1].»
« الفوج هو الآن حصن محصن، يتحرك حركة معدودة، ولا يقف إلا عند بداية اقامة ومعسكر العدو، استطعنا أن نتغلب على كثرة العدد للعدو، بالاستراتيجية والتخطيط العسكري، أردناها معركة دفاع لا هجوم، أين الفارس والمترجل يحمي نفسه بسلاحه، وتركنا سر نجاحنا خفيا عن أعدائنا هذا العدو لا يعرف، متى وكيف يواجه بهذه البندقية الفريدة.»
« سرنا ساعة من الزمن، أخبر الشوافون أنهم شاهدوا العدو خارج معسكره، وأنهم يتقدمون في صفوف مرتبة ومنظمة، ونحن الآن من هنا نسمع وقع أقدام المشاة، وجدنا أنفسنا نلج واد عميق على شكل أحواض، تحده من كل الجهات التلال الصخرية. لا مخرج من هذا الوادي العميق إلا عنق مفتوح عرضه بين 50 و 60 مترا، هو ممر معروف تسلكه القوافل، إلا أن العدو تفطن وهو يحاول السيطرة عليه ومن ثمة غلقه من مكاني، أشاهد الفرسان قد اعتلوا قمم الصخور، عددهم يتجاوز الثلاثين، أما جيش الأعداء هو وراء الجبل ينتظر حضورنا.
أنا الآن أعيش الخطر بل أراه أمامي، ما اقتربنا ناحية العنق حتى جاءنا طلق ناري كثيف واستطاع أن يشل حركتنا في الدفاع، ما كنا نفعله كنا نتنافس على حيازة المواقع، ونمسك الأرض بقوة السلاح، هذا التحرك أذانا وسبب لنا متاعبا جمة.»

---

[1]هذه الاستراتيجية العسكرية ستفشل فشلا ذريعا وتكون سببا في هزائم فرنسا مستقبلا لما تفوقت بريطانيا وألمانيا في صناعة الأسلحة أضحت هذه الحركات مجرد ألعاب بهلوانية ومن النوادر والنكت التي تذكر في المدارس العسكرية.

«ناحية اليمين وجدنا وادي أوسع وأفسح وأخفض من الأول، وهو مفصول بواسطة التلال الصخرية، عرفنا أنه الخلاص وأن النجاة لا تكون إلا إذا تركه الأعداء مفتوحا، من أجل ذلك تسابقنا إليه مسرعين، لكي نحوزه ونمنع العدو من الوصول إليه.»

« بدى لي أن آخذ الطريق المعاكس ناحية اليسار، ليوصلنا مباشرة ناحية العنق المفتوح، وأردنا أن لا يكون الذهاب عشوائيا، طالبت حضور القادة وألزمتهم بترقب والسماع لقرع الطبول، هو من يكون دليل التحرك، فنحن نتوجه بعلامات التوجه الصادرة عن الأبواق وقرع الطبول، هكذا انتظم الجميع في حركة تقودهم مصطفين يمين الهضبة، ثم تم تسلقها ومنها خرجنا من الانخفاض وارتفعنا.

المسافة التي تفصلنا عن العدو هي 60 مترا، ها هو الآن يرانا ما رآنا وظهرنا له، حتى ظن أننا وقعنا في كيده ومكره، وصرخوا يعلنون الانتصار علينا قبل حدوثه، إلا أنني فاجأتهم وبأمر مني الفوج استدار ناحية اليمين في حركة سريعة ومرتبة، الواجهة اليمنى للمربع توجت ناحية الهضبة، واعتلتها ثم انتظموا في تشكيل قتالي متزن ومنتظم، هكذا هم الآن يقفون في موازاة القمة المواجهة.

تم دفع ناحية الأمام في الواجهة الثالثة لتمسك سفوح الجبال، هكذا أضحى مربعنا تشكيل قتالي ممتد على امتداد السلسلتين الصخريتين، لقد حزنا موقعا جيدا تحمينا السلسلتان يمينا وبسارا، وتؤمننا القمة الصخرية هي متسع صخري، امتداده بين 2 و 3 أمتار هذا الموقع الحصين هو سفينة النجاة، التي ننجو منها من كثرة عدد العدو ومن تحمسه لقتالنا.

المتسع الصخري منحني القدرة على القيادة، وخاصة أن القوة التي هي معي محدودة العدد، طلبت احضار قطعتي مدفعية الجبال، ما شاهد العدو ما نفعل، حتى بدأ في التراجع ثم انقسموا إلى ثلاث مجموعات، ما يفصلنا عنهم إلا 14 مترا فقط، ثم هيأت نفسي وأصدرت الأمر للمدفعية، بأن تشرع في القصف، ما بدأت المدفعية عملها حتى بدأت معركة بنادق شديدة بيننا وبين العرب[1]،الساعة الآن التاسعة وخمسة عشرة دقيقة.»

«العدو بداية هاجم الواجهة الأولى للمربع، وبعد ذلك كرر الهجوم على الواجهات الأخرى، ثم بعد ذلك قام بتجميع قوته وهاجم الواجهة الرابعة دفعة واحدة. قائد الواجهة الرابعة تقدم هو وقواته مسافة قدرها مائة متر، قام بذلك ليطرد قوة مترجلة مختفية في منحى أرضي، قام بهذه الحركة وهو يحافظ على نظام المربع، ويتفادى أن يترك ثغرات قد يستغلها العدو، باستثناء أنه ترك فسحة تمكن الجمال من الحركة، هذه لحركة الذكية حققت مساعيها.»

« هذه الحركة استغلها العدو، وتمكن من احداث اختراقات، كادت تكون مميتة وقاتلة، إلا أن تدخل المدفعية حد من الخطورة، وعالج المناطق الرخوة في المربع القتالي، وعالج دخول الفرسان

---

[1]العرب لفظ يطلقه الكتبة الفرنسيون عن كل جزائري بغض النظر عن جنسه وقبيلته.

الأعداء للفراغات، بعد هذا التدخل العاجل، قوة الفرسان المعادية تراجعت، وعاد النظام من جديد للمربع وأوجهه الأربع.

هجوم آخر للأعداء يظهر أنه الأخير، أراد أن يعيد الكرة ويهاجم الأوجه الأربع للمربع، إلا أن الدفاع أجبرهم على التراجع، هذه المرة تراجعوا ناحية قصر عين ماضي، إلا أن قوة المشاة طاردتهم ولاحقتهم إلا أن الفرسان المغاربة، هم وحدهم تحصنوا وراء الصخور، يواجهون الواجهة الرابعة للمربع، النقيب مايارMaillard قائد الواجهة الرابعة، أرسل لهم الكتيبة الأولى لقوة الأهالي الرماة، يقودهم الملازم بارجي Bergé إلا أن العدو واجه ثم آثر الانسحاب.»

الساعة الحادية عشرة المعركة انتهت، أصيب ضابطان وتسع رجال، ولم نفقد ولا واحد، كانت الاصابات عند الثوار كبيرة، وكعادهم حملوا جرحاهم ومن قتل منهم، وتركوا 70 قتيلا فوق أرض المعركة.

معركة رائعة انتهت، حسمتها البنادق الجديدة والمدفعية، ويعود الفضل للانضباط الكامل الذي تحلت به المجموعات المقاتلة، والفضل كذلك لحسن قيادة دو سونيس ولهدوئه، وكيف أنه آثر خطة الدفاع.

يصرح المقدم دو سونيس في تقريره، أن النصر جاءه من الهدوء والتزام المقاتلين بواجباتهم، وحسن انقيادهم للأوامر، وكيف أنهم لم يستجيبوا لأصوات وتهديدات هؤلاء البرابرة[1]،هذا الصباح كان حلمهم أن يحدثوا فينا مقتلة، كما أحدثوها مع مجموعة العقيد بيو براترBeauprètre».

هذه المعركة وقعت في مكان يسمى عين الدبداب، واقع شمال قرن الحويطة، جنوب عين ماضي بكلومترات معدودة.

ما انتهت معركة الدبداب، الفوج القتالي اتجه ناحية عين ماضي، الساعة الواحدة بعد منصف النهار وصل أسوار القصر، وتوقف أين كان يضع سي لعلا معسكره[2]. المقدم دو نسيس استدعى كل من سي أحمد وأخيه البشير، سي أحمد أراد أن يقدم تبريرات لما قام به في حين سي البشير، قال أنه مستعد ليلاحق الفارين، وأعلن أن الأمر ليس أمره، وهو يأتمر بفعل أخيه سي أحمد، هو الخليفة ومن له الرأي في القصر، وأراد أن يفصل فعله عن فعل أخيه.

---

[1]دو سونيس يستحضر الحروب الرومانية ضد البرابرة والمغاربة منهم ويستحضر الحروب الصليبية هو في قمة الإيمان المسيحي البرابرة يقاتلون أنفسهم والمسيحي المعمد يحرز الانتصار دون تعب ولا وناء الذي حسم المعركة هو الحلف الماسوني الذي حول المسلمين إلى أشتات يقاتلون بعضهم البعض.

2 Rapport special du lieutenant-colonel de Sonis.

المقدم لم يكن له الحق في البث في مصير الأخوين، وترك الأمر للحاكم العام، وقرر أن يترك الحكم معلقا في انتظار ما يأتيه من الأوامر.
المقدم ترك متاعه وحاجاته في مزرعة تابعة للقايد سي ريان، على بعد أمتار من قصر عين ماضي على الساعة الرابعة من نفس اليوم، تحرك الفوج القتالي ليطارد الفارين ويلاحقهم، إلا أن الحاجة الماسة للماء وتخصيص طاقم كامل للمياه، منع المشاة من ركوب الجمال، هذا يجعل حركته بطيئة، إلا أنه كان يأمل أن يحضر المقدم كولينو Colonieu قائد فوج جيري فيل، وأن يحضر في الوقت المناسب ويقطع الطريق على الفارين، ويستطيع أن يلحق بهم عند واد زقار، ناحية قصر سي الحاج الدين.
يوم 2 فيفري صباحا، الفوج القتالي وصل تاجرونة، ولحق بهم قومية الأرباع وقائدهم لخضر بن مُحَمَّد وتقدموا الفوج القتالي، ليكونوا في مقدمته، الفوج تجاوز لا لمية، الثوار اقتحموا القصر ونهبوه وبعد ذلك عسكروا عند وادي رزان، يوم 4 الثوار أخذوا حاجتهم من الماء من آبار المقرشي، بعد ذلك عسكروا عند نقطة تسمى اللياتيوم 5 فيفري، وصلوا قصر سي الحاج الدين.
لخضر أبلغ القيادة أن الثوار باتوا ليلتهم في برزينة، المقدم دو سنيس اتجه ناحية قصر بريزينة، لما علم سي لعلا وسي قدور خبر المقدم، وأنه قادم نحوهم، أخذوا طريقهم ناحية لبيض سيدي الشيخ في الأثناء، الفوج القتالي التابع لمدينة جيري فيل ما وصل إلا نواحي الرسول، ولم يكن بإمكانه قطع الطريق عن الثوار. هذا فرض على الفوج القتالي التابع لمدينة الأغواط، أن يقوم بمطاردة شرسة وهذا ظروف الفوج لا تطيقه، ولا تحتمله من أجل ذلك، المقدم قرر الرجوع إلى عين ماضي، وصلها يوم 10 فيفري، تم القاء القيض على الخليفة التجاني سي أحمد، وسمح لأخيه سي البشير البقاء في القصر، وتم تعيين سي ريان قايد للقصر، يوم 12 الفوج القتالي يدخل مدينة الأغواط.
يوم 26 فيفري تم ترقية المقدم دو سنيس إلى مرتبة عقيد قائدا للفوج السادس مطاردة.
القيادة العليا فتحت تحقيقا في الأحداث، بينت أن تمرد أبناء التجاني أمر دبر بليل، وليس هو بالجديد، وليس وليد لحظة عابرة كما يدعيان، وليس حضور شيوخ أولاد سيدي الشيخ كان السبب الوحيد للعصيان، بينت التحقيقات أن الثوار أرادوا منح ثورتهم غطاء دينيا، وجعل الحرب على فرنسا مقدسة، وأن تمردهما وعصيانهما، سيجعل كل قبائل الأرباع وأولاد نايل تنحاز لهما، وأن الخطة التي توافقا عليها الأخوين هي نقل الحرب من قصر عين ماضي إلى فقيق، أين للزاوية التجانية سلطة ونفوذا.
أفضت التحقيقات أن كثيرا من كبراء قبائل الأرباع وأولاد نايل، وقفوا وحرضوا على العصيان وأظهرت التحقيقات، أن القومية قومية الأرباع وأولاد نايل، تم التأثير عليهم وهذا فسر تأخرهم عن المعركة الحاسمة، ولم يأتوا إلا بعد انتهاء المعركة، وبالتالي لم يُستفد من حضورهم في الأوقات العصيبة.

تم اقتياد سي أحمد إل العاصمة، ثم نفيه إلى مدينة بوردو Bordeaux[1] الفرنسية، ثمانية عشر من المقربين من سي أحمد من أهالي عين ماضي، تم تحويلهم للتل للنظر في أمرهم، وتم فرض عقوبات على كل من ثبت في حقه التواطؤ أو العمل بطريقة مباشرة، أو غير مباشرة مع أبناء الخليفة التجاني. شهر ماي 1870 ميلادية ملحقة الجلفة أضحت دائرة مستقلة، لها سلطة كاملة على باشا أغاليك أولاد نايل، نفس السنة اضطرابات واحتجاجات تشهدها قصور بني ميزاب، وتوسع التمرد ليصل قبائل أخرى في الصحراء. السبب في كل ذلك كلام الناس عن ظهور شاب، يلقب عند العوام بوشوشة، وسبب اللقب أن الشاب كان يطلق شعره كاملا، يقول العوام أنه يدعي أن والده الشريف مُحَمَّد بن عبد الله، هو رجل مغامر أضاف له العوام لقبا آخر، هو شريف عين صالح، عرف كظاهرة شهر مارس 1869 ميلادية، تنقل بين واحة تيدكلت وواحة توات. ما حل في مكان إلا أعلن أنه مكلف بطرد النصارى واخراجهم، اجتمع حوله مجاميع من التوارق و الشعانبة، وبعض أهالي المنيعة، ما جاء شهر أفريل سنة 1870 ميلادية، تحرك ناحية الشمال ما مر بمنطقة، إلا والتحق به المغامرون ممن سكن الصحراء أو فر إليها.

قايد متليلي سليمان بن مسعود، رغم أنه اتخذ له حرسا من فرسان نني ميزاب، إلا لم يثبت وفر ناحية غرداية هاربا.

يوم 10 ماي 1870 ميلادية، الشريف بوشوشة عسكر عند واد سبسب، غير بعيد عن متليلي لخضر بن مُحَمَّد، اتجه نحوه في قوة تعدادها 300 فارس من فرسان الأرباع والمخاليف الجرب، يوم 12 ماي لخضر وصل واد سبسب واجه حراس بئر تابعين للشريف، واستطاع أن يبعدهم ويأخذ حاجته من الماء، وبعد ذلك قرر مهاجمة الأعداء. لما عرف الشريف بوشوشة الخبر، تحصن بمكان صعب من ضفة واد سبسب، بقيت المواجهة بين لخضر والشريف حتى الساعة الخامسة، قاد لخضر أربعة هجومات على خصمه، أعانه في ذلك فرسان الأرباع، واستطاع لخضر بشجاعته أن يخترق الأعداء ويصل لقائدهم، وتعرف عليه بوشوشة كأبطال ملاحم هوميروس هو شاب في مقتبل العمر، لم يتجاوز 23 سنة، بالكاد نبتت له شعرات في لحيته، يلبس قندورة عربية خضراء ولا سلاح له، إلا مسدس يحمله في يده.

القوة لم تكن متكافئة بين لخضر وخصمه، وميدان المعركة صعب، ولم يستطع فرسان الأرباع والمخاليف الجرب التحرك بيسر، وقد تعبوا وجاءهم الارهاق من المطاردة والمناورة، رغم كل هذه الموانع، إلا أن لخضر آثر مواجهة الأعداء. الساعة الخامسة مساء أوقف المعركة، وأخذ طريقه ناحية وادي ميزاب، وبعد ذلك دخل مدينة الأغواط، يوم 17 ماي وقد فقد جنديا من جنوده واصابة

[1] راجع حكايته في فصل لالا يمينة زوجة الخليفة التجاني كتاب تاريخ بني لقواط.

ثلاث من فرسانه، إلا أن الشريف ترك المعركة، وما يقرب من خمسين هم خارج المعركة من نتائج هزيمة بوشوشة، أن الشعانبة تركوه وتخلو عنه تراجع إلى أولف في منطقة توات، تبعد حوالي 144 كيلومتر جنوب غرب عين صالح.
مرسوم 24 أكتوبر سنة 1870 ميلادية، الذي اعتبر اليهود يحملون صفة المواطنة الفرنسية، أحدث حالة حرج لليهود[1]،يوم 10 ديسمبر حدث انزعاج، لما شُرع في التصويت في تحويل الأغواط من بلدية مختلطة، وجعلها بلدية كاملة الصلاحية، وقع خلاف بين الشيخ علي قايد الأحلاف، ومولاي علي[2]قايد أولاد سيرغين، مولاي علي قاد انتخاب مضاد لشيخ علي.
يوم 11 ديسمبر الشيخ علي قاد مظاهرة احتجاج، مكان المظاهرة ساحة راندون، مندد بفعل مولاي علي، الذي يريد الهيمنة على المدينة، لم يسكت مولاي علي، وجاء للساحة هو وأنصاره، هذا أوقع صداما بين الطرفين من نتائجه، جرح مولاي علي وبعض من أنصاره.
الحاكم العام حول المشاغبين ومثيري الشغب إلى الجهات المختصة في المدية، وتم الافراج عنهم هذا الانقسام توسع داخل المدينة ونواحيها، وأدخل الجميع في فوضى عارمة، الفتنة وصلت الأرباع وانقسموا. لخضر وقف مع مولاي علي[3]، هذا الحادث هو مؤشر على ضعف قوتنا وحيلتنا في هذا البلد، لما كانت القيادة في الأغواط تعالج المسألة، كانت الأخبار المقلقة تنزل كالصواعق: حرب أهلية في فرنسا، فوضى عارمة في الجزائر العاصمة، ثورة وتمرد في منطقة القبائل، هذه الأحداث تابعها الأهالي، هم يعرفونها ويتابعون تفاصيلها الدقيقة. كنا نعلم أن وضعية القائد كاريس Carrus حرجة

[1]اليهود في مدينة الأغواط كانوا من النسيج الاجتماعي للمدينة ولا يتمايزون عن الأهالي هذا المرسوم ألحقهم بالفرنسيين يهود الأغواط تاريخهم وعائلاتهم مفصل راجع فصل يهود الأغواط تاريخ بني لقواط.

[2]سي مولاي بن أحمد بن الشيخ من أحفاد الولي سيدي الحاج عيسى قايد أولاد سيرغين توفي يوم 30 جويلية 1885 ميلادية وخلفه في منصبه أحمد بن مولاي علي قايد قصر الحيران. المؤلف

[3]سبب الخلاف أن الأغواط تنقسم منذ زمن بعيد لحيين هما الأحلاف وأولاد سيرغين واحداث بلدية واحدة يعني الغاء أحد الطرفين والطرف الملغى هم الأحلاف وهم من يمثل بني لغواط في هذه الفترة مع العلم أن مولاي علي هو من أحفاد الحاج عيسى وهو دخل مدينة الأغواط متأخرا أراد أن يحوزها بدعوى أنه شريف ومن الأولياء.

وهو ان كان مسؤولا عن المحافظة[1]،إلا أن قوته كانت محدودة، وحتى يوقف الفوضى داخل المدينة اضطر لإدخال قوة المدفعية التابعة للفوج القتالي، وحرك دوريات عسكرية تجوب أحياء المدينة وفرض على السكان حظر التجول، هو يبدأ من الساعة العاشر ليلا.

الإجراءات الصارمة التي أخذت بها القيادة العسكرية في كل المناطق أتت أكلها، الأخبار القادمة من الشمال مفرحة، وصول قوات فرنسية للجزائر، و تحقيق نجاحات حققها الجنرال ساريز Cerez ونجاحه في اخماد ثورة المقراني، الأمور تحسنت أكثر في الأغواط، توافقا لخضر والشيخ علي على الصلح، مولاي علي سمع قول الحاكم العام وامتثل لأمره، وأعلن نيته في الصلح مع غريمه الشيخ علي هكذا عاد الأمن، وعرفت الأغواط حياة طبيعية.

شهر فيفري 1871 ميلادية شريف عين صالح بوشوشة، ظهر نواحي ورقلة وحاز هذا القصر رغم المقاومة، سقطت الرويسات ونقوسه وخضعت لسلطته.

عرفت القيادة العسكرية في الأغواط، أن المحطة الثانية للشريف ستكون قصور بني ميزاب، القائد كاريس أرسل مخازنية الأرباع لمنطقة تيلقيمت، لما سمع الناس خبر بوشوشة وانتصاراته الأخيرة، عدونا العنيد اللجوج الذي لا يتعب، ولا ينحني ولا ينثني ناصر بن شهرة[2]، ترك جنوب تونس وأخذ طريقه ناحية ورقلة، وكله عزم وارادة على لقاء هذا الثائر الجديد. ما وصل ناصر بن شهرة حتى بدأت الانتصارات، سارا ناحية تقرت أسقطوها وتمت حيازتها، ثم حققا نصرا كبيرا في قمار إلا أن الحدث العظيم الذي مشت به الركبان، هو الانتصار العظيم الأسطوري في تقرت، وهزيمة القايد علي باي تحت أسوار القصر، أحدثت ضجة ورجة عظيمة في الأغواط و وقصور بني ميزاب. تذكر الناس الأيام الخوالي أيام المعارك والملاحم، عم القلق القيادة العسكرية في الأغواط وزاد القلق، لما علمت القيادة نية بوشوشة السير ناحية متليلي وميزاب، هذا وقع بتاريخ 4 أوت 1871 ميلادية.

قررت ادارة النواحي ارسال فرق عسكرية ناحية الأغواط، أُريد لها أن تبعث الخوف لدى الأهالي وتمنعهم من التفكير في التمرد، وخاصة سكان قصور بني ميزاب، لأن سكان واد ميزاب منذ زمن لم ترسل لهم قوة عسكرية نظامية، وهذا قد يشجعهم على التمرد، لأنهم ألفوا التمرد والثورات على السلطة الفرنسية.

---

[1]بداية من شهر جانفي حتى شهر أوت من سنة 1871 ميلادية تم استبدال لقب القائد العام بلقب آخر هو الحاكم العام للمنطقة. المؤلف

[2]منذ يوم اقتحام مدينة الأغواط ليومنا هذا 4 أوت 1871 ميلادية 17 سنة هذا الشيخ ناصر بن شهرة ما ترك جواده ولا سيفه في يومنا هذا لا أحد يذكر اسمه ولم تسمى به مدرسة واحدة أو يطلق اسمه على حي أو زقاق من أحياء وأزقة المدينة.

لما علم الناس عن تشكيل فوج قتالي في بسكرة، واستعداده للذهاب ناحية تقرت، هذا الخبر أحبط الأهالي، حتى أن ناصر بن الشهرة المتواجد في تقرت ترك القصر، تراجعت الحماسة لدى الأرباع وبني ميزاب، وقبلوا بوضعهم ولم يعلنوا التمرد.

نهية شهر نوفمبر سي قدور وأولاد سيدي الشيخ، حطوا رحالهم في لبيض سيدي الشيخ، وفرقهم الاستطلاعية، وصلت ناحية لا لمية و تاجرونة، الفوج القتالي التابع لمدينة الجلفة، تحت قيادة لامينيرزLaminerzترك الجلفة، ووصل قصر الحيران في الأثناء كان الفوج القتالي تحت قيادة لا نجل Langle،انتقل إلى نواحي تاجرونة و بريزينة، استقر به المقام في هذه النقطة، التي تسمى المنقوب الفاصلة بين تاجرونة و برزينة،هي تقطع الطريق شمال شرق، الذي سيسلكه سي قدور في الأثناء الفوج القتالي التابع لمدينة جيري فيل، هو يتمركز الآن في لبيض سيدي الشيخ، ويغلق الطرق والمسالك الواقعة شمال غرب، في هذا الموقع سيرسل قوة القومية ناحية الأمام، قومية الأرباع نزلوا ناحية مجرى واد زقار، وقاموا بغزوات متتابعة على الثوار. يوم 23 ديسمبر أولاد سيدي الشيخ الثوار الواضعين معسكرهم في منطقة المنقوب، جاءهم العدو من حيث لم يحتسبوا، آتاهم وهم في غفلة،هاجمهم سي سليمان بن قدور ومعه سي معمر، هؤلاء قادة قومية نواحي وهران، هؤلاء القومية حسموا المعركة لصالحهم،سي لعلا وسي قدور نجا من الأسر بأعجوبة، وفرا ناحية توات بالصحراء.

الفوج القتالي التابع للأغواط أخذ طريق الشرق، ووصل الحامية ودخل المدينة يوم 10 جانفي 1872 ميلادية.

يوم 17 جانفي الفوج القتالي الماكث في قصر الحيران، ترك مواقعه ليشارك في العمليات التي تخوضها قوات بسكرة، يوم 25 الفوج وصل متليلي، قوة القومية التابعة للأرباع وفرت له الحماية والتغطية الكاملة. قوة القومية هذه يقودها لخضر بن مُحَمَّد، يوم 24 تمت تسمية لخضر بن مُحَمَّد ملازم أول[1]،يوم 24 قومية الأرباع هاجموا خيم للثوار عند حاسي بن مخلوفة، وخيم أخرى عند حاسي لفحل وهاجموا خيم، هذه المرة هي كثيرة عند حاسي بركاوي عند واد تقير، قتلوا 15 من الرجال وسلبوهم 250 من الجمال و 4000 من الماشية، يوم 30 جانفي لخضر بن مُحَمَّد انضم إلى فوج متليلي.

---

[1]تسمية لخضر بن مُحَمَّد ملازم أول أو كما نقول في الجيش الجزائري مرشح أحدث في الأغواط موجة من الضحك والتهكم بشكل غير مسبوق وما زال الحديث عنه ليومنا هذا وأضحى فاكهة المجالس ويتندر الناس ويقولونLakhdar ben-Mohammed sous-lieutenant وهم يرفعون التحية العسكرية على الطريقة الفرنسية ولله في خلقه شؤون.

أيام معدودة الملازم الأول لخضر بن مُحَمَّد اتجه ناحية حاسي بركاوي، لأنه علم أن الثوار حطوا رحالهم عند حاسي زرارة، ترك حاسي بركاوي بعدما مشى ثمانية أيام كاملة، حيث سلك الطريق الذي يقوده لمدينة المنيعة،تم تكليف الملازم الأول لخضر أن يتقدم القوات، ويتجه ناحية الأمام كقائد للقومية وتم دعمه بقوة من المطردة الافريقية، وقوة من السبايسية التابعة للفوج القتالي. لقي الثوار في غابة الحميد جنوب شرق حاسي زرارة، هذه المنطقة هي صعبة ووعرة، الملازم الأول وقوة القومية ترجلوا لمواجهة العدو، قتل الملازم الأول من الثوار 12 وجرح 20 في حين لم يصب من القومية إلا اثنان فقط، وكانت غنائم الملازم الأول كثيرة ووفيرة.

التاريخ نفسه الجنرال لا كروا la Croix استطاع بفوجه القتالي التابع لمدينة بسكرة، أن يدخل تقرت ودخل بعدها ورقلة، وواصل طريقه ناحية الجنوب، واستطاع أن يهزم بوشوشة في منطقة تامزغيدة وعين الطيبة، فما كان من بوشوشة إلا الهرب إلى منطقة توات.

الجنرال لا كروا أسر كبار قادة بوشوشة في المعارك والمطاردة، وما وقعوا أسرى إلا بعد استبسالهم في القتال والمواجهة، هذه كلها أخبار مفرحة أدخلت السعادة و أشعرت القيادة بالثقة في الرجال الذين يقاتلون ويموتون دونها، بدأ جمع بوشوشة في التفرق، فما كان منه إلا الانسحاب إلى مدينة تيمون.

الجنرال دو غالفيتde Gallifet،لما تحرك ناحية ورقلة والمنيعة، بين تاريخي 20 نوفمبر 1872 ميلادية و 7 فيفري 1873 ميلادية، كان سببا في رجوع الهدوء إلى مدينة الأغواط.

نهاية شهر مارس 1873 ميلادية، وقع بوشوشة في الأسر في منطقة تسمى الميلق، تبعد مسافة أربعة أيام عن عين صالح، أسره مُحَمَّد بن دريس أغا ورقلة وساعده أخوه سعيد بن دريس، بعد مطاردة استمرت 27 يوما في مناطق مجهولة وخطرة.

يوم 4 ماي سعيد بن دريس حمل الأسير بوشوشة، وأحضره لمدينة الأغواط، عرفت القيادة في الأغواط أن بوشوشة ولد في الغيشة في جبل العمور، وأن اسمه الحقيقي مُحَمَّد بن التومي بن ابراهيم يوم 6 ماي، تم تحوله للجزائر العاصمة.

الحاكم العام بالعاصمة أصدر القرار المؤرخ 25 مارس 1874 ميلادية، أغا ليك ورقلة الذي كان تابعا لوهران ثم قسنطينة، أضحى تابعا للجزائر العاصمة وتعين سعيد بن ادريس مكان أخيه مُحَمَّد، وهذا الأخير يتم تعيينه في تقرت.

يوم 13 نوفمبر 1875 ميلادية، الحاكم العام قرر الغاء ما يعرف بالبلديات الفرعية، وتم تحويلها إلى بلديات الأهالي، بحيث تكون كل بلدية في دائرة، هذا الحكم يدخل حيز التنفيذ 1 جانفي 1875 ميلادية.

دائرة الأغواط ستحوز بلدية مختلطة، وأخرى للأهالي، هما تحت سلطة الحاكم الاداري administrateur، كل بلدية لها مجلس بلدي، تدار كل بلدية بمقتضى القوانين المعمول بها في كل البلديات.

ربيع 1875 ميلادية بعثة تفقدية لأقصى الجنوب، قام بها الجنرال لوفير دو Loverdoحاكم مقاطعات المدية، ونتج عنها جمع وتوحيد الشعانبة التابعين لمتليلي و المنيعة، الخاضعين لأغا ليك ورقلة، يكون لهم الحق في تشكيل قيادة تضمهم، ويتولى أمرهم قايد القياد سليمان بن المسعود قايد متليلي، الذي برهن على صدقه، ودفاعه النبيل من أجل المصالح الفرنسية في الآونة الأخيرة.

تم توحيد كل فرق الأرباع تحت قيادة موحدة، وذلك بتأسيس أغا ليك الذي تم اقتراحه مسبقا شهر جوان 1870 ميلادية، وتم طلبه من جديد من قبل الجنرال دو لوفير دوde Loverdo.

الفرق المختلفة للأرباع تحكم من قبل تسع قياد، كل قايد مستقل عن الآخرين، هذا يكون في الحالات العادية، لما تكون الأرباع تحط خيمها قريبا من الأغواط. الحاكم العسكري ينظم قواعد الحماية وينسق بين الفرق الأدوات، التي تكفل حماية وأمن القطعان، التي أعدادها ضخمةوكبيرة، إلا أن حركة الأحداث وتسارعها في الجنوب، أضاف مشكلة حقيقية، وهي كيف نوحد قبائل الأرباع ونخضعهم، ونجعلهم قلعة حماية تحمي فرنسا، مما قد يأتيها من الصحراء. السياسة الجديدة في الأغواط هي كسب ود هذه القبائل، وهذا الود لا يتحقق إلا بتهييج قبائل الصحراء ضدها، وجعلها تشعر بالخطر، هذا يسقطها ويدفعها نحونا، لأننا نحن فقط من يحميها من أجل ذلك، ها هي سياستنا أتت أكلها، الأرباع الآن يحيط بها الأعداء من كل مكان، ويتربص بها الجميع ليحسم معركته معها.

الأرباع بحكم المقتضيات الجديدة، أولاد نايل هم الآن جيران لهم، والقبائل المحاربة الشرسة تأتيهم دائما من الغرب، وتغذيها الكراهية المترسبة في النفوس منذ قرون، هناك نجاح آخر حققناه نفتخر به في المدة الأخيرة، أننا جعلنا قومية الأرباع تقف معنا، وتحسم معاركنا في الصحراء، هو سبب آخر سيجعل أهل الصحراء يكرهون هذه القبيلة، ومن يتذكر الآن حروبهم ضدنا.

نحن الآن نفكر في تشكيل مخزن، هم من سيتكفل بالحروب وحسم المعارك، الآن لهم قيادة موحدة وادارة تنظم أحوالهم، سيخفف العبء عن القيادة العسكرية، وستهتم بالقضايا الكبرى، وستنظم أحوالها في الصحراء.

فرنسا الآن تمتلك مزايا ومحفزات، وهي تتجه ناحية الصحراء منتصرة، نريد أن نخضع قبائل الأرباع لرجل واحد يقودهم، كما فعلوا لما حاربونا تحت راية واحدة وقيادة واحدة، هي راية وقيادة ناصر بن شهرة.ما نحلم به أن يكونوا هكذا لما نواجه الأعداء في الصحراء، ويكونوا هم الحراس لأفواجنا المحاربة وأيام السلم نخوف بهم، كل من تسول له نفسه العبث بالأمن في الصحراء.

الجنرال لوفير دو اقترح لهذه المهمة الخطيرة والجليلة، قايد المعامرة لخضر بن محمد بن الطيب، الذي تقلد رتبة ملازم أول في الفوج الثاني لقوة السبايسية.
الملازم الأول لخضر ينتسب لعائلة عريقة عند الأرباع، بن ناصر بن شهرة القايد السابق للأرباع الشراقة هو ابن عمه، خلفه شهر ماي 1870 ميلادية قايد فرقة المعامرة والده مُحَمَّد بن الطيب، هو قايد فرقة المعامرة منذ 1849 ميلادية. انخرط في قوة السبايسية سنة 1857 ميلادية، لخضر تمت تسميته سنة 1864 ميلادية من قبل المارشال دو لوجيسdes logis قايد مخازنية الأرباع، كلف بهذه المهمة المتعبة والمضنية، أظهر حسن السلوك والثقة التي ألزم بها نفسه في كل الأحوال، هو الحريص المؤتمن القائم بأعماله على أحسن وجه ولا يظهر التراجع، هو حقيقة من القلائل الذي حافظوا على العهد مع القيادة الفرنسية.
الملازم الأول لخضر كم هو ذكي ومفعم بالحيوية، لما يقحم في المهام الكبرى، يظهر قوته وشدته على الأعداء، أظهر ذلك في موقعة أم الدبداب وموقعة واد سبسب خاصة، أيام المحنة الشديدة الممتدة بين سنة 1870 ميلادية وسنة 1872 ميلادية، ما بخل بالرجال ولا النصائح، كان يقدم المشورة للقيادة الفرنسية فتنتفع بها، هذا العمل المبهر المبهج فتح له الباب وحضي برتبة ملازم أول، وتشرف بوسام صليب فارس جوقة الشرف.
يوم 26 جويلية 1875 ميلادية، تمت تسمية لخضر أغا الأرباع، وخلفه قايد لفرقة المعامرة أخوه حمزة بن مُحَمَّد، الرجل الفارس الهمام الشجاع المقدام.
تم تقسيم دائرة الأغواط إلى ثلاث مجموعات أساسية:

1. أغا ليك ورقلة يتولاه سعيد بن دريس.
2. قايد قياد الشعانبة يتولاه سليمان بن مسعود.
3. أغا ليك الأرباع.

يبقى الشيخ علي باش أغا الأغواط والقصور التابعة له، ما تعلق بواد ميزاب يتم التعامل معه بالقوانين القديمة مع احترام الاتفاقية، التي عقدها المارشال راندون سنة 1853 ميلادية، ويتم الابقاء على عدم التدخل في حياتهم الخاصة،ودفع مستحقاتهم المالية والمحافظة على الأمن في قصورهم.
أولاد صالح هم أتباع الخليفة التجاني، هم وحدهم من قبائل الأرباع الذي أظهر الانزعاج وعدم الرضى من تولي لخضر مهامه الجديدة، وبدأوا في توثيق العلاقة القائمة بين شيخ علي والخليفة التجاني سي أحمد، الذي سمح له بالعودة لعين ماضي يوم 4 نوفمبر 1875 ميلادية. سي أحمد ترك عين ماضي على غير العادة، وبشكل مفاجئ مع نهاية الاحتفال بالعيد الكبير،ثم ظهر وسط أولاد صالح المقيمين في نواحي تاجموت، مما تناقله الناس وسُمع أن سي أحمد قد قتل سي ريان. هذا السماع هز مشاعر الناس، وبدأوا يتكلمون عن الثورة والتمردالناس وتذكروا الأيام الخوالي،ولأن الأوضاع

بدأت تخرج عن السيطرة، قايد أولاد صالح ذهب إلى مدينة الأغواط ليخبر عما حدث، قائد الفوج القتالي التابع للمدينة ادموند أسكلفينEmondd'Esclevinالقائد الأعلى، طلب بالإسراع في التحضير وتهيئة الفوج القتالي المتحرك للحركة. يوم 5 تلقى القائد الأعلى رسالة من سي أحمد، تشرح سبب تواجده وسط أولاد صالح،أنه حاول أن يوفق بين المتخاصمين أولاد صالح ولخضر، ما قرأ الرسالة حتى طلب حضور سي أحمد لمدينة الأغواط. إلا أن سي أحمد لم يمتثل للأمر، ولم يحضر للمدينة، قرر القائد العام الخروج هو وفوجه القتالي وعسكر عند الرشق، يوم 6 على الساعة الرابعة مساء جاءه الخليفة التجاني في نفس اليوم، يوم 7 نوفمبر الفوج القتالي عاد أدراجه لمدينة الأغواط،عاد الهدوء ليعم أولاد صالح، وتلقى سي أحمد توبيخا شديد اللهجة.

شهر أوت 1879 ميلادية، عرفت تاجموت اضطرابات وفوضى، وقف وراءها أولاد صالح، السبب هو تنفيذ حكم قضائي الصادر عن محكمة الجزائر، يسترد بموجبه سي ريان من الخليفة التجاني مبلغا ماليا قدره 113000 فرنك، هذه الاضطرابات لم تتكرر وتوقفت.

يوم 19 ديسمبر 1879 ميلادية الجنرال دولاتوردوفيرنde laTour d'Auvergneالقائد العام لمقاطعة المدية، تجول في مناطق الجنوب، رافقه فوج قتالي قوي يتشكل من: الفوج الأول زواف كتيبتان من قوة الأهلي الرماة الفوج الأول، سرية من قوة السبايسية، و 1000 فارس من قوة القومية.

سنة 1881 ميلادية تم رفع الحصار عن قبائل لبيض سيدي الشيخ، أظهر سي أحمد الخليفة التجاني أفعالا مريبة تبعث على القلق، فتم ارساله إلى الجزائر العاصمة.

بعد التحقيقات سي أحمد، لم يدان وتم السماح له بالرجوع إلى قصر عين ماضي، وحتى تحافظ القيادة العسكرية على أمن القصر، تم وضع داخله حامية عسكرية صغيرة تحت قياد ضابط. تظهر احتجاجات عند بني ميزاب، هذا وقع شهر ديسمبر 1882 ميلادية، تم اقرار وجعل غرداية دائرة تحوز بني ميزاب، أما أغا ليك ورقلة وقايد القياد لمنطقة الشعانبة، تكون لها استقلالية ذاتية، هذا بداية من أول جوان 1884 ميلادية[1]. أخيرا سنة 1883 ميلادية وفاة الأغا عز الدين أغا جبل لعمور، تم رصد علاقة مشبوهة بين سي أحمد التجاني، وسي أحمد بن الصحراوي، أغا قبائل لحرار بتيارت، حققت القيادة العسكرية في العلاقة المشبوهة، بين الرجلين قبيل اعتقال الصحراوي أظهرت التحقيقات، أن العلاقة لم تزد على تبادل الهدايا،وأن اللقاء بينهما قبل الأحداث كان وديا ولم يتباحثان، التمرد والخروج عن الدولة.

[1]قرار من الحاكم العام 22 أفريل 1884 ميلادية. المؤلف

سي البشير التجاني المبعد عن القصر، والموضوع اجباريا في زاوية تماسين، السبب الابعاد أنه تشاجر مع أخيه سي أحمد، ومن شدة الغضب أطلق عيارا ناريا تجاه أخيه، سُمح له بالرجوع إلى عين ماضي، هذا وقع يوم 6 جوان 1884 ميلادية.

ما بقي لنا قبل أن ننهي هذه الدراسة، أن نقول كلمة في طاقم الجمالة،وكيف تم التخلي عن فكرة مبدعة، خدمت القافلة العسكرية التابعة لمدينة الأغواط.

أثناء النقاش قانون تأطير الطاقم يوم 13 مارس 1875 ميلادية، كانت هناك رغبة لإزاحة ما تعارفنا على تسميته ما ينافي قيمنا، وكان الغرض منه ازالة الحراس على الطريقة العربية، واستبداله بنظام الأجرة ودفع فرنك كل يوم، تدفعه البلدية المختصة بالأهالي من الميزانية الخاصة بميزانية الطاقم، وهذا يعني ارتفاع بقيمة 1800 فرنك، هذا المبلغ لا تطيقه ميزانية البلدية المختصة بالأهالي، والدعم المقدم من ميزانية الحرب لا يحل المشكلة، ويضيف إشكالات أخرى، ويحدث تنازع داخل القيادة العسكرية، ان حركة القوافل العسكرية تحتاج رجال منضبطين، لا مجاميع من الأهالي وهؤلاء عادة ما يتركون أعمالهم، ونضطر لتعقبهم كفارين، و نبحث عنهم في قبائلهم.

رغم كل هذه العوائق ما زال الطاقم يقوم بدوره، استطاع شهر ماي 1881 ميلادية من تقديم خدماته،الأيام التي وقع فيها التمرد جنوب وهران، استطاع الطاقم المشكل من 330 جمل، أن يحل مشكلة النقل،منح الفرصة للقائد لا بو Labeauالخروج مع فوجهالقتالي، الذي يتشكل من: 496 مقاتل،232 فارس.استطاع القائد أن يشكل هذه القوة بعد 48 ساعة من تلقيه الأمر، وكان سعيدا بعمله هذا، لأنه جمع هذا العدد، رغم أن قبائل الأرباع كانوا منتشرين عند واد النسا وبلاد ميزاب، وحتى يجتمعوا هم يحتاجون على الأقل ثمانية أيام مع العلم أن القيادة، حتى تضمن حاجاتها لوسائط النقل، أخذتها عنوة من القبائل المنتشرة.

الحركة السريع التي قام بها الفوج القتالي متجها ناحية تاجرونة، كانت الغاية من التحرك منع الثوار أن يكون لهم موقع قدم في جبل العمور، وكذلك تأديب بعض القبائل في جبل العمور، ومنعها من التمرد واعلان العصيان.

استطاعت القيادة العسكرية في مدينة الأغواط، جعل الطرق مستعملة من قبل العربات، هذا جعلها تعتمد بالمطلق على النقل بواسطة القطارات، حتى أن التجار استعانوا بالعربات، لنقل بضائعهم وحاجاتهم اليومية.

أمام هذه التطورات الجديدة، فقد طاقم الجمال قيمته وأولويته، ولم يعد مستعملا إلا أثناء المناورات التي تقوم بها القطاعات العسكرية، أو في بعض المهام المحدودة في الجنوب، أو تزويد المواقع المتقدمة في الصحراء بالمؤن والحاجات الضرورية.

المداخيل التي يفترض أن تغطي نفقات طاقم الجمال تقل، وطاقم الجمال نفسه قلت أعداده، ما حلت سنة 1890 ميلادية ما بقي منه إلا 480 جمل فقط، هو خليط بين جمال صغيرة وكبيرة وذكور وإناث في المجموع، ما يصلح للحمل إلا 250 جمل فقط.

الأدوات والتجهيزات المفترض استعمالها، أضحت مهملة مع تقلص أعداد الجمال، ولما قامت القيادة بالمناورات العسكرية الاعتيادية سنة 1889 ميلادية، كانت الميزانية المخصصة هي حوالي عشرة آلاف فرنك، هذا الوضع لا يمكن السكوت عنه،وخاصة أن البلدية المخصصة للأهالي ميزانيتها أرهقت واستنفذت مع العلم أن القبائل نفسها تغيرت عاداتها، ولم يبقى بمقدورها مد القيادة العسكرية بما تحتاجه من جمال، هذا إذا افترضنا أن هذا قد يقع مستقبلا.

صفوة القول أن الحل النهائي هو الاستغناء عن طاقم الجمال بشكل نهائي، وأن طاقم الجمال التابع لدينة الأغواط جاوزته الأحداث بالمطلق.

الحل وانهاء العمل بالطاقم جاء بطلب من قبل القيادة في المدينة، الجنرال بوزات Poizatقائد مقاطعة الجزائر أمر بحله، وذاك بتاريخ 3 مارس 1890 ميلادية.

جدول احصاء القافلة العسكرية الأغواط

التشكيلات والأطقم المقاتلة	الجمال	البغال	الأحصنة	القوات	الضباط
القيادة العليا للفوج	»	»	8	2	6
الفوج مشاة افريقية خفيفة اعتماد كتيبة فقط2	»	»	»	142	2
قوة الرماة الجزائرية 1(فوج 2°)	»	»	»	475	18
الهندسة العسكرية 2°	»	11		11	
(قطعتان مدفعية جبال) المدفعية 3'	»	32	9	59	1
(سرب)المطاردة الافريقية 1	»	»	103	90	5
(سرية"1) السبايسية "1	»	»	68	64	4
سرية مرافقة الطواقم "2	»	52	8	41	2
الاسعاف	»	»	»	10	2
الادارة	»	»	1	6	1
مخازنية وقومية الأرباع	»	»	31	31	»
طاقم الجمال	»	»	»	»	»
السبايسية 1		»	10	10	0
الرماة2	860	»	»	50	0
طاقم جمال مساعدة 3		»	»	165	»
المجاميع					
	860	95	243	1156	41

نبوءات[1] سيدي الحاج عيسى ولي مدينة الأغواط

وَجْدُوا لِلْرُومْ غْدَاهُمْ مَعَ عَشَاهُمْ بِالْحْرَامْ يَبِيعْنِي فِي وَادْ الْحْمَّـــــــــارْ
يْنَزَهْ فِي أَبْصَارْ نِسَاهُمْ وفِي هَوَاهُمْ مَنْ عَسَاكِرْهُمْ تُقْدَى الْنَّارْ في اْلأَحْجَارْ
تَعُودْ مَزْغَنَة لِلْكُفَارْ دَارْ نَارْ تُونَسْ الْخَضْرَا لِأَهِلْ اِسْبَانِيَا مَـــــــزَارْ
طُّلْ شُوفْ شْعَاعْ أَلْفْ عَلَامْ فِي الغْبَارْ قَاصِدْ مَزْغَنَة لِـــــــوَادْ الحْمَّارْ
يَا سَامِعْ لَفْظِي لَا تَسْتَبْطَاشْ ذا الوُعِيدْ شَافَتْ عَيْنِي بِالْمُّو الأَبْصَــــارْ
الجْزَائِرْ تَخْلَى مِنْ مُلْكِهَا الْسَعِيدْ بِالْفِرَنْسِيسْ اِلْلِي في سَاحِلْ الْبِحَـــارْ
وَأَهْلَهَا مِنْهَا يَمْسُوا وَرَاهُمْ بَعِيدْ في مَا قضاه البراري فِ سَابِقْ اْلأَقْـــدَارْ
ذَا الْحَدِيثْ عَجِلْ شُوفَة عَيْنْ مَنْ عَرَفْهَمْ الرُومْ خَشْ مَزْغَنَة وَدَارْ سَـــتَارْ
خَرْجُوا مِنْهَا كَانُوا هُنَا قَبَلْهُمْ مَالْكِينْ هَنَاهْ وَجْبَالْهَا كَبَـــــــــارْ
يَا حَسْرَاهْ على غَوْلَةُ البُلْدَانْ لَكْنَاسْ أَصْنَامْهُمْ مَحْتُـــــــــومْ
مَا يَحْلَى لِلْتُرْكْ فِيهَا نوم ينهزموا وَزَمَانْهُمْ مَهْـــــــــــرُومْ
بَرْكَاهُمْ مِنْ ظُلْمْهُمْ وَ الْشُومْ قُدْرَةْ رَبِي تَهْزَمْ الْمَلْمُـــــــــــومْ
كَانَتْ مَزْغَنَة مَلَانَة بِصَنَادِيد الأَتْرَاكْ اِلْلِي مُلْكُّهُمْ مْقَبَحْ طَبْعُـــــــــهٌ
لُوطْ وخَمَرْ وفُسَاقُو أِمْفَاسِيدْ حَاشَا فِيهُمْ مَنْ خْشَى الله وَطَاعَـــــــه
هَا هُوَ جَاهُمْ عَسْكَرْ لاَ يَرْحَمْ سِيدْرَومْ الْنَصَارَى يَصُدْعُوا مَا يَنْصَدْعُـوا
يِذُلُوهُمْ وَالْهَنَا يَشْيَانْ يرْخَسْ ذَاكْ الْجَاهْ بَقْبَحْ الْقُـــــــــومْ
يِسِيبْ حَرِيمْ الْتُرُكْ في الأَوْطَانْيَ شْمَخْ دِينْ فَرَنْسَا وَيَـــــــــدُومْ
ثِلْثْمِيَاتْ سَنَه لِمَزَغْنَه الْبَهْجَة مَمْلُوكَه لِلْتُرْكْ بِالْظُلُمْ وبِالْجُـــــــورْ
سِيرَةْ عَامْ حَدِيثْ بِهَا تْتْحَاجَى بِطَنَاخِتْهَا في الْمَدَايِنْ وَالْبِحُـــــــورْ
في غَفْلَةَ هِيَ و مَا فِيهَا يَرْجَى والأَقْدَارْ تْصُولْ وَيَصُولْ المَقْــــــدُّورْ
هَا هُوَ جَاهُمْ عَسْكَرْ سَخَطْ مَا يَلْيَانْ فَرَانْسِيسْسْ بَانْيَه في الْبَحْرْ يَعُـــومْ
اَيْسْرُوا يَنْقَصْ الْصِبْيَانْمَا تَسْتَاهِلْ غَوْلَةَ الْبُلْـــــــــــدَانْ

---

1 المقاطع أخذت من كتاب الآية الذي تركه الحاج عيسى ـ كتبت التنبؤات سنة 1714 ميلادية ـ سلمها أبناء الحاج عيسى لماري مونج قائد البعثة الاستكشافية لما دخل الأغواط سنة 1844 ميلادية طلب من النقيب في الهندسة العسكرية النقيب موتال Motel المكلف بالشؤون العربية في طاقين والقائد الأعلى لبرج طاقين أن يترجم القصيدة. راجع بعثة ماري مونج ترجمة كزواي الحاج العربي القصيدة في نهاية الكتاب.

رسائل مُحَمَّد بن عبد الله المحفوظة في الأرشيف

رسائل محفوظة في أرشيف الحكومة العامة بالجزائر العاصمة، أنا لا أملك النص العربي بل النص المترجم للفرنسية أترجمه:

الرسالة الأولى:

رسالة شريف ورقلة إلى سيدي الشيخ بن الطيب

الحمد لله وحده

من عند مُحَمَّد بن عبد الله المدني المجاهد في سبيل الله، إلى الأخ والصديق الذي يتبع الوحي والذي يبعد نفسه عن سيئات الدنيا، المحب لشريعة الله ورسوله، إلى سيدي الشيخ ابن الطيب والإخوة معه، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

سأبلغكم خبر يفرحكم ويسعدكم، بلغوه عني حتى يعرف وينشر ويشاركنا الناس فيه، إن الشريعة الحقيقية منتصرة، الله ورسوله يباركها وحمايتها واقعة على المجاهدين في سبيله، نطلب من الله أن يقبل دعوتنا وينظر إلينا إن أحب وشاء. أخبركم أيها الإخوة لقد ذهبت لمكة لغاية التعلم وحفظ قوانين الدين، بقيت أربع سنوات، ما انتهت السنتين حتى أمرني الشريف سيدي مُحَمَّد بن سنوسي رضي الله عنه وغفر لنا وله، أمرني أن أذهب إلى بلد الجزائر وأعلن الجهاد. أخذت طريقي لها ونزلت مدينة ورقلة، وجدتها تحت حكم فرنسا أزال الله ملكها، بقيت حوالي شهرين متخفيا وصلت لفئة منهم استجابت لداعي الله ورسوله، الله أراد لهم خير الدنيا وسعادة الآخرة.

الخليفة المعين من قبل فرنسا علم فعلنا، أصدرت الأمر بسجنه ودمرت قصره ووضعت قرابته في السجن وجمعت القوم حولي بعد تفرق عرفوه، كانوا فرقتان تقتتلان أراد الله لهم الأمن والأمان، وأزال من قلوبهم البغض والكراهية، ها هم الآن إخوة متحابون يسلكون طريق الله.

كل هذا ما تحقق إلا بفضل الشيخ ـ الشيخ سنوسي ـ تقبل الله عمله ورضي عنه، وجمعنا الله معه في جنته نحن الآن قوة عظيمة تتكون من التوارق الطارود، ومن قصور بني ميزاب، ومن قبائل الأرباع و الحرازلية. لقد مسكت قوم تقرت مرتين، وأخذنا قطعان أولاد نايل الله وحده يعلم عدد ماشيتهم وجمالهم. الفرنسيون أزال الله ملكهم أرسلوا ثلاث فرق : الأولى من جبال العمور، الثانية من بني لغواط، الثالثة من أولاد نايل، كانت معركتنا معهم مساء السبت وصبيحة الأحد يوم 10 من ربيع الثاني، الله ورسوله وقانا شرهم، حُزنا جمالهم وقطعانهم وما معهم من بارود وغنما ما شاء لنا الله غنمه، قتلنا منهم 300 وفقدنا 18 شهيدا، نعلمكم بأخبارنا حتى من سمعها يلحق بنا ليجاهد في سبيل الله، ونحن في انتظارهم، أما إذا جاءهم الخوف والجبن فليبقوا في مكانهم.

الله يعلم ويقرأ ما في القلوب.

بلغ السلام لأخوالي سيدي الحاج أحمد، سيدي الحاج الشيخ بن المداني وإخوانه، السلام لمن أحب ورغب في الجهاد ونصرة ديننا، كتب في العشرية الثانية من شهر الله ربيع الثاني سنة 1268 هجرية

الرسالة الثانية:

إلى سيدي مُحَمَّد بن المكي قبائل بني سناسن

الحمد لله وحده

من طرف مُحَمَّد بن عبد الله المدني إلى إخوانه ورفاقه وكل قبائل بني سناسن، إلى الشريف والآخرون لقد اخترت منكم سي مُحَمَّد بن المكي، والحاج ميمون وإلى كبراء وقادة بني سناسن، وإلى قادة الأنقاد لأخاطبكم كلكم.

السلام عليكم حفظكم الله ورعاكم.

سأبلغكم خبر يفرحكم وأريدكم أن تبلغوه وتنشروه حتى تبتهجوا كما ابتهجنا، إن الشريعة منصورة إن الله ورسوله رضيا عنا وتولى حماية من أعلن الجهاد في أرضه.

نعلمكم أننا كنا في تلمسان وكنا تحت سلطتهم، وكنا نصدق أكاذيبهم حتى شاءت رحمة الله أن تخرجنا من ضلالهم وغيهم، وهدانا لطريق الصلاح. تركنا تلمسان وذهبنا لمدينة الإسكندرية غايتنا طلب العلم، ثم تركناها وذهبنا لمكة لأداء ركن الحج، شاهدنا البيت والمقام في مكة المكرمة، وزرنا قبر النبي عليه الصلاة والسلام في المدينة المنورة.

جمعنا الله وإياكم في هذا المكان، بقيت هنا أربع سنوات طالب للعلم، وأخذت النصائح من الشيخ الشريف سيدي مُحَمَّد بن السنوسي العالم والمعلم، حفظه الله وأرضاه جعل الله لنا هاديا ومرشدا.

انه صاحب الساعة لقد أمرني أن أتوجه إلى بلد الجزائر لإعلان الجهاد، تركنا المكان وأخذنا طريقنا إلى الجزائر وأمرني أن أسكن ورقلة، لما اقتربنا من هذه المدينة وجدناه تحت حكم فرنسا أزال الله ملكها. وجدنا خليفة فرنسا مع كل هذا بقيت في المدينة لمدة شهرين متخفيا، كنت أعظ بعض كبراء المدينة وأطلبهم أن يلحقوا بالجهاد ويدافعوا عن دينهم، وأن يقوموا بالحرب من أجل إمام المسلمين رضي الله عنه، لقد نجحنا في عملنا بالكامل وكان نصرنا نصر لنبيه عليه الصلاة والسلام. لقد تخلصت من خليفة فرنسا قبحه الله وأدخلته السجن وحطمت مدينته، وجعلت بطانته في السجن. وجدتني في ورقلة قليل العدد، إلا أن الله جمع حولي كل عرب ورقلة وسكان قصورها ،كذلك تقرت وقصورها، القصور السبع لبني ميزاب، كل قبائل الأرباع قبائل أولاد نايل، قبائل التوارق، قبائل التارود، كل هذا تحت قوة الله ونبيه كلها تطيع الشيخ ـ يقصد الشيخ السنوسي ـ كلهم يجاهدون في سبيل الله.

الفرنسيون أزال الله ملكهم أرسلوا لنا ثلاث فرق، الأولى جاءت من جبل العمور، الثانية من بني لغواط والثالثة من بلاد أولاد نايل. زحفوا إلينا يقاتلوننا التقينا بهم يوم السبت مساء 10 من ربيع الثاني - 17 جانفي - لقد جاهدنا عدونا والله يحمينا ورسوله، لقد هزمناهم وغنمنا قطعانهم وسلاحهم وخيامهم وغنمنا الجمال، وقتلنا ما يقرب من 300 من جندهم، واستشهد منا 18 شهيدا رضي الله عنهم والله يوفقنا لفعل الخيرات.

بلغ السلام للسيد الشيخ بن علي الغزال هو الآن عند أولاد الغاز، بلغ السلام لطلبة الريف ومن سكن بلدنا أنا عبد الله وخادمه وأنا كذلك الصديق، جعلت نفسي غبار نعالكم، كتبت في العاشر الثاني من شهر الله ربيع الثاني سنة 1268 هجرية.

الرسالة الثالثة:

من شريف ورقلة إلى سيدي محمد بن ميلوك، مقدم سيدي أحمد بن علي زيسين من بلاد عطية.

الحمد لله وحده

من محمد بن عبد الله المدني إلى إخوانه وأصدقائه وخيرة الطلبة الذين أناروا الظلمات، جعلهم الله في الأرض النجوم اللامعة تنعم بها القلوب، ما أنا إلا خادمكم وأجد نفسي أقل من غبار نعالكم، وأنا تابع لأثركم في الليل والنهار، إلى معالي طلبة الريف وبلد العرب وغيرها كاملة، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته أبلغكم بأمر مفرح سعيد بلغوه عنا وانشروه، حتى يفرح ويسعد الجميع كما فرحنا وسعدنا نحن.

لقد كنت في بلد تلمسان طوع إرادة الله، حتى أشفق الله علينا وأخرجنا من الظلمات إلى النور، نرجو توبته ومغفرته، أتوسل بصلاحكم وكرمكم أن تقبلونني أخا، أطلب من الله أن يثبت أخوتنا في قلوبكم وقلوبنا أعلمكم أنني خرجت منفيا لأداء الحج.

أحاطنا الله برعايته وصلت أنا وأهلي بخير وعافية، زرت قبر النبي ووضعنا أيدينا على باب حجرته الشريفة كان لقاء مع صاحب الساعة شيخنا الكامل الشريف سيدي محمد السنوسي، الواعظ والمعلم رضي الله عنه هدانا الله بعلمه، بقيت معه أربع سنوات متعلما متمنيا أن أموت بجواره.

في يوم طلب من أن أحضر وألقاه قبلت يده المشفقة ورجله السعيدة، قال لي : آه يا ولدي اذهب واتجه إلى بلد الجزائر ستجد البلد قد تم احتلاله، الله سيجعلك سببا في تحريره إن شاء الله

ثم طلب مني أن أسكن ورقلة، أخذت طريقي نحوها وجدت فرنسا قد حازتها أزال الله ملكهم، وجدت خليفة لهم يأمر وينهى ويقضي فيهم بأمره، ووجدت جمع كبير معه. أنا خادم الله وجدتني وحيدا وغريبا فيهم بقيت في ورقلة شهرين متخفيا، أحضر للجهاد و ادعوا كبار القوم، منحنا الله الإيمان وهدانا سواء السبيل ألا وهو سبيل الجهاد، أردنا أن نحمي حمى الشريعة شريعة رب الأرباب وقاهر العباد، حبست خليفة فرنسا أهلكه الله وهو في حبسه لغاية الآن.

قمت بتحطيم قصره وأعدت توزيع المهام في مدينته، كل القبائل لبت دعوتنا وأعلنت طاعتنا والمدن كذلك غزونا العرب والله وحده يعلم كم قتلنا منهم الفرنسيون أزال الله ملكهم، حاربناهم وقاتلناهم وضيقنا عليهم السبل.

الفرنسيون أزال الله ملكهم أرسلوا لنا ثلاث فرق، الأولى جاءت من جبل العمور، الثانية من بني لغواط والثالثة من بلاد أولاد نايل، لقد زحفوا إلينا ليقاتلونا، التقينا بهم يوم السبت 10 من شهر الله ربيع الثاني قاتلناهم وجاهدناهم ونصرنا الله عليهم، لقد هلكوا قتلنا منهم حوالي 300 رجل وأخذنا معسكرهم وملكنا السلاح والبارود والخيول والجمال هي غنيمة لنا.

جاءنا هذا من دعاء شيخنا رضي الله عنه، نطلب من الله أن يبقي علينا عزه ونصره وأن ينصرنا، ونعلمكم أن الفرنسيين أهلكم الله من فزعهم وخوفهم مثلهم من أراد الهروب ويسكن الجبال، لقد فقدوا العقل والروح إن قبائل زواوة تقاتلهم عند باب الجزائر وتسد عليهم المخارج.

كتبت في العاشر الثاني من شهر الله ربيع الثاني 1268 هجرية.

تقرير حول معركة مقرين قدم يوم 29 نوفمبر 1854 ميلادية المحاربين مع شيخ تقرت ومع الشريف محمد بن عبد الله

«سيدي العقيد

يوم 26 نوفمبر وصلنا مقرين، وصلني الأمر الصادر من قبلك، تطلب مني التنقل من أجل حماية جني التمور لقبيلة سلامية ورحمان، علمت أن الشريف مكث زمنا في الوادي، وأنه تمكن من جمع عدد غير محدود من الفرسان والمقاتلين، وغايته انقاذ واسعاف مدينة تقرت.

فهمت من الأوامر أن آخذ طريقي ناحية الطيبات، واحة النخل الموجودة في طريق سوف مع تقرت قررت أن أوقف حركتي، وأوسع المفاوضات، التي أمرتني بها أن أجريها مع من سكن الوادي.

لقد أمرت القايد سي أحمد بن لحاج، أن يتمركز و يشكل قوة من 400 فارس و 400 مقاتل وطلبت منه أن يتوقف في منطقة تلة، حتى يضمن لي التواصل مع فوجك القتالي، لقد تحركت يوم 27 على الساعة الثانية زوالا مع بقية القوة الباقية معي، حتى نتجاوز كثبان الرمال الصعبة، احتجنا ساعة ونصف، ما تجاوزتها حتى وضعت معسكري في منطقة الرزق، وجدناها أرضا خالية رغم أنها مراعي خصبة.

سبقني إلى لطيبات سي العربي، الأخ الشقيق لسي محمد العيد، هذا الرجل له نفوذ على قبيلة سيدي أحمد، المالكين لواحة الطيبات، لقد عرفت أن سي العربي، وعدني باستقبال رائع في الطيبات، لقد تحرك والثقة تغمرني، الساعة الثانية بعد منتصف الليل، وصلني البريد من عند سي العربي، ليعلمني أنه ما وضع قدمه في الطيبات حتى حضر قومية تابعين للشريف، ولحق بهم بعد ذلك أعداد أخرى، توقفت وقررت أن أوقف المسير ولحركة، لأن هناك كثبان رملية أكثر صعوبة من التي وجدتها في ليلتي السابقة، الطيبات محيطة بالكثبان تغطيها من كل النواحي.

لا أستطيع أن أقحم الخيالة في هذه المنطقة الصعبة الوعرة، مع العلم أنها القوة الضاربة عندي، ولا أستطيع أن أدخل بقوتي هذه، وأقتحم مدينة الطيبات، هنا أحتاج ملحمة من الملاحم، وليست معركة من المعارك. أعلمك أنها مدينة تحتوي أربعمائة منزل من أجل ذلك، ها أنا أعود لمنطقة مقرين وقمت بذلك، هذا وقع يوم 28 مع العلم أنني تركت بعض من القوة في تالة، إن مقرين تخفي عداء صامتا تشعر به ولا تراه، ولأنني أريد أن أكون السيد الماسك بالماء، قررت أن تكون حركتي ضمن حدود الواحة على مسافة لا تزيد عن نصف ساعة، هذا التحرك وهذا الوضع، يسعفني ويجعلني أمتلك زمام الحركة والمبادرة، كنت محقا لما ابتعدت عن مقرين: هذا جعلني أراقب المقاتلين التابعين للقبائل، هؤلاء يتوقون دائما لحيازة الغنائم ونهب الممتلكات.

يوم 28 استطاع الشريف أن يدخل مدينة تقرت في جمع كبير من قوته.

يوم 29 صباحا واحة تقرت التي مكنت الشريف من جمع كل قوته، استطاع سليمان والشريف من جمع وترتيب الفرسان والمشاة، ان المعلومات المؤكدة التي وصلتنا، تقول أن الشريف وصاحبه جمع أربعمائة من الفرسان، وألفين من المشاة.
حركة الانسحاب التي قمت بها ما قبل الليلة البارحة، أغرت الأعداء وفتحت الشهية للغنيمة شاهدوا قوافل الجمال الطويلة، شاهدوا أعداد البغال وما تحمله، وما تجره من يراها من بعيد تحدثه نفسه في اغتنامها وحيازتها، كل هذا عرفه الشريف، وعرف ما هو الأهم، وهو أن موقعي الذي أنا متواجد به لا يصلح، لا لمعركة دفاع ولا هجوم. حتى أن سليمان هو الآن يحدث نفسه، بما يمكن أن يجنيه لو انتصر في معركته، لما كان سليمان والشريف يجتمعان بالفرسان والرجال، هم دائما في وضعية الدفاع منتشرون، يختفون في الانكسارات والمنحدرات، وبين ثنايا كثبان الرمال، هم هكذا يغطون الشبكة التي تقودنا حتما ناحية مقرين ـ هي ضفة نخل كبيرة تشكل واحة نخل كبيرة ـ هذه الواحة تحوي القرية ومن وصلها يستطيع العودة لناحية المعسكر الأول، الذي وقفنا عنده بداية.
من أجل ذلك كانت الأوامر الموجهة للرجال، هي حراسة المعسكر وضفاف الواحة ونهاياتها، لما أمنت المكان، أمرت قوة القومية لتابعة لي التقدم ناحية الأمام مع سرية السبايسية، وكتيبة قوة الأهالي الرماة الاحتياطية، وأول ما شهدت قومية الأعداء، أمرت قومية سي أحمد بن الحاج بالهجوم، والغاية من الهجوم هو تطهير الأرض وفتح الطريق. سي أحمد بلحاج قام بالهجوم، وأحدث ملحمة وهو يواجه العدو ولم يتراجع، هاجم الأعداء المختفين بين التلال والكثبان، وكاد أن يصل القرية في هذه الدقائق الحاسمة، أنا لم أتردد وجهت كتيبة الأهالي الرماة ناحية ضريح سيدي علي بن كانون الذي يهيمن على القرية، وبعد ذلك أغلقت مسلكا أراد الأعداء منه الدخول ناحية القرية.
كتيبة الأهالي الرماة وصلت الضريح واقتحمت الضريح، وأوقفت هجوم الأعداء برمي منظم، وتحرك محكم ومدروس،وتمكنت كذلك من الرد على أهالي القرية الذين استعانوا بالأسوار، وشرعوا في الرمي، لرد هذا الفعل أمرت مفرزة الملازم الأول سي عمار من الفوج الثالث السبايسية، قام بعمل رائع ومشهود. ناحية اليسار ولرد هجوم الأعداء، السحاري وأولاد سحاولة المتحالفين معنا، تكفلوا بهذا العمل، إلا أنهم لم يخترقوا الأعداء، وأخذوا لهم مسافة فاصلة، هذا الفعل جعل سي عمار وحيدا وسط العدو برهة من الزمن، ومع ذلك رفع الرايات وتقدم أماما بكل عزم وشجاعة، ولإخراجه من ورطته، حركت الجناح الثاني مجموعة النقيب دو كيرتذيرو De Courtivron ناحية اليمين، أما ناحية اليسار، حركت قومية سيدي المختار وقومية سي بوضياف. النقيب دو كيرتذيرو ارتفع حتى وصل وسط الفرسان ومشاة الأعداء، هؤلاء اعتقدوا أنهم منتصرين لا محالة، السهل الذي وقفوا عليه استطعنا كنسه، حاول الأعداء التراجع، قررنا أن نقوم بالهجوم المضاد،ونحن نعلم أهميته في حسم المعركة، النقيب ذوندرواس Vindriois قائد كتيبة الرماة الأهالي، تقدم ناحية الأمام مع

كتيبة مساندة، رافقه في عملية الهجوم الملازم جوهانو Jouhanneau تسلق القرية دون خوف ليظهر للعدو ملحمة لم يرها من قبل، بعض من أولاد جلال المساندين لقوة الأهالي الرماة العاملين بمنطقة مقرين، طردوا سكان القرية ساندهم في عملهم قوة مشاة جاءت من خارج المنطقة، أمام هذه الحركة المنظمة وتظافر جهود الجميع، أضحى النصر قاب قوسين أو أدنى. سليمان وصاحبه الشريف لم يكن أمامهما سوى الفرار، هربوا وتركوا رجالهم وراءهم، لم يجدا أمامهما إلا الأرض يتيهون فيها، هما وجنودهما يهربون في الأنحاء، الملازم رابوت Rabotte الملحق بسرية النقيب كاذال Cavel سارع لملاحقتهما ومطاردتها، وما تركهما حتى وصلا منطقة الشبكة.

جاءني النقيب ساروك Seroka ليحذرني، أن قوة كبيرة من المقاتلين يحملون الرايات، ويعرفون عن وجودهم بقرع الطبول والآلات الموسيقية، أنهم لجأوا لحديقة موجودة بمنطقة تسمى كراع مقرين وأنهم يتنادون بينهم، أن يقهروا عدوهم أو يموتوا. الظاهر أن من دفعهم لفعلهم هذا شخصية قوية، كنا نعرف أنه مقدم النزلة، هو من أكبر الأوفياء لسي سليمان، وأن هذا الشخص قد قتل، لتدارك أمرهم سي المختار وسي بوضياف، أحاطوا بهذا القسم من الواحة، أين يتواجد أنصار مقدم النزلة القتيل، وفرضوا عليهم الحصار أين لا يستطيع أحدهم أن يترك مكانه. قمت بنفسي وأحضرت قوة الأهالي الرماة، ومكنت النقيب كاذال أن يكون له موقع قدم، هو وجزء من قوته، هذا الجزء هو قوة مدربة من قبل قادتها على خوض المعارك الشرسة، استطاعت قوة السبايسية، وقوة الأهالي الرماة أن تقتحم الجدران، وهي تتعرض لطلق البنادق المستمر من قبل المدافعين. ما كان من هؤلاء الثوار إل التفرق، القليل منهم هرب الباقي وجدناه ميتا ملقى على الأرض هي الحلقة الأخيرة في هذا اليوم، الساعة الآن الثانية زوالا مع العلم أن المعركة بدأت الساعة التاسعة صباحا ونصف، خسارة سليمان والشريف كبيرة بالقدر الذي لم نتوقعه، لما انسحبا أخذا معهما ما يقارب من خمسمائة قتيل ولم نستطع احصاء جرحاهم، أحداث المعركة تعطينا فكرة عما يمكن أن نلحقه بالعدو، إن أردنا هزمه.

الفارون الهاربون لم يكن أمامهم إلا تخطي جسر باب الخضرة، حتى يدخلوا تقرت وينجو، 13 منهم سقطوا في هوة وماتوا من شدة التزاحم، ما غنمناه كان عظيما خمس رايات، اثنان للشريف، وثلاث لسليمان، غنمنا ألف بندقية، غنمنا مائة سيف، ناهيك عن المتاع متاع معركة مقرين، هذا النجاح الباهر كلفنا 10 قتلى و 38 جريحا.»

الامضاء: مارميMarmier

الامبراطورية الصفوية دولة شيعية على المذهب الاثني عشري، نشأت في إيران وتوسعت في الشَّرق والغرب، باتجاه خراسان وأفغانستان وأذربيجان والعراق، وديار بكر وبلاد الكرج السلالة الصفوية حكمت إيران من سنة 1501 حتى 1763 ميلادية، حولت إيران من دولة سنية إلى دولة دينها الرسمي المدرسة الاثني عشرية. تحالفت مع الصليبين لحرب الخلافة العثمانية، واعتبرت الاسلام السني العدو الأول، وفعلت ما فعل الهالك الخميني في تاريخنا المعاصر، وهو تصدير الفكر الشيعي، وذلك بنشر الجواسيس لإثارة الناس ضد الحكم العثماني، والتبشير بقدوم الصليبين ونشر الزنا، وجعله ثقافة شعبية، وسندهم في ذلك زواج المتعة في ملتهم، واستباحوا نهب أموال الناس تحت مسمى الزيارة، وسندهم في ذلك خمس الشيعة. المركب الذي ركبوه حتى يدخلوا على المسلمين أبوابهم، أنهم أحدثوا أكذوبة النسب الشريف، وقسموا الناس إلى شريف ويقصدون أنفسهم والعبيد والخدام وهم المسلمون، نسبوا أنفسهم للسيدة فاطمة رضي الله عنها، والرجل في الاسلام وفي كل الملل ينسب لوالده، نسب الرجل لأمه هي عقيدة اليهود، خصوا بها أنفسهم. استعانوا بكتب السحر والخوارق والدجل ،ونسبوها لآل البيت، هذه الكتب يتوارثونها يسمونها الحكمة، ويورثونها لبعضهم البعض في سرية وكتمان، ومن أشهر الكتب التي يتوارثونها كتاب الجفر، البعض ينسبه لسيدنا جعفر الصادق، والبعض ينسبه لسيدنا علي كرم الله وجهه، الأصل أنها كتب الهنود والمجوس، لذلك هذا التشيع يُسمى أهله بالشيعة المجوس. الجفر هو عبارة عن جداول وطرق لصهر الرصاص ما يهمنا هنا هو الجفر، أي الادعاء معرفة الغيب، ما يهمنا ما تعلق بتاريخ الأغواط، وذكر شخصية مؤثرة في فهم الحوادث التاريخية، هو المسمى الحاج عيسى، والادعاء أنه ولي مدينة الأغواط، ذكرنا في الكتاب المترجم أنه ولد سنة 1868 ميلادية، والأصل أنه ولد سنة 1676 ميلادية، وسندنا في ذلك قوله:

عام التسعة والثمانين   عام من القَرْنِ الحْدَاعِشْ
زِدْتُ بحكم الحَنِينْ   عِنْدِ أُمَا و الْبُيْ مـا عَايِشْ[1]

يتفق المؤرخون على أنه توفي أسبوعا قبل ولادة السيد أحمد التجاني سنة 1150 هجرية 1737 ميلادية، وأنه دفن بمقبرة بني هلال، وبعد قرن ونيف نبش قبره، وحمل ليدفن في ربوة باب الربط ورفع على قبره الضريح بعد احتلال الجزائر، حوالي سنة 1844 ميلادية، قبل ثمانية سنوات من اقتحام الأغواط هي السنة التي حل فيها ماري مونج، بعدها أو قبلها بقليل، سلمه أبناء الحاج عيسى القصيدة التي بشر بها بقدوم الفرنسيس، وقتلهم لبني لغواط استجابة لدعوته. القصيدة ترجمها

1 الجفر في الشعر الشعبي الصفحة 65 .

ماري مونج للفرنسية وأودعها في تقريره، الحمد لله وجدت القصيدة الأصلية هي نفسها، وهي موجودة في نهاية الكتاب المترجم، تشهد على فعله، وله قصائد أخرى تبشر بقدوم الفرنسيس، وهزيمة العثمانيين، والفرح بقتل بني لغواط وسبي نسائهم، وحجته في ذلك أنه لم يوقروه، ولم يعترفوا بنسبه الشريف، فهو العقاب الذي يستحقونه. السبب في طرده من مدينة الأغواط، أنه لم يكن على عقيدة أهل السنة والجماعة بل كان على ملة الشيعة، وشعره المحقق بثبت ذلك وشاهد عليه هو يبشر بخروج المهدي مهدي الشيعة، الذي يدعي الشيعة المجوس أنه سيخرج، ويقتل النواصب ويقصدون بهم أهل السنة والجماعة، والحاج عيسى يبشر بني لغواط وغيرهم، أن المهدي سيخرج ويذبحهم، الشاهد في كتابه انتفاضة الظهرة، يتكلم شارل ريتشارد***Charles Richard*** عن مول الساعة، ويعني به المهدي المنتظر عند الشيعة. ينقل كلاما لشخص يسمى بن بنة التلمساني ينقله بالحرف العربي هكذا : " عام السبعين من القرن الثالث عاشر يخرج رجل اسمه مُحَّد بن عبد الله من بلاد سوس الأقصا وعند ستة وعشرماية قيطون[1] يدخل مراكش ويأتي إلى فاس ثم يقدم إلى تلمسان ويأتي إلى وهران ويخليها ويقدم إلى بلاد الجير وهي الجزاير وينزل في متيجة ويبقى أربعة أشهور ويخلي الجزاير ويقدم إلى تونس ويبقى فيها أربعين عام ويموت". يضيف الكاتب معلومات قدمها بن بنة التلمساني كوصف لمول الساعة، يضيف الكاتب قائلا: هناك قصة أخرى هي أفضل من هذه تأتي من عند سيدي الحاج الأغواطي، الذي يظهر التهديد والوعيد، وما يمكن أن يقوم به مول الساعة، كلامه له وزن وأثر أكبر على العرب، وها هو النص العربي لقوله:

بَرِّحْ يَا بَرَاحْ أَنَا شُوفَتْ مَنَامْ الْبَارِحْ هَذَا الْهَوْمْ الجْاَيْ قَرِحْ فَاتَتْ كُلْقَرَايِحْ[2]
مَا شَافَهْ عَيَانْ الْرَجُلْ وُلْدُهُ يَسْمَحْ رَاهْ يجِينَا بَايْ عَلَى يَدْ الْرُومْ قَلْبُهُ قَـاسِحْ
يَقُومْ لِمَوْلَايْ زِينْ الْنَسَبْ قَالْبُهُ نَاصِحْ زَهَايْ وَنهَايْ مِنْ حَاكُومْ صَـــــالِحْ
بَرِحْ قُولْ اِهْدَاوَا مَنْ سَارْ دَوَاوَا حَطُّوا شِّقْ الْسَبْخَة الْمَـــــــــالِحْ
فُوقْ قَهَرْ رَسَاوَا رُومْهُمْ مِنْ وَهْـــــــــــــرَانْ رَحُّو يَسْتَعْـــدِلْ
الْسُلْطَانْ طَوَعْ الْعُرْبَانْ قَتَال الْخِيَانْ سَيْفْ فِأْلنَاسْ إِلَا يَـــــذْبَحْ

ويقول في خروج المهدي كذلك:

طلعت شمسك من سماوات الفردوس حتى أن سنى نورها تحت الثرى
وطاعت لك يا ابن الرياس الروس ورضات بيك أميارها راجل وامرا

---

[1]القيطون الخيمة أبقيت على الألفاظ كما هي في النص الأصلي.

[2]*Charles Richardl'insurrection du Dhara TYPOGRAPHIE A. BESAMENEZ, Rue BRÉHOMIER 1846 page: 93*

يصف مهدي الشيعة كما وصفه زنادقتهم:

سَيْفْ الْحَقْ نْسِلْ مِنْ غُمْدُهُ مَسْنُونْ وُعَلَى سِرْ الْبَطَشْ فِي الْظُلْمَةَ قَطَـــعْ
لَفِيفْ الْحَقْ اِنْحَلْ مِنْ كُنْ فَيَكُونْ رِيشْ رِيشْ الْقَهَرْ مِنْ فُمُـــهْ يَسْطَـــعْ
بَدَرْ الْفَخْرَهْ مِنْ الْسَحَابْ خَرَجْ فِي لَوْنْ أَتْحَيَرْ الْعِينْ فِي الْشَعَاعْ يَـذَا هُوَ يْشِعْ

من نبوءاته التي سمع بها الفرنسيون، أنه أخبر عن اقتحام مدينة الأغواط، وذكر المدفع الذي سيقصفهم، عقابا لهم من أجل ذلك، الجنرال يوسف يوم اقتحام المدينة، وضع قطعة المدفعية فوق قبره مباشرة، ليقصف المدينة هذا ذكره الحاج عيسى في تنبؤاته:

مَا زِلْنَا نِتْعَاوْدُوا الأَخْبَارْ يَا سَايِلْنِي نْعِيدْ لَكْ قَصَّـــــة
مَكْتُوبَة فِي الَّلَوْحْ لَا تِعْبَارْ مَاذَا مِنْ الأَمْحَانْ مَدْسُوسَــة
فِي زُقَةْ الأَقْوَاطْ مَاذَا صَارْ تَظْهَرْ فِيهْ أَخْبَارْ مَنْحُوسَـــة
مِنْ غَرِبْ يجِيهَا صَنَمْ عَقَارْ بِمَـــدَافِعْ وَ أَنْفَاضْ قِيَاسَـه[1]

ليس الحاج عيسى وحده، هناك شعراء مثله وهم كثر من أهمهم سيدي امبارك بولطباق، وسيدي علي السنوسي نذكر كشاهد قول سيدي أحمد بن يوسف وهو يتوعد الشلف عاصمة مغراوة قديما:

شلف يا خير الأوطان وتصير دكان ويعمروك الفرانصيص النصارى[2]

متيجة بقرة سمينة وشحمها للقسي لَوَلْهَا للترك وآخرها للنصارى

---

[1] الجفر في الشعر الشعبي.

[2] *NOTES SUR L'ISLÂM* MAGHRIBIN MARABOUTS PAR EDMOND DOUTTÉ P 60

المحتوى

عموميات

1. معلومات حول جغرافية وجيولوجية مناطق الأغواط.
2. وصف واحة الأغواط
3. التنظيم السياسي لدائرة الأغواط

الفصل الأول

1. تاريخ الشعوب الساكنة مناطق الأغواط منذ الحقب القديمة حتى غزو بني هلال منذ القرن الحادي عشر قبل الميلاد تأسيس مدينة الأغواط.
2. الولي سيدي الحاج عيسى، الفتن بين بني لغواط وسكان قصر العسافية، الأحلاف وأولاد سيرغين، الفتن الداخلية في مدينة الأغواط، الحرب ضد بني ميزاب.
3. التدخل التركي في مدينة الأغواط، حصار مدينة الأغواط من قبل مُحَمَّد الكبير باي وهران 1785 ميلادية، ظهور الفتن في الأغواط مجددا، وصول أحمد بن سالم للحكم 1828 ميلادية

الفصل الثاني

1. دخول الأمير عبد القادر، حصار عين ماضي، معركة أحمد بن سالم ضد الحاج العربي وعبد الباقي خليفة الأمير عبد القادر، حصار قصر الحيران
2. الجنرال ماري مونج يقود بعثة سلمية إلى الأغواط ماي وجوان 1844 ميلادية، تعيين أحمد بن سالم خليفة ،التنظيم السياسي لمناطق الأغواط
3. تدخل الجنرال يوسف 1846 ميلادية، التنافس بين أحمد بن سالم وناصر بن شهرة بين سنتي 1846 و 1850 ميلادية، ثورة قبيلة الحجاج والحرازلية، سي الشريف بالحرش يهزم الثوار سبتمبر 1850 ميلادية، شكاوي القبائل ضد الخليفة أحمد بن سالم، تمرد ناصر بن شهرة سبتمبر 1851 ميلادية.

الفصل الثالث

1. مُحَمَّد بن عبد الله سلطان ورقلة، تحالف مُحَمَّد بن عبد الله مع ناصر بن شهرة، هزيمة سي الشريف بالحرش في العقرب 17 جانفي 2852 ميلادية، عمل الأفواج القتالية التابعة للقادة لادميرال و ديليني ربيع 1852 ميلادية، تدريب سي حمزة بمدينة وهران، النظام السياسي الجديد، بن ناصر بن شهرة وأحمد بن سالم أغاوات على القصور، وفاة أحمد بن سالم.

2. اعتقال جاسوس بريطاني في مدينة الأغواط، هزيمة سلطان ورقلة في متليلي 22 ماي 1852 ميلادية،تمرد يحيى بن معمر، الجنرال يوسف في الأغواط، الشيخ علي وبن حميدة، سلطان ورقلة يغزو جبل العمور تمرد وثورة بني لغواط دخول مُحَمَّد بن عبد الله الأغواط.

الفصل الرابع

1. بعثة مدينة الأغواط، تشكيل الأفواج القتالية، الجنرال يوسف وفوج الجلفة، هزيمة الثوار في قصر الحيران 19 نوفمبر 1852 ميلادية، فوج يوسف يقف عند أسوار الأغواط، وصول القائد بين، العمليات القتالية نواحي وهران، الجنرال بليسي في مدينة الأغواط 2 ديسمبر 1852 ميلادية
2. استطلاع والتعرف على الساحة 3 ديسمبر 1852 ميلادية، خطة الهجوم عمليات 3 و4 ديسمبر 1852 ميلادية، الهجوم ناحية الغرب، الجنرال بليسي الهجوم ناحية الشرق، الجنرال يوسف.

الفصل الخامس

1. غزوات سي حمزة ضد الثوار 4 ديسمبر 1856 ميلادية، خضوع بني ميزاب، مقترحات الجنرال بليسي من أجل احتلال واخضاع مدينة الأغواط، رجوع الأفواج إلى التل، وظائف القيادة العليا في الأغواط، تشكيل طاقم الجمال، وفاة سي أحمد التجاني، تشكيل وتنظيم دائرة الأغواط 22 جويلية 1853 ميلادية.
2. عودة الحرب ضد مُحَمَّد بن عبد الله، بعثة ورقلة، انتصارات سي حمزة، التنظيم السياسي للجنوب، مُحَمَّد بن عبد الله وسليمان بن جلاب، تمرد أولاد أم الخاوة، هزيمة أولاد أم الخاوة في تينجيرث 17 أكتوبر 1854 ميلادية.
3. بعثة تقرت،هزيمة شريف ورقلة في مقرين 29 نوفمبر 1854 ميلادية، أعمال ترقية لمدينة الأغواط، القائد مار غريت، اعادة تنظيم طاقم الجمال، لعلاقات مع الجنوب، قضية الجلفة، أسر مُحَمَّد بن عبد الله من قبل سي بوبكر ابن سي حمزة.

الفصل السادس

1. تمرد أولاد سيدي الشيخ فيفري 1864 ميلادية، عملية فوج الأول الأغواط شهري أفريل و جوان 1864 ميلادية، معركة عين ماضي 26 ماي 1864 ميلادية، الجنرال يوسف والفوج الثاني لمدينة الأغواط سبتمبر و نوفمبر 1864 ميلادية، ثورة أولاد نايل، خضوع واستسلام الثوار نواحي العاصمة، تشكيل الفوج القتالي المتحرك الأغواط 29 نوفمبر 1864 ميلادية.

2. العقيد مارغريت في الأغواط، مواقع عند واد زرقون، حضور المقدم دو سونيس، أعمال الفوج القتالي 1866 ميلادية، هزيمة سي لعلا من قبل القومية، اعادة تشكيل طاقم الجمال ضم طاقم الجمال للميزانية الاضافية السنتيم.
3. غزوة أولاد سيدي الشيخ لجبل العمور جانفي 1869 ميلادية، خروج الفوج القتالي يتمرد وثورة الخليفة التجاني، هزيمة الثوار في معركة أم الدبداب 1 فيفري 1869 ميلادية، اعتقال وتوقيف الخليفة التجاني، بوشوشة شريف عين صالح معركة واد سبسب الفوضى في مدينة الأغواط
4. اعتقال بوشوشة، ربط أغا ليك ورقلة بالجزائر العاصمة، لخضر بن مُحَمَّد يعين أغا الأغواط، سلوك الخليفة التجاني يثير الشك إنهاء العمل بطاقم الجمال

الملاحق

1. المقاطع أخذت من كتاب الآية الذي تركه سيدي الحاج عيسى ـ كتبت التنبؤات سنة 1714 ميلادية ـ
2. رسائل مُحَمَّد بن عبد الله المحفوظة في الأرشيف.
3. تقرير حول معركة مقرين قدم يوم 29 نوفمبر 1854 ميلادية المحاربين مع شيخ تقرت ومع الشريف مُحَمَّد بن عبد الله.

قائمة الوثائق اطلع عليها الكاتب

أولا: قائمة وثائق مخطوطة

أرشيف الحاكم العام الجزائر.

أرشيف قسم قضايا الأهالي منطقة الجزائر.

ثانيا: مؤلفات مطبوعة

مراجع الكاتب مؤلفات مطبوعة

1. *Baunahd (Mgr.) — Le général de Sonis (Paris).*

Carte de l'Algérie, au 800,000% dressée au Dépôt de la guerre en 1876, revue en 1882.

Carte de l'Algérie (feuille de Djelfa), au 200,000" dressée au Dépôt de la guerre.

2. *Darier-Chatelain (le lieutenant). — Historique du 3'régiment de tirailleurs algériens.*
3. *Daumas (le général). — Le Sahara algérien Paris Langlois et Fortin, 1845, in-8°*
4. *Descoubès (le commandant) — Historique du Pr regiment de zouaves Paris, 1882, in-8°*
5. *Fromentin. — Un été dans le Sahara (Paris, Lemerre ,1874,in-8°.*
6. *Harcourt (B. d')- — Une colonne d'expédition dans le Désert, dans la Revue des Deux-Mondes du 1er mars 1869 Historique du 1er spahis*
7. *Hue (F.). — Le 1er régiment de chasseurs d'Afrique Le Livre d'or des tirailleurs indigènes de la province d'Alger (Alger, Bastide, 1860, in-8°*
8. *Marey-Monge (le général). — Expédition de Laghouat Dirigée aux mois de mai et juin 1844 Alger, 1844 in-8°*
9. *Margueritte (le général). — Les Chasses en Algérie Alger, 1869, in-8°*
10. *Mercier (Ernest). — Histoire de l'Afrique septentrionale (Paris, Leroux, 1888-1891, 3 vol. in-8°).*
11. *Pein (le colonel). — Lettres familières sur l'Algérie*
12. *Pellissier de Reynaud. — Annales algériennes (Paris, 1854, 3 vol. in-8°).*
13. *Philebert (le général). — Le général Margueritte Revue africaine.*

14. *Rousset (G.). — Histoire de la conquête de l'Algérie Histoire de la conquête de l'Algérie de 1841 à 1857 Souvenirs d'un officier du 3e de zouaves.*
15. *Trumelet (le colonel). — Histoire de l'insurrection des Oulad-Sidi-Ech- Cheikh de 1864 à 1880 (Alger, Jourdan, 1884, in-8°).*
16. *Les Français dans le Désert (2e édit., Paris, Garnier, 1885, in-8°).*
17. *Le général Yusuf (Paris, Ollendorf, 1890, Exploration géologique du M'sab, du Sahara et de la région des steppes de la province*.

قائمة المراجع المترجم:

مؤلفات للمترجم لها علاقة بتاريخ الأغواط لم تطبع بعد:

1. تاريخ بني لقواط
2. صيف في الصحراء*EUGÈNEFROMENTIN*فرمانتان أونجان.
3. زرت مدينة الأغواطالكابتن ديوراند ـ دولاكر*Durand- Delacre*رئيس مكتب شؤون العرب.
4. بعثة ماري مونج لمدينة الأغواط *LE GÉNÉRAL MAREY*.

مراجع أخرى:

1. بومداني مصطفى الجفر في الشعر الشعبي الجزائري أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه علوم في الأدب الشعبي جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان السنة الجامعية: 2015/ 2016 ميلادية.
2. *M. PERON LES AMMONITES DU CRÉTACÉ SUPÉRIEUR DE L'ALGERIEPARIS SIEGE DE LA SOCIÉTÉ 1896*

كزواي الحاج العرابي بن محمد بن عطا الله اليونسي المغراوي أصلا الأغواطي قرارا ولد يوم 5 يناير سنة 1962 ميلادية فيلسوف ومؤرخ مدينة الأغواط مسقط رأسه علمه وأدبه والده الحاج محمد زوده بمبادئ القراءة والكتابة والخط وأخذ منه تعاليم وأركان الاسلام قضى حياته مربيا معلما درس مادة الفلسفة بداية في لبيض سيدي الشيخ ولاية البيض ثم انتقل إلى زنينه ولاية الجلفة ليكمل وظيفته الأستاذية ثم عاد لولايته درس بثانوية قصر الحيران ثم درس بثانوية العقيد شعباني وأكمل أيام التدريس بثانوية أبي بكر الحاج عيسى تعاون مع جامعة التكوين المتواصل ليقدم دروسا مسائية ثم عمل زمنا قصيرا كأستاذ مشارك في المدرسة العليا للأساتذة ثم تم توقيفه لأن الجامعة عرفت حالة تقشف مالي بعد النجاح في مسابقة التفتيش وبعد النجاح عين مفتشا وطنيا لمادة الفلسفة عمل بداية في ولاية المسيلة ثم تم نقله لولاية الأغواط منذ سنة 2010 تقريبا جمع بين وظيفته الرسمية وعمل متطوعا معلم قرآن يعلم الصبية في محضرة مسجد سيدنا زيد بن ثابت له كتابين طبعا وهما فلسفة العلوم ونظرية الأبعاد الكونية و كراس النحو وهو تحقيق لمؤلف تركه جده الحاج عطا الله تفرغ مؤخرا لفلسفة التاريخ واهتم بكتابة التاريخ المحلي واعتمد كأنموذج مدينة الأغواط التي أحبها وشغف بها منذ طفولته.